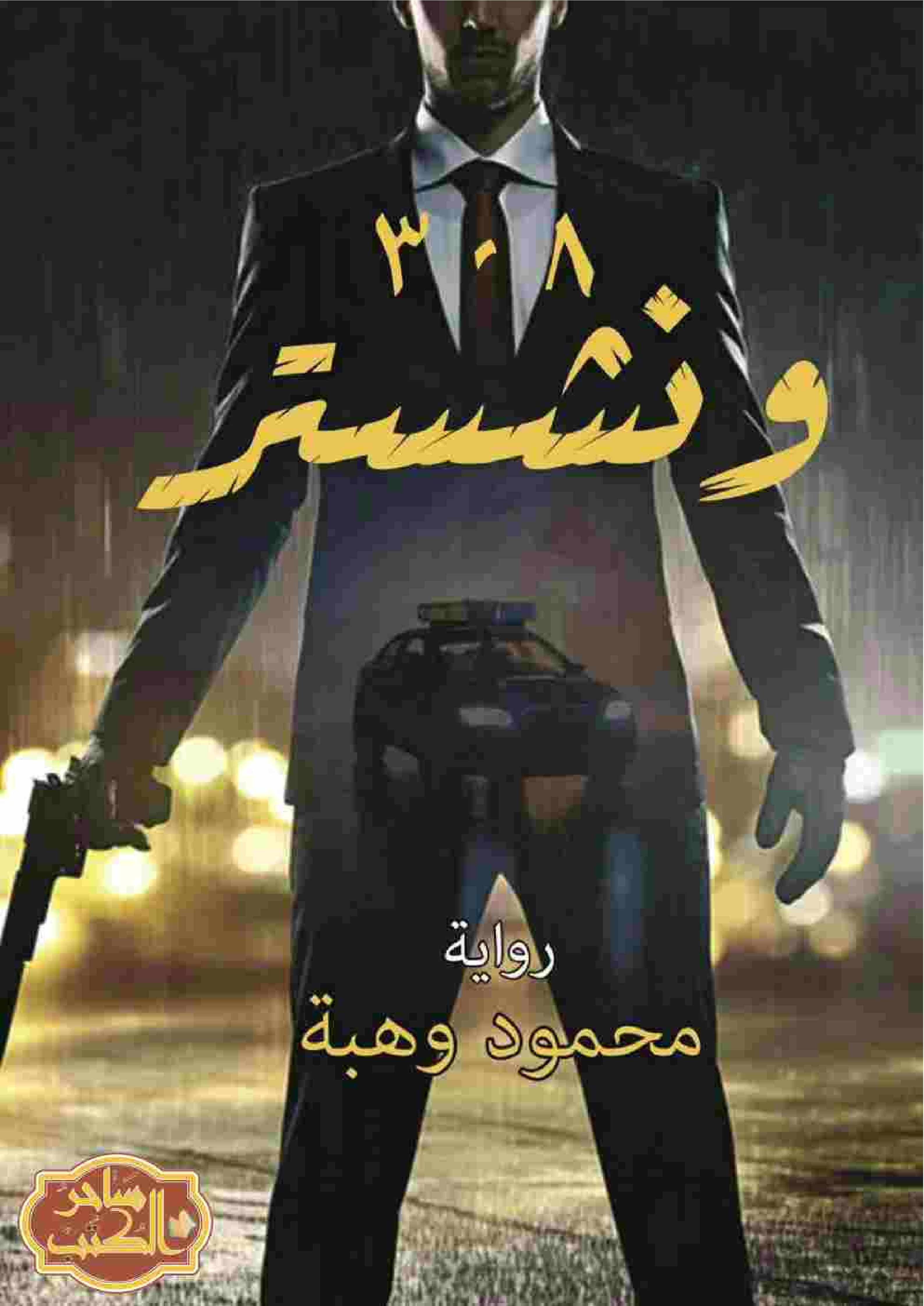

٣٠٨
ونشستر
رواية
محمود وهبة
ساحر الكتب



308 ونشستر



الكتاب: 208 ونشستر

المؤلف:

تصميم الغلاف:

تدقيق لغوي:

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت: 02-338560372

info@noonpublishing.net



308 ونشستر







إهداء

إلى ذلك الضوء الخافت الذي لا زال يستعمر جزء من قلوبنا التي أوشكت على الإظلام التام

إلى من يتوارون خوفًا وضعفًا خلف أقنعة الحياة

إلى أناس تتقبل الجميع وإن كان مختلفًا في كل شيء إلا آدميته

أهديكم بود تلك الكلمات...





مقدمة

«لم يكن أسود من الداخل هكذا ولكنه امتلأ بسواد نفوسهم المظلمة فأصبحت رسالته المقدسة هي نشر السواد والدماء قربانا لإله اتخذه قهرا و لم يؤمن به قط».





الفصل الأول...

«يمكنك أن تنتزع كل ما تريده من إنسان فقد حريته، كل شيء حتى إنه يمكنك أن تنتزع روحه إذا أردت ولن يبالي ؛ لكن احذر إن عادت إليه حريته فسيعود معها كل شيء فقده في يوم بالإضافة إلى كل ما تملكه أنت، فكر جيدا قبل أن تسلب أحدهم شيئا».



شتاء 2017 الساعة الثامنة مساءً...

داخل شقة كبيرة المساحة مظلمة إلى حد ما...

خزانة ملابس تفتح، يد أحدهم تمتد لتزيح قطعة خشبية تخفي ما خلفها، يُضاءُ نور خافت داخل الخزانة ليبرز ما بها، ملابس سوداء قاتمة أشبه بوشاح ممتد حتى منتصف الجسد، حقائب سوداء مغلقة كبيرة الحجم معلقة بشكل منتظم على طول الحائط الموجود خلف الخزانة، فتح أحدهم الحقائب واحدة تلو الأخرى لتظهر الكثير من الأسلحة المتطورة الخاصة بعمليات القنص عن بعد، بطاقات شخصية كثيرة لأسماء مختلفة، كروت سوداء مدمجة بطبقة ذهبية خفيفة موضوع فوقها شعار غريب الشكل يشبه رجلا ما مغطى بالسواد ممسكا بسلاح ما بيده، يبدو أنها علامة ما يستخدمها صاحبها للدلالة عليه، امتدت اليد من جديد لتمسك بسلاح ناري ومعه عدة طلقات غريبة الشكل والعيار كافية فى اعتقاده لتنفيذ ما يريده، أمسك بذلك الغطاء الأسود ومعه أحد تلك الكروت غريبة الشكل ثم أغلقت الإضاءة، ووضع اللوح الخشبى من جديد وأغلقت الخزانة.

شخص ما يتحرك ليقف أمام المرآة التى تعكس صورة غير واضحة له وهو يرتدي ذلك الوشاح الأسود غريب الشكل ومعه حقيبة بداخلها السلاح المعد خصيصا من أجل هدف ما وكارت لتركه بعد أن ينجز مهمته، يبدو أن ذلك الشخص يرمق نفسه فى المرآة كعادة يفعلها فى كل مرة قبل أن يتذوق



دماء احدهم ثم تحرك خطوتين للخلف ليبتلعه الظلام ويعم السكون المقلق فى ساعات الليل المتربصة.

❋❋❋

10:00مساءً....

ليلة ثقيلة الظلام شديدة البرودة التي تزداد مع هطول الأمطار الغزيرة يخرج رجل من عقار بأحد أحياء مصر الجديدة ويبدو عليه الإرهاق من يوم طويل لم ينتهى إلا بعد معاناة وصراع دام لساعات ظل يستمع فيها لمرضاه النفسيين، خطواته تظهر الكثير من عدم التوازن والإجهاد، يقترب من سيارة سوداء حديثة الطراز، يفتح بابها فى عجالة ويدلف بداخلها، يدير المحرك ويخرج هاتفه الجوال ليجرى مكالمة، وقبل أن يكملها يظهر شيء على ضوء الهاتف ملقى بجانبه على الكرسي المجاور له، يضئ نور السيارة من الداخل ليجده كارت أسود مختلط بشيء ذهبي غريب الشكل، تظهر معالم الخوف على وجهه الأبيض المستدير باهت الملامح، يقلب الكارت ليجد رسمة باللون الأسود لشخص تخفى معالم وجه يلتحف بغطاء أسود .

يتعجب من كيفية دخول ذلك الكارت داخل السيارة وتتوتر أعصابه، يتركه برهبة بجانبه ثم يضيء الأنوار للتحرك، وقبل أن يضغط على مقود السيارة يفزع من ذلك الجسد الأسود الأشبه بالرسمة الواضحة على الكارت، ظهر على ضوء السيارة فجأة ويبدو أنه كان هناك طوال كل ذلك الوقت يراقبه فى صمت مميت، لم يحرك ساكنا كانه تمثال تم نحته للتو تتساقط عليه الأمطار برتابة تعبث بالأعصاب، أمسك الرجل هاتفه وأخرج رقم ليطلبه حتى وجد اسم زوجته (جيهان)، وضع السماعة على أذنه وانتظر الإجابة.

ارتعد جسده من اختفاء ذلك الكيان من دون أن يلاحظه كأنه لم يكن موجودا من الأساس، نظر يمينا ويسارا وفى كل اتجاه خارج السيارة بحثا عنه



ولم يعثر عليه، ارتفعت نسبة الإدرينالين في دمائه وأفرز قطرات من العرق على جبينه تنساب ببطء على وجهه، اجيب على الهاتف بصوت زوجته ترد وهي تنادي باسمه عدة مرات : « مجدي، مجدي « !! دون أن يسمعها.

اطمئن للحظات وأمسك الهاتف ثم قرر أن ينطلق بسيارته ليظهر ذلك الكيان مرة أخرى يقف بالقرب من مدخل العقار ويبدو أنه ينظر له من داخل تلك العباءة السوداء، ارتجف وسقط الهاتف من يده وقرر أن يزيد سرعة السيارة وينطلق بطريقة جنونية و صدره يعلو ويهبط في خوفٍ واضطرابٍ.

تمكّن من الخروج إلى الشارع العموميّ بسرعةٍ جنونية متفاديًا أفكارًا سلبية تطارده كسياراتٍ تأتي بإضاءة عالية عكس اتجاهه في طريق ضيق لا يسعهم معًا اطمئنّ قلبه للحظات قبل ان تستقر طلقة في منتصف رأسه لترديه قتيلاً و يزدادُ ثُقل جسده على المكابح لتترنّحَ السيارة يمينًا ويسارًا مصطدمةً ببعض السيارات الأخرى حتى تنقلب تاركةً فوضى عارمة وأصوات أجهزة إنذار للكثير من السيارات الموجودة وجلبة من الأناس التي شاهدت ما حدث.

***

كردون أمني محيط بمكان حادث كبير لقي ضحيته سبعة اشخاص عن طريق انقلاب وتصادم سيارات بعضها ببعض، وواحد فقط إثر طلقة اخترقت رأسه فأردته قتيلاً، الكثير من سيارات الإسعاف تتدفّق إلى مكان الحادث والعديد من الصحفيين والقنوات التي تريد نقل الحدث إلى الشاشة الصغيرة ويحاول منعهم العديد من رجال الشرطة بكل قوتهم، في وسط تلك الجلبة الضخمة اقترب شاب طويل الجسد، أبيض البشرة الثلجيّة، واسع الخطوات، ضيّق الخلق، مصدرًا بخار ماءٍ من فمه مختلطاً بدخان سيجارة يدخّنها، يرتدي بالطو أسود ذو ياقةٍ كبيرة تمنع تسلُّل البرد إلى جسده المتناسق، اخترق



الصفوف بسرعةٍ وحزمٍ ثمّ تخطّى الكردون الأمنيّ ليصل إلى ذلك الرجل المُلقى أرضًا وعليه غطاء تتساقط عليه الأمطار بجانب تلك السيارة المقلوبة رأسًا على عقب، نظر إلى رجال المعمل الجنائيّ بضيق فى انتظار إتمام عملهم، نظر إلى السماء المُمطرة بقنوطٍ ثمَّ اتَّجهَ بعينهِ إلى هؤلاء المتطفلين بضيق صدرٍ، ألقى السيجارة أرضًا ودَهَسَها بحذاءٍ غالي الثّمن ثمّ أشار إلى عسكريّ أتى مسرعًا وبيده مظلّة من أجله وهو يقول..

- الشمسيّة يا عمرو باشا.

فردَّ المظلّة مسرعًا ونظر إلى السيارة المقلوبة ليلمح شيئًا ما لامعًا بداخلها، اقترب ببطءٍ ثُمّ أشار إلى أحد رجال المعمل الجنائي وهو يقول...

- باشا فى جوه العربية حاجة نسيتها،ممكن نركز شوية ولا أشتغل معاكم؟

اقترب ذلك الرجل بضيقٍ وقال...

- حضرتك تطلع مين عشان تدينى أوامر؟

أخرج عمرو شارةً من جيب البالطو لتظهر صورة له وبجانبها مكتوب(الرائد عمرو تاج الدين - مباحث جنائية)، نظر الشابُ إليه فى قلقٍ ثُمّ انبطح أرضًا ومدَّ يدهُ بكفٍّ داخل قفّازٍ ثُمّ أخرج كارت غريب الشكل وضعه داخل حافظة، تلاقت عينُه بعين عمرو ليبتسم ببرودٍ وعاد إلى استكمال عمله بجانب السيارة من الجهة الأخرى.

أصدر عمرو ابتسامة سخرية وهو يتحرك إلى الجثمان المغطى، أحنى جسده ورفع الغطاء عن ذلك الجسد الهامد ليجد فجوة فى منتصف رأسه، تغيرت ملامح وجهه إلى القلق ثم وقف بعد أن غطى الجثمان مرة أخرى، نظر إلى رجال الإسعاف وهم يحملون الجثامين والمصابين ثُمّ أتى أحدهم لوضع ذلك الجثمان صاحب الفجوة داخل حاوية سوداء ومنها إلى سيارة إسعاف ؛ انطلقت مسرعة مصدرة صوتًا مزعجًا، نظر الرائد عمرو إلى حجم الكارثة التي وقعت



منذ ساعات قليلة، أخرج سيجارة وأشعلها ثمّ أغلق المظلّة وترك مياه الأمطار تنساب فوق رأسه كأنّه سكران أراد أن يفيق من تدفّق المياه ثم ذاب وسط الجمع الكبير.

***

رجل في الرمق الأخير من عقده الخامس، طويل الجسد، مشدود الجلد كمانيكان أنيق، يبدو عليه الجدية والثبات في حركاته ونظراته للمحيطين به أثناء سيره في رواق شركته المرموقة والمعروفة إلى الجميع، رجلٌ من طراز صانعي الملاعق الذّهب حتى وإن أمسك بحبات رمل مختلطة بماء البحر، سمعته تشبه بدلته غالية الثمن وقد أنفق عليها الكثير من المال من أجل ذلك، له الكثير من العلاقات مما يتيح له فعل كل شيء يريده أو لا يريده، فقط عليه التفكير والجميع سينفذ، استقر حذاءه اللامع داخل أرضية مصعد متسع الجوانب ارتفع به إلى أعلى حتى توقف في الدور الأخير من تلك التحفة المعماريّة المكونة من شركته وخزينة أسراره في آن واحد.

تركه حارساه المرافقان له في كل مكان بعد أن خرج من المصعد وقال...

- استنوني تحت لما احتاجكم هقولكم.

نظرا له في ثبات وقال أحدهم...

- أوامرك يا فادي باشا.

هو لا يصطحب أحدًا معه في ذلك الطابق من البرج، تحرك خطواتٍ سريعة داخل رواق يقود إلى الكثير من الحجرات حتى أصبح أمام حجرة مغلقة من الداخل، نظر باتجاه المصعد حتى أغلق على حارسيه ثمّ طرق الباب بتروٍّ ليفتح أحدهم له من الداخل، برزت غرفة مظلمة دلفها وهو مبتسم ثمّ أغلق خلفه وأصدر ضحكة مرتفعة.

***



يناير 1988 ...

فتاة تكتم صرختها وهي تعض على وشاح أسود خلعته من فوق رأسها ووضعته بين أسنانها كي لا يلاحظ أحد ألمها داخل « الترماي « سوى صديقتها التي تمسح لها عرقها من وقت لآخر كي تخفف عنها، تلقّي نظراتها على وجوه الركاب من حولها ثُمّ إلى بطنها التي ظهر انتفاخها رغم محاولتها كي تداري ما بها بهذا الجلباب الواسع التى ارتدته لمدة 7أشهر كي تخفي حملها الغير الشرعي عن أمها ضعيفة النظر وجيرانها الملهيون في البحث عن مصدر رزقهم، توقّف « الترماي « بعد أن عجل من المخاض بكثرة اهتزازه، هبطا سريعًا منه وتوجهوا إلى شارع قصير يقود إلى حارة ضيقة ومنها إلى عقار قديم بباب حديدي مريب المظهر، طرقتاه على عجالة لتفتح لهم امرأة بدينة الجسد والوجه، نظرت إليهم فى تفقُّد ثمّ سمحت لهم بالدخول وأغلقت خلفهم الباب الحديدي بعد أن نظرت كي تطمئنّ من عدم رؤية أحد لهم، قادتهم تلك البدينة إلى الدور الثاني من العقار ليجدوا هناك عدة نساء متفاوتات الأعمار يجلسون أرضًا فى نفس حالتها، منهم من يبكي ومنهم من يتألم، أخرجت صديقتها ورقة نقدية و دسّتها فى يد البدينة كي لا ينتظروا كثيراً فنظرت لها بغلظة وقالت..

- مستعجلين أوى على الخلاص من البلوه اللى فى بطنك؟طب نجستي ليه من الأول؟

ثم تركتهم ودلفت إلى غرفة يفوح منها رائحة الدماء والألم و الظلم اختفت داخلها لدقائق ثمّ عادت وأدخلتهم إلى الغرفة وأغلقت خلفهم ثمّ تحرّكت تنهرُ امرأةً تصرخُ من شدة الألم وهي تقول بطريقةٍ مهينةٍ..

- تستاهلي، ما هي دي أخرة الوساخة.

دخلت الاثنتان معًا إلى تلك الغرفة المريبة وانتظروا قدوم أحدهم ليجدوا سيدتين تشبهان مَن بالخارج كأنّهم طرح شجرة واحدة قد رويت بمياه الصرف



الصحي أو ما هو أدنى، أمسكا بالفتاة ووضعوها على منضدة وبدأوا في الصُراخ بوجهها..

- احزقي يا بت، خلينا نخلصك من البلوة دي، ايه اللي خلاكي تستني ده كله لحد أمّا العيّل كمل جوه بطنك؟

لمْ تجب الفتاة سوى بالصُراخ فأكملت إحداهنّ..

-تلاقيكي كنتي فاكراه هيعترف بيه وهيتجوزك يا هبلة،احزقي.

غابت الفتاة عن الوعي وهم يخرجون طفلاً بائسًا من رحمها الأسود إلى دنيا أشد سوادًا، أمسكت به إحداهن وقالت...

- ميت،خد معاه العار.

ثمّ خرجت به إلى غرفة ثانية وتولّت المرأة الأخرى إفاقة تلك الفتاة بمساعدة صديقتها الباكية حتى تمكّنوا من إفاقتها وتنظيفها من الدماء، بعد مهلة قصيرة وقد اغتسلت الفتاة ؛ سألت عن طفلها قائلة..

- فين العيل يا ست سعدات؟

نظرت لها تلك المرأة البدينة بحدّة وقالت...

- مات يا أختي، احمدي ربّنا إنه قوّمك بالسلامة وإنه خد معاه العار، يلا هاتوا المعلوم وغوروا من هنا ورانا بلاوي تانية غيركوا.

فزعتا الفتاتان وأعطوها مبلغًا ماليّاً ثمّ هَرْوَلَا إلى الخارج وسط وَهَنٍ وحُزنٍ شديدين على وجه الأم البائسة، استندت على كتف صديقتها حتى خرجوا من تلك الحارة الضيّقة ومنها إلى الشارع حيث الحياة البائسة و المجتمع العاجز.

بعد أن حلّ اللّيل دلفتْ (سعدات) إلى غرفة منعزلة في الدور الأعلى من العقار لتجد طفلاً يبكي من شدّة الجوع منذُ ساعات، منذ أن ألقت به والدته إلى الهاوية السّحيقة، اقتربت منه البدينة وألقت في فمه (سكاتة) لم تغني



مـن جـوع ؛ لكنهـا هـدأت مـن روعتـه قليـلاً، حملتـه ولفَتـه داخـل وشـاحٍ أسـود كمسـتقبله القـادم، خرجـت بـه إلى الطقـس البـارد ولم تكـترث بجسـده العريـان الهـش داخـل ذلـك الوشـاح يتلـوّى، عـاد إلى البُـكاء فوكزتـه ليصمـت كأنّـه تعلّـمَ الصّمْـت مبكـرًا وعلـم أنـه ألقـي إلى اللارحمـة ، واصلـت سـيرها حتـى وصلـت إلى عقـار فى أحـد الأحيـاء القديمـة دلفـت إلى داخلـه ومنـه إلى شـقّةٍ مظلمـةٍ، طرقـت البـاب وانتظـرت أن يفتـح لهـا، دقائـق : وفتـح البـاب لتظهـر مـن خلفـه امـرأة متناسـقة الجسـد، متوسـطة الطـول وترتـدي الكثـير مـن الذّهـب، العلكـة لا تفـارق فمهـا، نظـرت إلى البدينـة مـن أعـلى إلى أسـفل وقالـت...

- جايبة إيه المرة دي يا حرامية العيال؟

ابتسمت سعدات خوفًا وقالت...

- جايبالك دكر يا ست دلال،عيل ابن ساعات وزي الفل.

مـدّت « دلال « يدهـا إلى الطفـل وكشـفت عـن وجهـه لتجـده صامتًـا تمامًـا ينظـر إليهـا بعـين دقيقـة تعلمـت الرؤيـة باكـرًا، تعجّبـت مـن صمتـه وألقـت بالمـال إلى تلـك البدينـة ثـمّ أغلقـت البـاب ودلفـت بـه إلى داخـل شـقة كبـيرة المسـاحة كثـيرة الغـرف.

***





الفصل الثانى...

«ستكون ضعيفا كقشة تزْروها الرِّيَاح وتتناقلها الأمواج إن اكتشف أحدهم نقطة ضعفك».



هـو لا يشـعر بالراحـة سـوى هنـا، ينـسى أو يتنـاسى صـوت الطلقـات وأشـكال أشباه البـشر بعدائهـم الـذي لا ينتهـي مـن دون سبب معلـوم، يجلـس عـلى كـرسي وثـير ويـترك أنفاسـه تتلاحـم مـع صـوت موسـيقاه الداخليـة لتنتـج سـيمفونيةً لا يسـمعها أحـداً سـواه، يعشـق تلـك اللحظـة عندمـا يسـود الصمـت فـور دخـول المايسـترو والانتهـاء مـن التصفيـق، تلمـع عينـاه الحـادّة وتـزداد بريقًـا عندمـا يقـف المايسـترو ويبـدأ تلويحـه إلى صانعـي الحيـاة (الفرقـة الموسـيقية مـن خلفـه)، ينحنـي بكبريـاء ويلتفـت ناظـرا إلى النوتـة الموسـيقية ثـم يبـدأ كل شيء في التغـير و تتّحـد روحـه مـع السـكون المريـح و تتعلـق عينـه بعصـاه وكل حركاتـه التـي تنقلـه إلى عـالم آخـر بعيـدٍ كل البعـد عـن عالمـه القـاسي.

وبعـد أن ينتهـي كل شيء يسـترد واقعـه بجرعـة لا بـأس بهـا مـن الأمـل قـد تطيـل عمـره ليـوم إضـافي، ليواجـه بهـا قـدره وحياتـه المريـرة ذات الروتـين الدمـوي والطابـع القـاسي المتحجّـر القلـب والمتصلـب الفكـر، إنهـا حفـرة سـحيقة مظلمـة يعـود إليهـا فى كل يـوم بعـد أن يرتشـف جرعـة أمـل كمسـكن لـكل الآلام التـي يسـببها هـو لنفسـه قبـل أي أحـد آخـر رغـمًا عنـه، فلـكل منـا دوره وعليـه تنفيـذه راضيًـا أو مجـبراً وعـلى أكمـل وجـه.

ثـمّ يسـود السـكون تحـت عـدة قطـرات مـاء سـاخنة تنسـاب فـوق رأسـه وتتسـلل إلى بقيـة جسـده بـين بخـار كثيـف يطمـس معـالم كل شيء وأفـكار متجمـدة تبـدأ بالذوبان...ثُـمّ يسـود السـكون مـن جديـد داخـل جفـون ترتجـف وعـين تـدور مـن أثـر كابـوس مميـت حتـى يفيـق في منتصـف الليـل عـلى رسـالة تصلـه وسـط



عرقه المتصبّب، يكره تلك اللحظة التي يجلس فيها فوق فراشه ويسترد وعيه، يمسك هاتفه ثم يفتح الرسالة ليتلقى صورة لهدف آخر وبجانبها علامة تعني أن يقتل نفسه من جديد وفي أسرع وقت، ففى تنفيذه المهام يموت معه جزء جديد من روحه، يتألّم ويكمل نفس دامية فقدت كل شيء.

***

سيارة حديثة الطراز ذات الدفع الرباعى ضخمة الإطارات تقف أمام منزل فى إحدى الأماكن الراقية ذات البوابات الامنية ثم يرفع زجاجها ويفتح بابها ويهبط من داخلها الرائد (عمرو تاج الدين) يرتدي بالطو أسود كالمفتّش (بوارو أو شارلوك هولمز كما في كلاسيكيات الأدب الغربي) يضع النظارة الشمسية وهو ينظر إلى أعلى العقار كأنّه يعد طوابقه، يخرج علبة سجائره ويسحب واحدة يقوم بإشعالها ويضعها بين شفتيه الجافتين، ينظر حوله فى كل الاتجاهات باحثًا عن شيء ملفت للانتباه أو ردة فعل تتيح له خيط رفيع كنافذة تغلق فجأة أو خيال يقف خلف ستارة ما، لكن لا شيء، صحراء جرداء خاوية من الحياة وقد انتهت السيجارة فقرر دهسها وتوجّه إلى مدخل العقار بخطوات ثابتة كعادته.

توقف المصعد عند الدور الخامس، فتح بابه لتظهر أمام الرائد (عمرو) طُرقة تفرق بين عدة وحدات سكنية على يمينها ويسارها، نظر إلى الأرقام المعلّقة على الشقق وهو يسير بحرص كأنّه لا يريد أن يحدث جلبة حتى توقف أمام الشقة التي تحمل رقم (52) طرقها بلطف عدة طرقات وانتظر أن يجيبه أحد رغم وجود جرس يمكّنه استخدامه لكنه فضّل الطرق وظل يلتفت يمينًا ويسارًا ينظر إلى الأبواب المغلقة منتظرًا صوتاً قادمًا من خلف أيًا منهم لكنّه لم يحدث.

دقائق معدودة وفتح الباب لتظهر من خلفة سيدة قصيرة القامة داكنة



البشرة متقدمة في السن، في صمت نظرت إلى الرائد (عمرو) بتوجُسٍ وقبل أن تنطق بكلمة قال هو بعد أن استشف أنها ليست المقصودة من مظهرها المتواضع وعمرها الذى قارب على الخمسين...

- مدام جيهان موجودة؟

أومأت برأسها وقالت..

- مين حضرتك؟أصلها تعبانة جدًا ومش بتقدر تقابل حد من ساعة موت الدكتور مجدي .

أخرج (عمرو) الهوية من جيب البالطو الأسود الذى يرتديه دائمًا وهو يقول...

- أنا الرائد عمرو تاج الدين، الموضوع اللي عاوزها فيه مهم جدًا.

نظرت إلى الهوية ثم فتحت الباب على مصراعيه وهي تشير له بالدخول فى خوف يبدو على ملامحها، خطى بعض الخطوات داخل تلك الشقة الشاسعة ذات الأثاث الباهظ الثمن وأخذ يقلّبُ عينيه على ما تحويه صورة كبيرة معلّقة على الحائط للضحية (مجدي) برفقة زوجته الجميلة التي تصغره سنًا يفوق العقدين ويبدو عليهما أنهما لم ينجبا بعد رغم طول مدة زواجهما، التُّحف الفنيّة الكلاسيكية في كل مكان يبدو أن الطبيب النفسي كان جامعاً للتُّحف، اتّبعَ تلك الخادمة حتى وصل إلى صالون جميل الشكل جلس فوقه بهدوء وأشعل سيجاره وانتظر قدوم تلك الزوجة التعيسة والتي تركها زوجها الثري من دون أبناء مع كمية كبيرة من المال لها وحدها، إنّه أمر تعيس حقًا أن تحيا داخل مسكن باهظ الثمن يحوي تحف ذات قيمة مادية كبيرة وأرصدة بنكية بعملات أجنبية.

مرّت فوق النصف ساعة، شرب خلالها فنجانين من القهوة وبضع من السجائر ولم تأتى تلك الزوجة ولا خادمتها الا لوضع مشروب جديد ثم تغادر فى صمت،



نظـر إلى سـاعته وهَمَّ بالوقـوف فوجـد شـابَة في منتصـف العشرينـات قادمـة نحـوه بملابـس سـوداء مثـل تلـك التـي يسـهرون بهـا فى المناسـبات العامـة ومن فوقهـا روب أسـود ولا يظهـر عليهـا أي نـوع مـن أنـواع المـرض كـما تدعـى سـوى أنهـا تمسـك ببطنهـا فى تظاهـر للمـرض، اقتربـت منـه فوقـف أشـارت لـه بالجلـوس وقالـت...

- حضرتك الرائد المكلف بالتحقيق فى قضية مجدي مش كدة؟

تظاهر بالمواساة كما تتظاهر هي بالحزن وقال..

- صـح يـا مـدام جيهـان، أنـا مقـدر طبعًـا حـزن حضرتـك وبعتـذر لـو كنـت جيـت مـن غـير ميعـاد لكـن أنـا عرفـت إنـك مريضـة ومكنـش ينفـع تشرفينـى فى المكتـب فحبيـت إني مضيعـش وقـت التحقيقـات ولا أضغـط عليـكي وأنـتِ تعبانـة، أنـا بـس هسـأل حضرتـك كام سـؤال وأمـشي علطـول كتحقيـق مبـدأي لحـد مـا حضرتـك تتحسـنى وتشرفينـى فى المديريـة ونفتـح تحقيـق رسـمي.

اعتدلت فى جلستها ونظرت إلى الخادمة وقالت...

- راضية، ممكن تجيبيلي قهوتي.

تحركـت الخادمـة مسرعـةً ثُـمَّ اختفـت بـين حوائـط تلـك الشـقة الواسـعة،أخرج الرائد(عمـرو) مسـجل صـوتي صغـير وبـدأ فى إلقـاء الأسـئلة...

- ممكـن حضرتـك تعرفينـى بنفسـك فى الأول بعـد كـدة نكمـل بقيـة الاسـئلة، يعنـي اسـمك وسـنك، علاقتـك بالمجنـي عليـه بـدأت إمتـى و اتجوزتـوا إمتـى، أولادكـم، يعنـي أي تفاصيـل؟..

سـحبت منديـل صغـير مـن فـوق المنضـدة التـي تتوسـطهم ومسـحت بهـا كحـل بـدأ فى الذوبـان بعـد أن اختلـط بدمـوع تسـاقطت عـلى اسـتحياء وقالـت..

- اسـمى جيهـان أمجـد شـوقي، عمـري 29 أنـا أتعرفـت المرحـوم مجـدي فرحـات مـن حـوالى 7سـنين لمـا كنـت بتعالـج عنـده بعـد مـوت والـدى، اتجوزنـا مـن 5 سـنين تقريبًـا وللأسـف معندنـاش أولاد، المشـكلة كانـت عنـد مجـدي اللـه يرحمـه



ومحبناش نستعجل الخلفة خصوصًا إن لسه معدّاش وقت كتير على جوازنا وهو بصراحة كان بيأجل أي كلام بخصوص الموضوع ده.

اعتدل (عمرو) فى جلسته وانتبه إلى نبرات صوتها التي تتغير وترتفع وضغطتها على أسفل بطنها لا إراديًا..

- رغم إنه كان دكتور نفسي شاطر بس كانت حتة إنه مبيخلفش دي كانت معقداه، كانت دي مرضه النفسي والعضوي فى نفس الوقت.

انتهت من تلك الجملة ثم نظرت إلى عين (عمرو) مباشرة، أومأ برأسه ثمّ قال...

- يوم الحادثة، مكلمش حضرتك خالص، يعني آخر مرة اتواصلتم فى اليوم ده كان الساعة كام تقريبًا؟.

دمعت عيناها ولم يعد للمنديل فائدة بعد أن سالت دموعها مختلطة بالكحل، صمتت لدقيقة ثمّ قالت...

- أنا سمعت كل حاجة، أنا كنت معاه على الخط وقت الحادثة.

انتبه (عمرو) إلى ما قالته فقال مسرعًا...

- طب ممكن توصفي لى بالظبط اللي سمعتيه؟

انهمرت دموعها وقالت...

- هو دايمًا كان بيخلص شغل فى عيادته على 10 بالليل ويتصل بيه، أنا بكون مستنياه عشان أطلب منه شوية حاجات يجيبها وهو جاى ونتكلم لحد ما يوصل البيت، المرة دى اتصل ولما رديت سمعت صوت نفسه عالي جدًا كأنّه بردان أو خايف من حاجة جامدة وبعدها صوت موتور العربية علي وبدأ يكلم نفسه من كتر الفزع، صوت العربية والكلكسات كان أعلى حاجة بعدها سمعت صوت ازاز بيتكسر وصوت حديد بيخبط فى بعضه وفضلت



أنادي باسمه كتير لحد ما الخط فصل، بعد ساعة كنت فى الشارع اللي فيه عيادته ولقيت حادثة كبيرة ولما قربت من مكان الحادثة عرفت إن هو اللي عمل حادثة، مدرتش بنفسي إلا في المستشفى وفي ظباط شرطة بتحاول تاخد أقوالى وعرفت إنه اتقتل ومكانتش حادثة.

أنهت كلماتها وهى تبكي وضغطت على بطنها بشدة من جديد، صمتَ (عمرو) حتى هدأت نسبيًا ثم قال...

- شكل حضرتك لسه تعبانه، أنا هكتفى باللى قولتيه النهاردة ولما حضرتك تكوني كويسة ممكن تكلمينى على الرقم ده وتشرفينى فى المديرية.

أخرج الكارت الخاص به وضغط على زر إيقاف التسجيل ثم وضع المسجل داخل أحد جيوب البالطو فوجدها تنظر إليه فى غرابة فقال لها ...

- حضرتك كويسة؟ليه بتبصي لى كدة؟

وقفت وصافحته ثم قالت...

- أصل مجدي كان بيسجل كل حاجة على شرايط بكاسيت صغير زى ده، أنت فكرتنى بيه زي كل حاجة هنا.

صافحها وتحرك باتجاه الباب وقبل أن يفتح الباب التفت إليها وقال...

- المرحوم شايل الشرايط اللي كان بيسجلها لمرضاه فين يا مدام جيهان؟

انتبهت إلى ما يقول ثم تذكرت وقالت...

- فى العيادة،استنى أجيبلك مفتاحها من جوه.

غابت دقائق وعادت بمفتاح العيادة وأعطته له، شكرها وفتح الباب وخرج إلى ظلام الممر المؤدي إلى المصعد، أغلقت الباب خلفه وتنهّدت بقوة وهي تضع يدها على بطنها، أخرجت هاتفها من الروب الأسود وأجرت مكالمة وهي في طريقها إلى ظلام الشقة الذي ابتلعها بينما هو ظلّ ممسكًا بالمفتاح



يتحسسه فى تفكير عميق وهو يسير بخطوات ثابتة بطيئة هادئة حتى وصل أمام المصعد وانتظر قدومه ثم دلف إليه وأغلق الباب من أمامه.

***

داخل استوديو تصوير هناك العديد ممن يقفون خلف الكاميرا بجانب المخرج المتأهّب لتصوير مشهد قد يبدو جديدًا من وجهة نظره وهناك أمام الكاميرا فتاة في آخر عقدها الثاني، ترتدي ملابس خفيفة لكنها لا تبدي من جسدها سوى القليل، لديها شعر أصفر يبدو أنه قد دمغ بذلك اللون من كثرة صبغه . عينان ضيقتان وبشرة بيضاء ناعمة، لديها جمال ملفت رغم دقة ملامحها وهدوء تفاصيلها، تمسك بورق تقرأه بتركيز وهناك من يضع لها (ميك أب) وآخر يصفف شعرها وبالقرب منها يوجد شاب آخر يشاركها ذلك العمل يفعل المثل ويقرأ دوره بعناية للمرة الأخيرة قبل التصوير، ارتفع صوت المخرج وقال...

- استاذة إيناس جاهزة ؟ استاذ سالم جاهز؟

ترك الاثنان الأوراق من يديهم وابتعد عنهم الجميع وبدأت الإضاءة فى التغيُّر وأصبح الكل خلف الكاميرا باستثناء الممثلين (إيناس، سالم) وقد اتخذ كل منهم مكانه داخل (لوكيشن التصوير) المكان المخصص له ثم دوى صوت المخرج العصبي قائلًا...

- هدوء فى اللوكيشين، أكشن.

فور أن نطق بتلك الكلمات تحرك (سالم) باتجاه (إيناس) ثمّ احتضنها وقال..

- أنا لازم أقتله، أنا مش ممكن أسيبك هنا لحظة واحدة، لو هو كان فاكر نفسه إنه اشتراكى فلازم يفهم إنك مش ملكة.

ابتعدت عنه (إيناس) فى مشهد تمثيلي درامي على أعلى مستوى وقالت...



- سيبنى أطلب منه الطلاق لآخر مرة ولو موافقش يبقى نقتله.

على تلك الجملة سمع صوت اندفاع باب وتحركت الكاميرا لترصد رجل يقف على عتبة الباب وينظر لهم فى حدة وعدم تصديق ثم تتحرك الكاميرا سريعًا لترصد الخوف على أوجه (إيناس، سالم) ثمّ تعود لترصد ذلك الرجل وهو ممسك بسلاح ناري قد أخرجه من سترته ثم يطلق عدة أعيرة نارية وترتفع الكاميرا لأعلى لترصد الثلاثة وما إن يقع الاثنان على الأرض حتى يبكي الرجل ويطلق على رأسه النيران ويتردى قتيلًا ويدوي صوت المخرج.

- كت، فركش.

يحدث حالة من الهرج والتصفيق الحاد وبعدها يتبادل الجميع التهاني ثمّ يمسك المخرج بيد (إيناس) ويبتعدوا عن الحشد ثم يقول...

- انتى كنتى هايلة جدا يا إيناس.

تبتسم تلك الجميلة وتنظر له وهى تقول..

- بتوجيهاتك يا أستاذ، أنت ليك عليا جميل.

يقترب منها المخرج بشهوة ويقول..

- طب أنا عاوز بمناسبة انتهاء الفيلم وكمان الجميل إننا نسهر سوا مع بعض.

تنظر له (إيناس) فى عدم استيعاب ليهمس لها..

- سهرة برايفت.

تتلاقى أعينهم بوجه ثابت ثم تتغير ملامح وجه (إيناس) إلى الابتسامة ليتبعها ذلك المخرج بضحكة مرتفعة ويضع يده حول خصرها.

***



شاب فى عقده الثاني من العمر، طويل القامة، جميل الملامح، متناسق الجسد، يسير بخطوات سريعة باتجاه مبنى شاهق الارتفاع معلّق عليه اسم معدني عملاق (جريدة الحدث الأول) يصعد عدة سلالم لم تتعدى العشرة باتجاه المدخل لتظهر فخامة المبنى من الداخل وكثرة العاملين به، يقف أمام مصعد فى انتظار قدومه وبجانبه الكثير كذباب فى مطلع النهار منتشرين أمام عدة أبواب فى انتظار مماثل لعدد محدود من المصاعد، أتى المصعد سريعًا ودلف ذلك الشاب إليه ومن خلفه عدة أشخاص ليصبح المكان خانقًا، تأفف ثم تحدّث مع عامل المصعد قائلًا...

- الدور الثامن يا عم أحمد.

ابتسم له ذلك الرجل بوجهٍ المألوف فقد تُقابل ذلك الوجه فى كل مكان فى شوارع مصر، قال وقد ارتفع حاجبه كمحقّق...

- الدور التامن!! يبقى أكيد أنت رايح بخبر مهم لأستاذة يسرا، ولا أنا غلطان يا أستاذ أيسر؟.

ابتسم (أيسر) وقال مداعبًا...

- والله يا عم أحمد أنت شكلك مخبر شرطة ومتخفي وشغال هنا فى الجرنال ده تجمع معلومات عنّا، إنت صح يا عم أحمد روح انقل بها وانشر الخبر زي عادتك.

ابتسم ذلك الرجل وأصدر ضحكات متقطعة انتهت بسعال توقف مع توقف المصعد عند الدور الثامن، تحرك (أيسر) سريعًا إلى أحد الأروقة العديدة فى ذلك الدور ومنها إلى جزء خاص بالصحفيين المشهورين حتى توقّف أمام باب مكتوب عليه (الصحفية يسرا داود)، طرق الباب بتروٍّ ليأت على الفور صوت أنثوى ناعم سمح له بالدخول قائلًا....

- اتفضل.



فتح أيسر الباب ورسم على وجهه ابتسامة أضافت إلى وسامته الكثير لتبادله تلك الفتاة متوسطة الجمال كبيرة الشهرة فى مجال الصحافة ابتسامة ممثالة وتشير له أن يقترب و يجلس ثم يخبرها بما لديه.

جلس على الفور وأخرج من حقيبة يده التي تلازمه دائمًا وتحوي عدة صور وكاميرا حديثة استلمها من الجريدة بعد تعيينه بمدة قليلة على أن يخصم من راتبه قسطًا شهريًا من أجل دفع ثمنها الباهظ على سنوات كثيرة، فهو يعمل مراسلاً وصحفيًا مبتديء تحت إشراف (يسرا) والتي تكبره بسنوات قليلة.

وضع على المكتب الذى يفصل بينهما عدة صور أثارت اهتمام (يسرا) ثمْ أخرج تقريراً ورقيًا مدَّ به يده إليها وبدأ حديثه قائلًا :

- الداخلية مقلوبة.

تركها ثواني قليلة تستوعب ثقل ما قال وكي تبدأ في قراءة ما جاء بالتقرير ثم أكمل...

- حادثة كبيرة حصلت قريب من منطقة مصر الجديدة على طريق سريع راح فيها 7 أشخاص بينهم أطفال، مش ده المهم خالص، المهم إنهم اكتشفوا إن السبب فى الحادثة دي دكتور نفسي مات فجأة ورجله تقلت على الدواسة وخبط فى كل العربيات اللي حوالي لحد ما اتقلب وقلب معاه عربية ملاكي وميكروباص.

اقتربت (يسرا) بجسدها المتناسق إلى الأمام وسألته...

- طب وإيه الغريب ؟ الراجل مات فجأة ممكن يعني أزمة قلبية أو غيبوبة سكر مثلًا؟

أخرج (أيسر) صورة من بين الصور للدكتور(مجدي) وهو ملقى داخل السيارة ميتًا وبرأسه فجوة في المنتصف وقال...

- الراجل ده ميت بطلقة قناصة، بصي على الصورة وركزي كده.



أمسكت الصورة ثم ارتدت نظارتها الطبية ودققت النظر فى تلك الصورة التي تظهر جسد الدكتور(مجدي) من مسافة ولكنّها تظهر التفاصيل و إن كانت ليست بالوضوح التام ثم تركتها وقالت..

- قناصة؟ومعنى إن الحادثة كانت كبيرة دي معناها إن العربية كانت ماشية بسرعة كبيرة جدًا وده معناه إن القناصة ده محترف يا أيسر.

قالت تلك الكلمات وهي تقلب فى الصور وظهر على وجهها الخوف والريبة، نظرت إلى (أيسر) وقالت...

- أنا عاوزاك تتابع الموضوع ده عن قرب وتجيبلي كل تفاصيله، القضية دي ممكن تكون جدًا بداية تكوين اسمك وتكبير اسمي، سيبلي الصور والتقرير وأنا هروح بيهم لأستاذ (شادي العمروسي) رئيس التحرير وأحاول أقنعة ولو وافق هيبقى سبق واسمك هينزل جنب اسمي على الخبر.

ابتسم (أيسر) وظهرت علامات البهجة على وجهه ثم وقف وتحرك فى اتجاه الباب تاركا نظرة إعجاب قادمة إليه من عين (يسرا) التي تحاول جاهدة طرد فكرة تعدي الحدود العملية مع (أيسر) ذلك الشاب الموهوب جمالًا واجتهادًا، هي معجبة به بكل تأكيد، طردت أفكارها من رأسها ثم أكملت ما كانت تفعله قبل أن تنسى وتهيم بخيالها بعيدا وبعيدا جدا عن الواقع.

***

فبراير 1988....

(دلال) تلك الشيطانة المتجسدة على شكل امرأة شديدة الجمال والقسوة، متضاربة المشاعر والأفعال، ضحية مجتمع مريض انغلق على ذاته حتى تعفّن وأصبح كل من به قابل للعنف و القسوة وانعدام كل ما هو خير و إظهار كل ما هو سيء وضار، انتزع النور من صدورهم وأنتج بدلًا منه ظلاماً احتلّ كل جوانبهم، (دلال) تلك الفتاة الصغيرة التي تناوب كل من بالمجتمع على



اغتصـاب روحهـا النقيـة، اغتصـاب جسـدها الهزيـل، اغتصـاب إرادتهـا الواهنـة، اغتصـاب طفولتهـا وبرائتهـا، أفقدوهـا عذريـة فطرتهـا النفسـيّة والجسـدية، أبٌ رحـل باكـرًا تركهـا فى أحضـان الفقـر وتـرك أمهـا في أحضـان زوج جديـد، أول الجنـاه كان هـو، أول مـن أحالهـا إلى شيطانه وأول مـن جعـل منهـا أداة للـشر وقـد اكتـوى بنارهـا، هربـت بعيـدًا بعـد أن قتلتـه و تحملـت الام العواقـب خوفـا عـلى ابنتهـا، اعدمـت واصبحـت (دلال) وحيـدة، هربـت إلى أرض جديـدة وأصبـح اسـمها الجيّـد (دلال)، (دلال) التـي لا يمكـن الوقـوف أمامهـا، فمبجـرد معادتهـا تخسر كل شيء.

كانـت تفكـر في مـا مـضى وقـد انهمـرت دموعهـا وأفاقـت عـلى بـكاء قـادم مـن غرفـة مـا مجـاورة لغرفتهـا، تبدّلـت عينيْهـا الدامعتـان إلى عينـين قاسـيتين وخـرج صوتهـا مرتفعـاً كقمـة جبـل مـازال ينمـو حتـى تخطـى السـحاب قائلـةً :

- إنتـى يـا زفـت منـك ليهـا، قومـوا شـوفوا العيـال اللـي بتعيـط دي، مـش كفايـة لمّاكـوا مـن الحـواري والشـوارع وأوياكـوا في بيتـي واكلـين شـاربين وشـغالين.

انفتحـت جميـع الغـرف وخـرج منهـا الكثـير مـن السـيدات متفاوتـة الأعـمار ودخلـوا إلى غرفـة واحـدة تلـو الأخـرى وتتبعتهـن هـي لتجدهـنّ ممسـكات بعـدد كبـير مـن الأطفـال تخطـوا الخمسـين نائمـين أرضًـا بجانـب بعضهـم البعـض، نظـرت إليهـم (دلال) وقالـت ...

- اللـي بقالـه شـهر هنـا أو أكـتر ينـزل مـن بكـرة معاكـوا الشـارع فاهمين؟وخلـوا بالكـم البوليـس بيـدور عـلى نـص العيـال دي، اللـي تتمسـك فيكـم تشـيل شـيلتها وإوعـى حـد يجيـب سـيرتى إلا ودينـى هتكـون آخـر يـوم ليـه عـلى وش الدنيـا وانـا ايـدى طايلـه حتـى جـوه السـجن ،فاهمـين؟.

ثـم تركتهـم واتجهـت إلى غرفتهـا وأغلقـت خلفهـا لتعـود إلى مـا كانـت تفكـر فيـه وانهمـرت دموعهـا مـن جديـد عـلى حـال لا يرضيهـا ومـاضي لا تنسـاه.

***





الفصل الثالث....

«للقدر أسبابه الخاصة في وضعك ببداية طريق ما ثم يفرض قوانينه التي يجب أن تسير عليها، بعدها يضع العقبات أمامك ولا يعطي لك حلولًا وفي النّهاية تتحمل أنت وحدك نتيجة كلّ ما حدث وإلى أي نهاية طريق وصلته أنت عنوة، لكنك تستطيع تغيير كل هذا بالفرار إلى قدر جديد له أسبابه وقوانينه وعقباته وما يفرضه عليك والخلاصة أنه ليس هناك مهرباً مما قُدِّر لك».



بالقـرب مـن فيـلا كبـيرة المسـاحة بحديقـة واسـعة بأحـد الأحيـاء الراقيـة يقـترب رجـل الأعـمال (فـادي هـارون) بسـيارة حديثـة الطّـراز ويدخـل إلى جراجهـا في هـدوء تـام كعهـد تلـك الأماكـن المعـدّة خصيصًـا مـن أجـل الهـدوء و الخصوصيـة، هبـط مـن سـيارة واتّجـه إلى الداخـل وهـو ينهـي مكالمـة هاتفيـة انتهـت بقولـه...

- نفّـذ مـن غـير مـا تقعـد تسـأل كتـير، إنـت مـن إمتـى بتسـألنى عـن حاجـة بطلبهـا منك؟إوعـى تنـسى أنـا مـين وإنـت مـين؟

أنهـى مكالمـة وهـو يقـترب مـن شـابة في عقدهـا الثالـث مـن العمـر، بيضـاء البـشرة صاحبـة عينـين خضراويـن وقـوام متناسـق يتـدلى عليـه شـعر أسـود طويـل إلى حـد مـا، تجلـس أمـام تلفـاز ضخـم تشـاهد برنامـج مـا فى شرود، لم تشـعر بـه إلا عندمـا وضـع يـده عـلى كتفيهـا وقبّـل رأسـها لتفيـق مـن شرودهـا وتنـزع يـده بحـدّة وتتحـرّك فى اتجـاه السـلالم التـي تقـود إلى أعـلى مـن دون أن تتكلـم أو تـبرر فعلتهـا.

نظر لها (فادي هارون) في غضب وارتفع صوته باسمها قال...

- مريـم ،إنتـى عارفـة إنى بكـره النكـد، وبكـره أكـتر إنـك تتجاهلينـى بالطريقـة دي، في إيـه؟

تحـرّك خلفهـا صاعـدًا إلى الجـزء العلـوي مـن الفيـلا التـي لا تقـل جـمالًا وبزخًـا مـن الجـزء السـفلي، اتّجهـت إلى غرفـة النـوم فتبعهـا فى غضـب، وجدهـا تسـحب الغطـاء فـوق جسـدها الشـاب مقارنـة بجسـده المسـن فجلـس بالقـرب منهـا وقـال...



- أنا قلتلك طلاق مفيش إلا لو قولتيلى عاوزة تطلقى ليه ؟ غير كده إنسى وهغير معاكي المعاملة.

نظرت له في حدّةٍ ثم اعتدلت وقالت بنبرة هجومية...

- مش طايقاك يا أخى، واحدة زيي كان فين عقلها لما اتجوزت واحد قد أبوها، أنا عاوزة أتطلق ومش عاوزة أشوف وشك تاني، فهمت.

مسح على وجهه محاولًا أن يتماسك قبل أن يصيبها بضرر فهو يعلم نفسه جيدًا وقت الغضب، ويعلم ما تؤول إليه الأمور عند اقتراب أحد من كرامته وإهانته، قال بهدوء...

- اكتشفتي دلوقتي فرق السن يا مريم ؟ ولا خلاص شبعتي بعد لما كنتي مش لاقية تاكلي أنتي و أهلك، إنتي نسيتى أنا جيبتك منين وعملت عشانك إية ؟ لو نسيتى أفكرك أصلك.

نظرت له في غلّ ملحوظ واتّجهت إلى خزانة الملابس وفتحتها ثمّ أخذت في مليء حقيبة بالملابس في غضب، وقف واتّجه إليها وحاول احتضانها فدفعته بعنف وقالت...

- إوعي تلمسني، إنت راجل حرامي ومشيك مشبوه.

اتّسعت عيناه من هوْل ما قالته، أمسك بزراعها فى غضبٍ وارتفع صوته وقال...

- إنتي بتقولي إيه؟ جيبتي الكلام ده منين ؟ انطقي.

حاولت نزع زراعها بالقوة ففشلت فرغم تقدمه في السن إلا أن جسده مازال يتمتع بقوة وكبرياء كمن يحمل ترياق ضد الزمان، أعاد كلماته وأصبح يؤلمها الآن فقالت...

- إوعى إيدك النّجسة دي.



ثـم صفعتـه بوَهَـنٍ، لم يتمالـك نفسـه تلـك المـرة وصفعهـا بقـوة لتقـع أرضًـا بفـم دامـيّ تتألّـم بشـدة وهـي تبـكي ،أمسـكها مـن شـعرها الطويـل بقسـوة وألقاهـا فـوق الفـراش ثـم قـال...

- واضـح إنـك نسـيتي نفسـك، أنـا هرجعلـك تـاني الصبـح تقوليـلي مـين الـلي قالك كـده وبعدهـا ممكـن أطلقـك وأرجعـك تـاني للحـارة الـلي جبتـك منهـا، واضـح انى كنـت لـين معـاكي زيـادة عـن الـلازم.

خـرج وأغلـق خلفـه البـاب بقـوة ثـمّ سـمعت صـوت إغـلاق المفتـاح مـن الخـارج، وضعـت يدهـا عـلى فمهـا وبـدأت في البـكاء وهـي تمسـك ببطنهـا فى ألم.

***

وسـط الظـلام وقـف الرائـد (عمـرو) ممسـكًا بكشـاف هاتفـه يحـاول فتـح بـاب العيـادة الخاصّـة بالطبيـب النفسـي (مجـدي)، لم يـرد أن يشـعر أحـد بوجـوده ففَضّـل أن يدخـل إلى تلـك العيـادة ليـلًا وبهـدوء تمكّـن مـن فتـح البـاب ودلـف إلى الداخـل وأغلـق البـاب خلفـه بلطـف، عـلى ضـوء الكشـاف المنطلـق مـن هاتفـه بحـث عـن مفتـاح الإضـاءة ثـم بضغطـة واحـدة بـدّدَ الظـلام لتظهـر معـالم العيـادة جليّـة أمامـه، توجّـه إلى مكتـب الطبيـب مباشرة ليبحـث عـن تلـك الأشرطـة التى أدعـت زوجـة مجـدي وجودهـا.

غرفـة مرتبـة بدرجـة كبـيرة تحـوي مكتبًـا ضخـمًا عليـه الكثـير مـن المتعلقـات الخاصـة بطبيـب نفـسي متمـرّس وأبرزهـا تلـك القطعـة المعدنيـة المعلـق بهـا كـرات فضيـة صغـيرة لا تكُـفُّ عـن الارتطـام ببعضهـا البعـض برتابـة تـأكل الأعصـاب، مشـغل شرائـط صغـير الحجـم مـن أجـل تسـجيل الجلسـات، وهنـاك لافتـة عصريـة الشـكل مكتـوب عليهـا اسـم الطبيـب وبالقـرب مـن المكتـب هنـاك أريكـة مريحـة خاصـة بالاسـتجواب اللاوعيـي للمـرضى مـن أجـل إخـراج أكـبر قـدر مـن آلامهـم النفسـية الدفينـة وخلـف ذلـك المكتـب هنـاك مكتبـة تحتـل كامـل الحائـط تحـوي



الكثير من الكتب المتنوعة في كل المجالات وبالأخص العلوم النفسية والتي تدرس ميول الإنسان وأمراضه النفسية المعقدة.

ظلّ (عمرو) يتفقدها بحرص شديد حتى وجد ضالّته، صندوق صغير موضوع أسفل الرفوف ممتليء بالأشرطة الصغيرة وعلى كل واحد منهم اسم المريض وتاريخ الجلسة، أفرغ محتوى الصندوق ليجد بضعة وخمسين شريطًا، وضع يده على وجه وقد علم أنه عليه أن يستمع لكل واحد منهم وذلك سيستغرق وقتًا كبيراً بالتأكيد وإن كان يريد حلاً سريعًا سيكون عليه أن يبدأ الآن، أخرج مشغل الصوت الخاص به من معطفه الأسود ووضع به الشرائط وبدأ في الاستماع إلى أول شريط ليجد صوت الطبيب (مجدي) بدأ حديثه موجهًا كلامه إلى أحد المرضى قائلًا...

- بص بقى يا أشرف، أنا عاوزك تريح جسمك خالص وتغمّض عينك وتحكيلي أكتر حاجة مسبباك مشاكل، يعني حاجة لما بتفتكرها بتأثر على نفسيتك، حادثة، موقف، فترة زمنية.

أخرج (عمرو) سيجارة وأشعلها وبدأ في الاستماع بحرص إلى كل ما يُقال ثم اتّجه إلى المكتب وبدأ في فتحه وفضّ محتوياته وتصوير كل ما يمكن أن يكون دليلاً قد يساعده لاحقا في تحقيقه.

اقترب الفجر على البزوغ وقد شعر الرائد (عمرو) بالإحباط وقرر أن يأخذ تلك الشرائط معه إلى مكتبه ويكلّف أحد الضباط بسماعها، وضع الشرائط داخل الصندوق وأخذ بعض من الأوراق التي تحوي أسماء المرضى والتي قد تساعد فيما بعد لحلّ تلك القضية، حَمَلَ الصندوق واقترب من باب الغرفة ثم توقّف قبل أن يخرج والتفت إلى المكتب ونظر إلى مشغّل الصوت الموضوع فوق سطحه، أحس أن عليه أن يتفقّده هو الآخر، تقدّم نحوَ المكتب ووضع فوقه الصندوق ثم أمسك بمشغل الشرائط ليجد بداخله شريطًا بالفعل، ضغط



زر التشغيل ليجد صوت أحدهم معدّل ليصبح متضخماً وهو يقول....

- أنا كنت منتظرك تيجي المكتب وتسمع الشريط ده، أنا أكيد مكنتش أعرفك قبل كده، بس دلوقتي أنا عرفتك خلاص وعرفت عنك كل المعلومات، لو عاوز تحل القضية دي يا حضرة الظابط رد على التليفون اللي هيجيليك بكرة الساعة 10 بالليل من رقم مجهول ومتحاولش توصل لصاحبه عشان مش هتوصل لحاجة ولو وصلت هتوصل متأخر ومش هتكسب حاجة غير تضييع الوقت أنا هجرب أكلمك مرة واحدة بس، ودي هتكون فرصتك الوحيدة في الكلام معايا، أنا حابب ألعب معاك لعبة لو كسبت فيها هتحل القضية دي وهتعرف من اللي قتل الدكتور مجدي ومين اللي هيقتل الضحية الجديدة، اللستة لسه طويلة واللعبة لسه هتكبر فخليك قدّها.

صمتَ صوتُ ذلك الشخص وظلّ الشريط الفارغ مستمرًا في العمل حتى انتهى مدّته وقد ظهرت علامات الغضب على وجه الرائد (عمرو) أمسك بمشغل الصوت ووضعه داخل الصندوق وغادر المكتب وهو يغلق الإضاءة.

قبل أن يفتح باب العيادة ويخرج، انتابه القلق فوضع الصندوق أرضًا وأخرج سلاحه النّاريّ و أعده للتصويب ثمّ انحنى وحمل الصندوق من جديد، أغلق الإضاءة وفتح الباب برفق ثم أغلقه بهدوء وصار وسط الظلام بخطوات حذرة يتلفّتُ حوله فهو مراقب الآن بكل تأكيد.

***

صوتُ كعبِ حذائها يُصدرُ ضجيجًا يعرفهُ الجميع، تلك السرعة التي تجتازُ بها كل المكاتب في طريقها إلى مكتب رئيس تحرير الجريدة (شادي العمروسي) تعلن عن خبر آخر صادم وحصري، هي تستطيع أن تتخطى العقبات وتحصل على كل المعلومات التي تريدها بوصفة ما سحرية أعدتها لها ساحرة تحمل عصًا قصيرة وتصنع بها المعجزات، لقد أعتلت القمة داخل الجريدة في وقت



قصير واكتسبت ثقة الجميع بما فيهم رئيس التحرير التي أصبحت الآن أمام مكتبه تعدل من هندامها المناسب لشخصيتها و جمالها المتواضع، طرقت الباب في رفق وانتظرت الإجابة ليأتي الرد من صوت رجولي ذات مسحة أنثوية مربكة لسامعها...

- أدخل.

وضعت (يسرا) يدها على المقبض ثم أدارته وفتحت الباب لتجد رجلاً قصير القامة، ممتلئ الجسد يجلس خلف مكتب عملاق مقارنةً بحجم جسده الضئيل، ذو نظرة جدية لا تختفي أو تذوب مع الحديث، اختفت شعيرات منتصف رأسه الضخم لترسم طريقًا ممهداً خمري اللون بين شقين من السواد المختلط بشعيرات بيضاء ليرسم مشهداً لا يسر الناظرين، عينه تبدو صغيرة الحجم خلف تلك العوينات مقعّرة الشكل نظر بهما إلى مَن دخل للتوّ ثم قال...

- تعالي اقعدي يا يسرا، أتمنى تكوني جايبة خبر قوي وحصري ذي ما عودتيني.

رنّ حذائها لعدد مرات قليلة حتى جلست هي على الطرف الآخر من المكتب العملاق الأشبه بسفينة نوح بما يحمله فوقه من الأوراق والأقلام وشتّى مظاهر صناعة الخبر من صور وتقارير وموافقات.

وضعت الملف الكبير التي كانت تحمله بين يدي القصير صاحب الكلمة العليا هنا داخل تلك الجريدة، شرع في قراءة على الفور وفضّ ما به من معلومات وبدأت هي في الحديث قائلة...

- الصور والتقارير اللي قدام حضرتك تخص مجدي فرحات، طبيب نفسى معروف وناجح، الأسبوع اللي فات حصلت حادثة كبيرة قريبة من منطقة مصر الجديدة عبارة عن 3 عربيات خبطوا في بعض وكانت النتيجة كارثية مات فيها ناس كتير، المهم مجدي كان واحد منهم بس مماتش بسبب الحادثة،



مجدي مات مقتول برصاصة جت فى نص راسه وهو سايق عربيته على سرعة عالية وده اللي سبب الحادثة يا ا/ شادي.

رفع (شادي) عينه الضئيلتين فى اتجاه (يسرا) وقال...

- قناصه !!! يعني طبيب نفسي هدف لقاتل مأجور بيعمل لحساب أحد الفاسدين أراد تصفية حساباته الشخصية، مانشت هايل بس ناقص معلومات كتير يا يسرا، يعني لو قدرنا نعرف أكتر عن الطبيب عشان نقدر نكون قاعدة جماهيرية تتابع الموضوع.

ابتسمت يسرا وقالت...

- أنا بالفعل لسه بجمع معلومات من مصادري الخاصة، بس أنا شايفة إننا نبدأ ننزّل الخبر ده اللي هتلاقيه مكتوب فى آخر صفحة عند حضرتك مؤقتًا، عشان يبقى سبق صحفي عندنا، الداخلية مقلوبة على اللي حصل وأكيد فى أكتر من جريدة تانية تابعت الموضوع بس احنا سابقين بخطوة، عندنا صور حصري.

أخرج (شادي) الخبر المكتوب من الملف وشرع فى قراءته حتى انتهى ثم قال بتعجُب...

- مين أيسر عبدالله الفوال اللي اسمه جنب اسمك ده ؟

ردت يسرا مسرعةً وقالت...

- ده مصدر الخبر وهو اللي بيتابع الموضوع، كمان هو اللي صوّر كل الصور اللي مع حضرتك دي، أنا كنت عاوزه بعد إذن حضرتك يعنى إنك توافق اسمه ينزل جنب اسمي على الخبر وبقية التحقيق بالكامل.

هزّ (شادي) رأسه متفهمًا ما ترمي إليه وقال...

- شكله ولد مجتهد وشاطر، ده باين من كلامك.



بسرعة اكبر ردت قائلة...

- شاطر جدًا يا فندم ومجتهد بجد.

ابتسم (شادي) وقال...

- خلاص مصدقك يا ستي، قوليله إني عاوز أقابله خلال الأسبوع الجاي وسيبيلي الخبر أراجعه وكمان أعمل اتصالات بوزارة الداخلية أحاول آخد موافقة منهم، عاوز أعرف خطورة الخبر على الرأي العام لما ينزل.

ابتسمت (يسرا) ووقفت ثم اتّجهت إلى الباب بعد أن شكرت (شادي) بكثرة، خرجت وأغلقت خلفها وبدأ صوت كعب حذائها في الطنين من جديد حتى اختفت داخل الرواق المؤدي إلى مكتبها.

***

الصّخبُ يملأُ المكان والجميع يتراقص على تلك الموسيقى الصّاخبة وتحت تلك الأضواء المتغيرة التي تُفقد الجميع حاسّة البصر وتتركهم يتخبطون فيما بينهم بنشوة تامّة، الكثير من الضغط العصبي والاضطراب النفسي يحلقان فوق المكان المزدحم عن آخره، فتيات بربع هندام وشباب قد بلغ منهم السُكر مبلغه، لقد أقام الشيطان حفلة على شرفه وقد لبّى الجميع.

بالقرب من ذلك الكَمّ من اللحوم المتعرّقة هناك شابٌّ حادّ الملامح، حليق الرأس، مفتون العضلات، ثائر الطباع، يجلس على كرسي مرافق للبار وتظهر عليه معالم العصبية المفرطة، ممسكاً بكوب ممتلىء عن أخره بالويسكي المختلط بقطع الثلج، ينظر إلى فتاة تتراقص بنصف وعي أمام شاب قد لاحظ فقدانها للاتزان وحاول أن يستغل ما بها من تيهٍ، اقترب منها مبتسمًا لتظهر أسنانه ناصعة البياض ثمّ وضع يده خلف ظهرها وجذبها نحوه بقوة لتسقط تلك كخرقة مهترئة بين أحضانه، شعر بفوز قريب وأخذ يمررُ يده بالقرب من مفاتن جسدها اللّين وقبل أن يصل إلى مبتغاه بادره ذلك الشاب حاد الملامح



بلكمة أدمت وجهه وأسقطته أرضًا، سادت حالة من الهرج وتوقفت الموسيقى وعلا صوت الصراخ وتحولت الساحة الخاصة بالرقص إلى ساحة للعراك.

تجمّع حول الشاب عدة أفراد يحاولون النّيل منه ويبدو أنهم حرساً خاصاً بذلك الذي فقد ثلاثة من أسنانه البيضاء و التي أصبحت حمراء قانية الآن، ممسكين بأسلحة ناريّة، وضع ذلك الشاب المحاصَر يده داخل سترةٍ وأخرج سلاحاً نارياً ثم سحب أجزاءه استعدادًا لإطلاق النار، صرخت تلك الفتاة بعد أن استعادت جزءاً من وعيها وقالت وهي تتّجه إلى ذلك الثائر...

- رشاد، خلاص يا رشاد، يلا نمشى.

لم يستمع إليها ثم أوقفها خلف ظهره وأكمل فى تحديه الخاسر فواحد مقابل أربعة هى معادلة خاسرة بكل المقاييس، وقف الشاب الدامي مترنحًا وأمر حراسه أن يقتلوه قائلًا...

- صفّوا الكلب ده حالًا، هو والبت اللي معاه دي، إنت متعرفش أنا مين يا ابن الكلب.

لم يهتز ساكنًا ل(رشاد) الذي نظر إلى عين الشاب المتحامي خلف رجالة ثم نظر إلى أعلى في اتجاه أحد ما يقف بالقرب من لوحة التحكم في إضاءة المكان متأهّبًا وفي أقل من ثانية انقطعت الإضاءة و سمع دوي إطلاق ثلاثة رصاصات متتالية وعندما عاد الضوء بعد أقل من دقيقة وجد الحراس ذلك الشاب الذين يعملون تحت إمرته ملقى أرضًا خلفهم ينازع الموت فى آخر لحظاته، بحثوا عن (رشاد) وتلك الفتاة في كل مكان ولم يجدوه فعادوا خائبين إلى جثمان الشاب الهامد وعلى ملامحهم خيبة أمل وخوف مما سيحدث لهم بعد أن يعلم والد ذلك الشاب ما حدث.

***



داخل غرفة نوم قليلة الإضاءة المائلة إلى الاحمرار وفوق فراش يتوسط الغرفة ويهتز بشدة جراء حركة يصدرها ممّن همّ فوقه متزامنا مع أصواتهم التي تنبيء بوصولهم إلى أقصى درجات النشوة الجنسية هناك كاميرا موضوعة بإتقان في زاوية علوية من السقف قد صورت كل ما حدث بأدق تفاصيله، قلّت الأصوات وهدأت الأنفاس وانفصل الجسدين ليصبحا متجاورين واتضحت معالمهما جلية، اعتدلت إيناس و التقطت ملابس خفيفة ملقاه أرضًا ووضعتها فوق جسد ينتحب من كثرة انتهاكه ثم التفتت بوجهها الملائكي المبتسم دائمًا كقناع حجري قد نحت إلى ذلك الرجل، مُخرج آخر أعمالها الذي مازال قلبه يدق بقوة من فرط اللّذة طالبًا المزيد ثم قالت....

- عجبتك السهرة الخاصة؟

زحف نحوها كذئب جائع ليكمل نهشه في جسدها الحريري، قبّلها عدة قُبلات تفرقت على جسدها ثم قال ...

- ويا ريت نكررها تاني.

وقفت (إيناس) واتجهت إلى المرآة وهي تنظر إليه في انعكاسها وقالت...

- لا أنت كان عندك أمنية وحيدة وأنا حققتهالك، بس يعني لو حابب نكررها لازم يكون في مقابل ولا إيه؟

بلعاب سائل ووجه إبليسي نظر لها سارحًا وهزّ رأسه موافقًا ثم هبط من فوق جبل العهر لاهثًا حتى وصل خلفها واحتضنها بقوة وأغرقها قبلات حارقة لا تطيقها لكنها لا تقوى على رفضها فمن سقط من السماء طردًا لا يمكنه العودة أبدًا وعليه أن يكمل في طريقٍ أسودٍ باردٍ موحشٍ.

نظرت له ثم قالت...

- انا ليا عندك طلب.

***



فبراير 1995....

تحـت الأمطـار البـاردة وأسـفل السـحب الرّعديـة طفـل يرتـدي ملابـس باليـة مرقّعـة أشـبه بروحـه، حـافي القدمـين، متسـخَ الوجـه واليديـن، يقـترب مـن سـيارة تقـف في أحـد الإشـارات مغلقـة زجاجهـا إتقـاء الـبرد القـارس، ينعـم مَـن بداخلهـا ببعـضٍ مـن الـدفء والونـس، يطـرق الطفـل عـلى زجـاج مَـن يقودهـا دون اسـتجابة، ينتظـر لحظـات ثـم يتحـرك إلى السـيارة التـي تليهـا يفعـل المثـل وينتظـر الإجابـة لكـن دون جـدوى، تشـتدُّ الأمطـار فـوق رأسـه الصغـير ويهشِّـم الـبرد عظامـه الرقيقة دون مقاومـة أو تذمُّـر منـه، أوشـكت الإشـارة عـلى أن تتغـيّر لونهـا إلى الأخـضر وتسـمح بمغـادرة السـيارات دون أن يعطيـه أحدهـم مـالاً، طعامـاً، ابتسـامةً، أي شيء، وجهـه الضئيـل يـزداد عبوسًـا ونفسـه تمتـليء حنقًـا، انتهـت المهلـة وانطلقـت السـيارات لتغرقـه بالطـين دون إكـتراث، توجّـه إلى الرّصيـف وجلـس منكفئًـا في انتظـار محاولـة جديـدة في يومـه الطويـل، يجـب أن يعـود بقـدر مـن المـال، لا يريـد ندبـة أخـرى تضـاف إلى ندبـات جسـده و نفسـه، لا يريـد مزيـدا مـن الألم، كـم هـي ظالمـة تلـك الحيـاة لتقسـو عـلى مـن لم يتخـط عمـره عـدد أصابـع اليـده الواحـدة لكنـه حمـل هَـمّ قـرون.

***



الفصل الرابع

«كلًا منا مشقوق إلى نصفين أحدهما تمكّن منه النور والآخر تفشّى به الظلام وأنت تحيا ما بين أرغام كل نصف على تقبل الآخر والمعظم يفشل ويسقط داخل فوهة أحدهم ليدمغ على لوْن إمّا أبيضًا منيراً أو أسوداً قاتماً».



بزيه الرسمي (الميري) والذي يحمل فوق كتفيه نسرين من ذهب يتقدم (عمرو) بخطوات ثابتة في اتّجاه مكتب قائده المباشر والذي كان قد كلفه بتلك القضية فور وقوعها رغبة منه في حلها في وقت قصير كما تعود منه، هدأت خطواته عندما اقترب من باب مغلق يقف بالقرب منه عسكري نظر له (عمرو) وسأله بنبرة صارمة قائلًا...

- العقيد ماجد كمال في مكتبه يا ابنى؟.

بعد أن أدى ذلك العسكري التحية العسكرية رد سريعًا قائلًا...

- موجود في مكتبه يا فندم.

ثم طرق الباب وانتظر قدوم صوت العقيد (ماجد) من الداخل يسمح له بالدخول ليفتح الباب ويشير إلى الرائد (عمرو) أن يدخل وما أن دلف إلى الداخل حتى أغلق خلفة في سرعة وحزم.

فور دخول (عمرو) نظر إليه رجل فى آخر عقده الرابع من العمر يتحدث عبر الهاتف، متوسط القامة، متناسق الجسد، ذو شارب ثقيل وعينان ملونتين غائرتين وجبهة عريضة وشعر ناعم، كان يجلس خلف مكتب فخم يحمل الكثير من الملفات الأمنية والتى لا تنتهي أو يقل عددها عن المألوف، أشار إلى الرائد (عمرو) أن يقترب ويجلس حتى ينتهي من مكالمة هامة ويبدو أنها من مسؤول رفيع داخل وزارة الداخلية.

أنهى المكالمة ثم قال بصوت غليظ...



- إيه الأخبار يا حضرة الرائد ؟ وصلت لحاجة جديدة فى القضية ولا لسه ؟ إحنا داخلين على أسبوع وعاوزين نخلص ورانا هَم كبير وقضايا تانية.

خلع (عمرو) غطاء الرأس وقال بصوت منخفض احترامًا لمن يعلوه رتبة...

- لسه يا فندم، الموضوع مش سهل خالص، أنا فى انتظار تقرير الطب الشرعي والأدلة الجنائية اللي اتأخر عن عادته، كمان محتاج مساعد ليا لو سمحتلي.

مرر العقيد (ماجد كمال) يده بين خصلات شعره أسود اللون ثم ابتسم وقال...

- مساعد ؟ تصدق أنا دايما بكون على صواب، أنا بالفعل عينت مساعد ليك عشان ننتهي من التحقيقات بسرعة وده ممكن يوفر وقت طويل ومجهود كمان، في نقيب اسمه (مروان السمّان) ظابط شاطر جدا تقدر تقول وارث الميرى أبا عن جد ابن اللواء عماد السمّان الله يرحمه، أنا خدمت معاه وأنا لسة نقيب، كان أسطورة بجد فى حل القضايا، حسه الأمني عمره ما خيب، مروان زمانه على وصول.

أومأ (عمرو) برأسه دليلًا على الموافقة ثم قال بسرعة...

- ليا طلب كمان لو سمحت يا فندم.

نظر له العقيد (ماجد) منتظرًا طلبه فقال...

- محتاج خبير أسلحة وخاصة أسلحة القنص.

وضع العقيد (ماجد) يده أسفل ذقنه وقال..

- أنت شاكك أن القاتل قنّاص محترف بقى، طيب أنا أعرف حد شاطر جدًا ممكن نستعين بيه، هكلمه وأخليه يتواصل معاك، بس قولي الأول أنت بتفكر فى إيه؟



اعتدل (عمرو) فى جلسته وقال...

- أنـا شـاكك إن القاتـل ده بنسـبة كبـيرة قاتـل متسلسـل وبينفـذ أجنـدة إجراميـة فى مصر.

ظهرت معالم الصدمة على وجه العقيد (ماجد) ثم قال...

- ليه بتقول كدة ؟ أنت فى حاجة وصلتلها؟

صمت (عمرو) للحظات قبل أن يقول...

- في حـد بيحـاول يلعـب مـع الداخليـة لعبـة وسـخة ويسـوأ سـمعتها ويبينهـا ضعيفـة يـا فنـدم قـدام الـرأى العـام، القاتـل سـابلى تسـجيل بصوتـه وقـال إن دى مـش هتكـون آخـر جريمـة.

حك العقيد(ماجد) أنفه ثم عاد بظهره واستند على كرسيه الوثير وقال...

- قاتل متسلسل وقناص محترف : اممم، طب إنت ناوي على إيه؟

نظر (عمرو) إلى الفراغ ثم قال...

- لسـه مـش عـارف يـا فنـدم، أنـا هسـتنى تقريـر الأدلـة الجنائيـة والطـب الشرعـي وبعـد كـده هرتـب أفـكارى...

طـرق البـاب ثـم دلـف بعـد أن أذن لـه شـاب طويـل القامـة ذو ملامـح طفوليـة وعينـان خضراوتـان لديـه مـن الوسـامة مـا يتيـح لـه قـدر كبـير مـن القبـول، أشـار له العقيـد (ماجـد) أن يقـترب ثـم بـدأ فى تعريـف الضابطـين بعضهـم إلى بعـض وبعـد عـدة دقائـق كان الضابطـين في طريقهـما إلى مكتـب التحقيقـات كي يرتبـا أفكارهـم وكي يطلـع الرائـد (عمـرو) النقيـب (مـروان) عـلى ملابسـات القضيـة ويكلفـه بجـزء مـن العمـل.

***



شـاب في عقـده الثـاني مـن العمـر لديـه عينـين ذابلتـين يحيـط بهـما السـواد وجسـد متناسـق نوعًـا مـا، يجلـس داخـل سـيارة حديثـة الطـراز وبجانبـه فتـاه شـبه عاريـة يسـتمعان إلى موسـيقى غربيـة وتظهـر عليهـم النّشـوة، يخـرج كيسًـا شـفافاً بـه مسـحوق هروينـي أبيـض ثـم يضـع بعـض منـه عـلى ظهـر يـده لتقـترب الفتـاة وتسـحب المسـحوق عـبر فتحـة أنفهـا وتعـود بظهرهـا في راحـة وغيـاب للعقـل دام لثـواني حتـى أفاقـت منـه وقبّلـت الشـاب بقـوة، وضـع كميـةً أخـرى عـلى ظهـر يـده وفعـل المثـل ثـم بـدءا فى تقبيلهـا بعنـف في غيـاب تـام للوعـي.

اقتربـت سـيارة شرطـة بداخلهـا ضابطـين دوريـة، اشـتبهوا فى تلـك السـيارة الحديثـة التـي تقـف في مـكان مظلـم وبداخلهـا أجسـاد تتحـرك فى الظـلام، هبطـا الضابطـين ثـم توجهـوا بحـرص إلى السـيارة ليجـدوا ذلـك الشـاب والفتـاة في حالـة خـدر تـام ويقومـان بأفعـال فاضحـة، طـرق أحـد الضُّبـاط عـلى الشـباك بقـوة كي يوقظهـما مـن غفلتهـما.

ارتبـك الشـاب وفزعـت الفتـاة مـن رؤيـة الضابطـين، أشـار لـه أحدهـما أن يفتـح البـاب وأشـهر سـلاحه النـاري، زاد ارتبـاك الشـاب وأدار محـرك السـيارة، تقـدّم أحـد الضبـاط ووقـف أمـام الشـاب مشـهرًا سـلاحه وهـو يقـول...

- بطّل العربية وانزل حالا.

بنصـف عقـل انطلـق الشـاب فجـأة ليدهـس ضابـط الشرطـة تحـت عجـلات السـيارة وينطلـق بهـا مسرعًـا، بـدأت الفتـاة فى الـصراخ فقـد قتـل ضابـط شرطـة للتـوّ وهنـاك آخـر سـوف يتعـرف عـلى أشـكالهم، ظلـت تـصرخ وهـي تقـول...

- الله يخربيتك يا أمير إنت موّت الظابط، إحنا روحنا فى داهية.

حاول الشاب تهدأتها وهو مازال منطلق بأقصى سرعة وهو يقول...

- متقلقيـش بابـا هيحـل المشـكلة دي، مـرة خبـط واد فى الشـارع وهـو حـل الموضـوع.



نهرته الفتاة بقوة وقالت...

- أبوك إيه ؟ بقولك ظابط ، إحنا انتهينا.

لم يتحمل الشاب نحيبها أطول من ذلك، أوقف السيارة وفتح الباب وألقاها في الخارج بنصف ملابس ثم انطلق مسرعًا كمن يفر من الموت من دون جدوى.

***

في ظلام الليل وفي طقس بارد داخل ظلام شقة خاوية من الأثاث سوى من سرير عصري قريب من الأرض وخزانة تحتل حائطاً كبيرٌ من الغرفة، هناك وفي ركن ما أشد ظلمة وبردًا من بقية المكان هناك شاب يجلس أرضًا عاري الجسد يرتعش بشدة، يبكي بقوة وينتحب بألم، يتذكّر كلَ ما مرّ به ،يتذكر وجه ذلك الطبيب النفسي قبل أن يصوب على رأسه ويرديه قتيلًا، ينتفض جسده كلما حاول إسناد ظهره على الجدار ليجده لوحًا من الثلج، تسمع أُذنه صوت الرصاص الذي يطلقه فتتعالى أنفاسه وتضطرب خواطره، بعد قرابة الساعة هدأ صوته وأصبح أقرب ما يكون إلى تمثال متحجر قد وضع فى ذلك الركن من الغرفة بالكاد تشعر أنه على قيد الحياة من تحرك صدره ببطء - شهيقا وزفيرا - ففي كل روح تسلب عن طريقه يموت من جديد، ملعون هو لعنة دمغت بالدماء وقد صنعت خصيصًا من أجله.

***

النقيب(مروان) يتحرك داخل أروقة المبنى الأمنى فى عجالة بعد أن أتاه اتصال من مسؤول الطب الشرعي و آخر من أفراد الأدلة الجنائية يخبروه أن التقرير الخاص بتشريح جثمان الضحية (مجدي) وكذلك تقريرالأدلة الجنائية قد تمّ الانتهاء منهما، حاول أن يتواصل مع الرائد (عمرو) كي يخبره لكنّه لم يجب على هاتفه وأرسل له رسالة أخبره فيها أنه سيعاود الاتصال به بعد



منتصف الليل، بعد عدة دقائق كان قد استقر داخل مكتب التحقيقات والذي أصبح له مكتب فيه مقابل لمكتب الرائد (عمرو)، فتح الباب بعد أن أدى ذلك العسكري ضئيل الجسد له التحية العسكرية ثم دلف إلى الداخل وأغلق خلفة وهو يقول...

- هاتلي قهوتي يا حازم.

خلع معطفه وعلقه على شماعة خشبية أعدت لذلك، تحرك إلى مكتبه ليجد فوقه صندوقاً صغير الحجم مكتوباً عليه (هام للغاية) وبجانبه ملفيْن أحدهما يحمل العلامة الخاصة بختم الطب الشرعي والآخر قادم من الأدلة الجنائية، جلس وأمسك بالملف الأول الخاص بتشريح جسد الضحية وبدأ بتفقده ليجد بداخله...

- بعد تشريح الجثمان الخاص بالضحية والشروع فى معرفة سبب الوفاة وميعاد الوفاة وتاريخها تبيّنَ أن المجني عليه قد لقي حتفه بعد أن أصيب بعيار ناري قد اخترق رأسه و أحدث فجوة في منتصف الجبهة بقُطر 308 بوصة مما أدى إلى انفجار جزء كبير من الرأس وأدى ذلك إلى الوفاة في الحال، إما عن بقية الكسور و الكدمات ومضاعفاتها والنّزيف الداخلي وكل الإصابات الموجودة في جسد الضحية فهي ناتجة عن انقلاب سيارة المجني عليه أثناء الحادثة، لم يتم تبيّن ماهية العيار الناري حتى الآن لعدم تعرّض الطب الشرعي لذلك العيار الناري الذي يمكنه أن يسبب تلك الفجوة الكبيرة من رأسه لكن تبين لنا بعد الفحص أنه قد تم إطلاق ذلك العيار من مسافة قد تتعدى ال900 متر أو أكثر مما يثير الشكوك حول قاتل محترف القنص، وهذا كل ما تبيّن لنا، مرفق مع التقرير تصريح يفيد إمكانية استلام أهل المجنى عليه للجثمان في مدة أقصاها يومين من تاريخه .

أغلق النقيب (مروان) التقرير الخاص بالطب الشرعي وقد ظهرت عليه



معالم الريبة والقلق ثم أمسك بالتقرير الخاص بالأدلة الجنائية وقبل أن يقرأه بدأ فى فتح الصندوق وفضّ محتوياته ليجد بداخله عدة حاويات شفافة صغيرة الحجم تحمل أحدهم كارتاً اسودً مرسومٌ عليه شخص يرتدي السواد أمسكه ونظر إليه بتركيز ثم وضعه على سطح المكتب وأمسك بغيره ليجدا بداخله رصاصة كبيرة الحجم لم يعتاد على رؤيتها من قبل أخذ ينظر إليها من كل الزوايا ثم وضعها بجانب الحاوية الأخرى، ثم أمسك بآخر حاوية شفافة ليجد بداخلها هاتفًا جوالًا كان يعود للمجني عليه، نظر بداخل الصندوق فلم يجد شيئا ، وضع بداخله تلك الحاويات الشفافة ثم بدأ في قراءة ما جاء بالتقرير بتركيز كبير ليجد بداخله...

- بعد فحص مسرح الجريمة المتضمنة جسداً وملابس المجني عليه وسيارة وما تحويه لم يتم العثور على أي بصمات تدل على أي شخص آخر غير المجني عليه داخل السيارة ومن فحص ملابسة تبين وجود بصمات تعود إلى عدة أشخاص وتم إرفاق أسمائهم فى قائمة مرفقة فى آخر صفحات التقرير، إما عن ما تم إيجاده من أدلة قد تساعد في التحقيقات فقد تم إيجاد عيار ناري لم يستدل على نوعه سوى أن قطره 308 بوصة بالتقريب وعليه آثار دماء تحمل الحمض النووي للمجني عليه وتم إيجاد كارت بمواصفات خاصة لم تكن تحمل بصمات عليها سوى بصمات المجني عليه وفي النهاية تم إيجاد الهاتف الجوال الخاص بالمجني عليه وقد تم وضعهم داخل صندوق وإرسالهم مع التقرير.

انتهى (مروان) من التقرير ثم بدأ فى فحص الأسماء المرفقة الخاصة بالبصمات التى تم رفعها من على ملابس المجني عليه فوجد أن أول الأسماء يعود إلى زوجته (جيهان) والأخرى تعود إلى أنثى أخرى وبعد التحري عنها تبين أنها سكرتيرته الخاصة (دارين نور التلباني) التي تعمل لديه داخل العيادة.

دوّنَ (مروان) تلك الملاحظات داخل أجندة خاصة به ثم أخرج هاتفه



وحاول الاتصال مرة أخرى بالرائد (عمرو) ليجده مشغول فيبدأ في وضع خطة ما تم كتابتها وترك نسخة منها على مكتب (عمرو) وتحرك هو إلى الخارج كي يبدأ فى التحريّات عما وجده داخل التقارير وبالأخص عن (دارين) وعلاقتها بالطبيب (مجدي) المجني عليه غدرًا ويبدو أنه كان هدفًا لأحدهم.

❊❊❊

يصل (أمير فادي هارون) إلى فيلا والده وهو مازال مضطربًا بعد أن دهس منذ أقل من ساعة أحد رجال الشرطة وقد لاذ بالفرار بعدها وألقى برفيقته شبه عارية في أحد الطرق الخالية، لقد ارتكب لتوّه جريمتين ولجأ إلى والده كالعادة كي يخرجه من مصائب لا تُحصى، دخل بسيارة حديثة الطراز إلى جراج الفيلا ثم أوقف عمل محركها الذي يعادل عددًا لا يحصى من الأحصنة، هبط منها واتّجه مسرعًا وهو ينادي بصوت مرتفع على والده قائلًا....

- بابا !! بابا !!

سمع (فادي هارون) صوت ابنه قادمًا من الخارج وهو يعلم جيدًا تلك النّبرة في صوته، طريقة يعلمها جيدًا وقت المصائب التي يجترأها خلفه في كل عام وفي بعض الأحوال كل عدة أشهر، اتّجه إلى صوت ابنه المفزوع حتى وجده يهرول في اتجاه وهو يتلعثم بالكلام و لا يستطيع التنفس بشكل منتظم وجيد فربّت على كتفه وقال...

- إهدى يا أمير، إهدى يا حبيبي، فى إيه؟

هدأ ذلك الشاب المتهور كثوْر مندفع في حلقة قتال ميتادوري لا يأبه بمَن حوله أو بقدر الخسائر التي قد يتسبب فيها لشخص ما، الوفرة من المال مُحاطة بحصانة من السلطة والكثير من الأمان كفيلة أن تجعل أحدهم يحيا حياة الغابة غير آبه بأي أحد، ابتلع ريقه بصعوبة ثم قال وبدأت دموعه تنساب كطفل صغير حطّم دُمية وبدأ قائلًا...



- بابا، أنا خبطت واحد بالعربية.

نظـر (فـادي) داخـل عـين ابنـه (أمـير) الـذي يحبـه بشـدة ويكـره وجـوده في الحيـاة، شـعور غريـب لكنـه يـرواده دائمًـا، كتـم غيظـه وقـال بهـدوء مصطنـع..

- خبطتـه فـين ؟ إنـت كنـت فـين أصـلا؟ وده حصـل إمتـى؟ إنطـق إيـه الـلي حصـل يـا ابـن الكلـب؟

آخر كلمة جائت مرتفعة جعلت ذلك الشاب يرتعد ويرد مسرعًا....

- كنـت في المقطـم مـع سـوزي قاعديـن جـوه العربيـة، فجـأة لقينـا ظابطـين قدامنـا و فى واحـد وقـف قـدام العربيـة يزعـق والتـاني فضـل يخبـط عـلى الإزاز كان هيكـسره علينـا، أنـا خفـت وجريـت بالعربيـة وخبطـت واحـد منهـم.

وضـع (فـادي) يـده عـلى وجهـه فى غضـب ثـم لـف بجسـده وأعطـى ظهـره إلى (أمـير) وتمنـى لـو أطلـق عليـه النـيران لكنـه فشـل في أخـذ ذلـك القـرار، قـال بصـوت مرتفع..

- خبطته ولا دست عليه ؟

ارتبـك (أمـير) وعـاد بظهـره إلى الخلـف بعـد أن أحـس بموجـة عارمـة سـتجتاحه بعـد مـا سـيقوله، ابتعـد عـدة خطـوات وقـال...

- دست عليه وجريت.

التفت(فـادي) بوجـه يحمـل ألـف شـيطان بنيرانهـم وغضبهـم وكبريائهـم ثـم انهـال بالصّفـع والـرّكل عـلى وجـه وجسـد ابنـه (أمـير) وتخلـل كل ذلـك سِـباب لـه ودعـوات بالسَّـخط عـلى إهمالـه واسـتهتاره ووجـوده في الحيـاة، توقـف بعـد أن أدمـى وجـه ابنـه وارتفـع صوتـه مناديًـا عـلى أحـد مـن حرسـه الشـخصي بالخـارج قائـلًا....

- رشاد !! يا رشاد !!



دخل مسرعًا من باب الفيلا رشاد وبدا عليه الجدية والاستعداد وقال...

- أؤمر يا فادي باشا.

اقترب (فادي) من (رشاد) ووضع يده على كتفه وقال...

- رشاد أنا عاوزك تاخد الواد ابن الكلب ده توديه على شاليه اسكندرية وتخفيه خالص وتروح تدور على البت اللي اسمها سوزي دى و تخفيها هي كمان وبعد كده ترجعلى نشوف هنعمل إيه، يلا حالًا.

أومأ (رشاد) برأسه بالموافقة ثم أنحنى وجذب (أمير) بقوة و رفعه عن الأرض ودفعه إلى الخارج وهو يقول...

- اعتبره تم يا فادي باشا.

بعد أن خرج الاثنان من الفيلا انفعل (فادي) وبدأ في تكسير كل شيء أمامه داخل الفيلا وهو يقول (ابن الكلب معرفش ناقصه إيه، ربنا ياخدك) ثم هدّأ من روعه وأخرج هاتفه الجوال من داخل سترة بدلته الانيقة وأجرى مكالمة انتظر إجابتها ثم قال...

- باشا إزي معاليك ؟ عندي طلب صغير من حضرتك وأتمنى أكون مبتقلش عليك .

***

الرائد(عمرو) يقف داخل شرفة منزله المظلم ينظر إلى ساعة يده فى قلق وتوتر ليجدها تشير إلى الساعة العاشرة مساءاً ينقصها بعض الدقائق كي تكتمل، يسمع صوت عقرب الثواني وهو يتحرك في اتجاه لا يريده كحال تلك القضية المبهمة، كحال حياته كلها، أخذ نفساً عميقًا وهو يضع فنجانَ القهوة الذي يمسك به بالقرب من أنفه، هدوء الليل شيء قاتل للنفس الوحيدة، يخشى قدوم الليل في كل يوم ، دائمًا ما يأتي إليه حاملًا للذكريات السيئة، كان في الماضي يعشق أن يحل الليل عندما كان برفقتها، عندما كانت تبيت بين أحضانه



ضاحكة ليستمد منها كل ما ينقصه، كان ينتظر أن يراها نائمة ويظل يشاهدها لوقت طويل حتى يأخذه النوم قهرًا إلى صباح جديد يشرق بوجهها، كان كل شيء يسير إلى طريق مُضاءٍ وحياة مبهجة ذات لون فضي لامع حتى أتت تلك الليلة التي معها اختلف كل شيء إلى الأسوأ، فدائمًا ما تبهرنا الحياة بقسوتها ودائمًا ما يتركنا القدر وسط جراحنا ننزف المزيد من إنسانيتنا، نحن جنس تعس قد كتب علينا الشقاء في كل شيء حتى في شقاء قلوبنا، رحلت عن أرضه في غفلة منه ،أشتاق إليها غير مُصدِّقٍ أنَّ أثمن شيء يملكه قد يتركه وحيدًا، رحلت بعدما حطَمَتْ كلَّ ما هو سليم بنفسه، اخترق الألم قلبه ونَفَذَ إلى عقله، أصبح عليلاً بها حيّة وميّتة، تذكّر حينما فقدَتْ الوعي وهم يتراقصون على نغمات أصبحت إدمانَه في كل الأوقات، حملها وهرول إلى سيارة وحاول بكل الطرق إفاقتها وعَجَز، اشتدَّ عجزُه عندما رآها نائمة على فراش وهي في طريقها إلى الرحيل عن عالمه للأبد، علم بعد عدة أيام ما الذي أصابها ولم يعلمها عندما أفاقت لكنها كانت تعلم جيدًا أنّ ساعاتها أوشكت على الانتهاء لذلك تشبّثت بيده رغم ألمها وقبّلتها، أرغمته على أمطار الدموع، نظرتها في آخر لقاء بينهما تحفر ذاكرته بقسوة، تبًا للفراق وسحقًا للحياة من دون أحبتنا، صفير جهاز رسم ضربات القلب مازال في أذنه حتى الآن عندما أعلن وقت الرحيل، أتى الموت متسلّلا وأسدل السّتار عن أهم فصول المسرحية ورحل الجميع ومازال هو جالس يصفّق ويبكي من قسوة ما عاشه، مرّ على رحيلها 5 سنوات لم يريد عيشهم أو أنه حقًا لم يعيشهم، أنقول مازال على قيد الحياة وهو فاقدًا للروح، أخر من يعيشون هم أكثر من يتألمون.

سقطت دمعة منه سهوًا لترتطم بساعة يده متزامنًا مع صوت هاتفه يرن، أفاق من ذكرياته ونظر إلى الساعة ليجدها العاشرة مساءاً، نظر إلى شاشة هاتفه الجوّال ليجد مكالمة آتية من رقم مجهول تردد في الإجابة على المتّصل المجهول، وبين الرفض والفضول أجاب ليأتيه صوتًا معدلًا قائلًا....



- شكلي كده قطعت ذكرياتك بس كان لازم اتّصل في الميعاد، هما الظباط كمان بيعيطوا زينا؟.

ارتعد الرائد (عمرو) من قوله وظل ينظر يمينًا ويسارًا وأسفل العقار فلم يجد شيء مريب يدعو للقلق، هو يقف فى شُرفة منزله المظلم فكيف لأحد أن يراه، حاول مجاراة المتحدث حتى يلمح شيء قد يتحرك ويلفت الانتباه وقال...

- وأنا رديت، أنا بس عاوز أعرفك حاجة مهمة، لو كنت فاكر إنك ممكن تلعب معانا يبقى إنت مجنون، كلها كام يوم وهتشرف عندي، إنت مش أول واحد يحاول يعمل اللي بتعمله وكلهم كانوا فاكرين نفسهم عيال محصلتش بس شرفوا عندنا وخدوا الواجب.

صمت الصوت ولم يجب لثواني مما جعل (عمرو) يتعجب ويقول....

- ألو، إنت روحت فين؟

أجاب الصوت بحزم...

- إنت ضيعت فرصتك فى اللعبة الدور ده، القوانين إني أنا أخد خطوة وأسيبلك خطوتك، إنت استنفذت خطوتك وذنب الهدف الجديد في رقبتك بسبب غرورك وأسلوبك خطوتي الجاية هتتنفّذ خلال الأسبوع الجاي، جريمة جديدة بنفس الطريقة، القضية دي هتكون بالنسبا لك زي موت مراتك (أميرة) ومش هتقدر تعمل حاجة، سلام.

سمع الرائد (عمرو) صوت انغلاق الخط، أخذ ينظر في كل الاتجاهات من شرفة منزله ولم يجد شيء يدل على أن هناك من يراقبه، انفعل ودخل إلى شقّته في اتجاه خزانة الملابس وبدأ في ارتداء ملابسه وهو يتمتم غاضبا.

***



فبراير 2004......

غرفة مظلمة يفتح بابها ببطء ويمر من خلاله خيال لجسد أنثوى ممتلىء شبه عاري ثم تغلق خلفها فى هدوء، تقترب بشغف وتُلامس جسداً لولد بسنّ المراهقة نائمًا من شدة الإرهاق، تبتسم وتقتحم برائته لتحيلها إلى شيطان صغير يتعلم اعتصار النساء منذ نعومة أظفاره، يفيق وعلى وجه التعجب و النّشوة ليجدها تلك الشيطانة (دلال) في قمّة شهوتها، ينظر إلى ما يحدث ولا يعي، يُمسك يدها محاولًا منعها بفطرة فتنظر له بغضب وتشير له أن يلتزم الصَمت من أجل إكمال مهامها وإلا أبرحته ضربًا وجعلته يكمل ليلته فى الخارج حيث البرد القارس، بعد عناء وخوف يستسلم لها لتكمل سحرها الشّيْطياني فوق جسده العاري وتفتح الباب لمسخ صغير في طريقه إلى الخروج، في تلك الليلة فقد عذرية روحه وأصبح مختلفًا، في تلك الليلة بكى الليل حزنًا على مقتل ملاك ومولد شيْطان».

***



الفصل الخامس

«تلك المعادلة النّفسيّة المريبة يصعب حلّها، ذلك المسخ المتواري بداخل صدر كلًّا منا يملك سُمّ المباغتة، موقفًا واحداً قادرًا على تحقيق تلك المعادلة الصّعبة و قادرًا على إطلاق سراح المسخ، ذلك المسخ الذي صنعناه فنحن نُجيد صناعة المسوخ حقًّا «.



مـع أول ضـوْءٍ للشّـمس توقفـت سـيّارة دفْـع رباعـي أمـام أحـد الشـاليهات المنعـزل بعيـدا عـن بقيـة المبـاني، مُحـاط بسـور مرتفـع ويُطـل مبـاشرة عـلى البحـر، هبـط (رشـاد) وعـلى وجـه الجديـة المفرطـة ثـم أغلـق بـاب السـيارة بقـوة ليفيـق (أمـير) مفزوعًـا مـن صـوت البـاب ليجـد (رشـاد) يفتـح البـاب الـذي بجانبـه ويجذبه بقـوة ثـم يدخلـه إلى الشـاليه مـن دون أن يتحـدث بكلمـة واحـدة.

فتـح بـاب الشـالية لتظهـر محتوياتـه القليلـة، دلـف (رشـاد) إلى الداخـل وتبعـه (أمـير) في خـوف بـادي عـلى ملامحـه ثـم جلـس عـلى أقـرب أريكـة ليسـتريح فوقهـا وهـو مُسـتاء مـن قـرار أبيـه لـه ومـا فعلـه معـه مـن إهانـة أمـام أحـد رجالـه الأوفيـاء.

بـدأ (رشـاد) في إغـلاق كل المنافـذ الخاصـة بالشـاليه وإسـدال السـتائر وتقليـل الإضـاءة ثـم خـرج إلى السـيارة وعـاد معـه حقيبتـين، أفـرغ محتوياتهـم مـن طعـام وشراب وملابـس تكفـي لشـهر عـلى الأقـل ثـم أخـرج سـلاحًا ناريًـا وأشـار بـه إلى (أمـير) قائـلًا...

- إمسك يا أمير خليه معاك.

مدّ (أمير) يده في خوف وأمسك بالسّلاح النّاري ثم ابتلع ريقه وقال...

- إيه ده يا رشاد ؟ هو أنا هحتاجه؟

إجابة (رشاد) بحدّة قائلًا...

- أمـال أنـا مديهولـك تلعـب بيـه، إنـت قاعـد فى حتـة مقطوعـة مـن غـير حراسـة



وإنـت مـش متعوّد عـلى كـده، اه الشـاليه مقفـول بشـبابيك حديـد مـن كل حتـه بـس الامـر ميسـلمش.

ارتبك (أمير) ووقف مقابلًا لرشاد وقال...

- هو إنت مش هتفضل معايا ؟ طب أنا هقعد هنا لحد إمته؟

أعطى رشاد ظهره ل(أمير) وتوجه إلى باب الخروج وقال بصوت مرتفع...

- أقعـد أعمـل إيـه معـاك ؟ أنـا رايـح أشـوف البلـوة الـلي إنـت عملتهـا دي وأشـوف موضـوع سـوزي دي كـمان.

ثم التفت وظهرت على وجهه ابتسامة نادرة وقال...

- تحب أجيبهالك هنا تسليك ؟

ابتسـم (أمـير) بتوتُّـر خطـى خطـوات سريعـة في اتّجـاه رشـاد الـذى شـعر دائمـا انـه اخ أكـبر لـه وقـال...

- لأ أنا عاوز طلب تاني منك بس بعيد عن بابا يا رشاد.

أُغلق وجه رشاد كمتجر شُمّع بالشّمع الأحمر وقال بجدية...

- عاوز إيه ؟

تـردد (أمـير) في القـول فاقـترب منـه رشـاد ونظـر إلى ملامحـه وإلى تلـك الهـالات السـوداء تحـت عينـه وحركـة يـده اللاإراديـة عندمـا حـكُّ أسـفل أنفـه وقـال...

- إنت رجعت تشم تاني؟

تلعثم أمير في الكلام...

- لا،لا يا رشاد، بصراحة آه.

انفعل رشاد وقال...

- من إمته يا أمير؟



ابتعد أمير خوفًا من رشاد وضعفًا منه...

- بقالي شهرين، بس إوعى تقول لبابا يا رشاد، هيقتلني لو عرف.

أخذ رشاد نفسًا عميقًا ثم قال...

- بصراحة إنت تستحق القتل، عشان إحنا عايشين نلم وراك مصايبك بس وسايبين مشاغلنا وحياتنا، خليك مرمي هنا لحد لمّا أشوف هعملك إيه؟

ثم تركه وتحرك في اتجاه الباب فهرول خلفه أمير وهو دامع العينين وهو يقول...

- رشاد عشان خاطري، آخر مرة، أنا عاوز أتغير صدقني، ساعدني أتغير، أنت الوحيد اللى فاهمنى وحاسس بيا.

خرج رشاد من دون رد على أمير وأغلق باب الشاليه من الخارج ثم ركب سيارة واتجه في طريقه إلى القاهرة.

***

الرائد (عمرو) يتحرك مسرعًا في اتجاه مكتبه يدور برأسه الكثير من الأفكار المضطربة ويبدو على وجهه الإرهاق، وصل إلى مكتبه ليؤدي العسكري له التحية في احترام ولكنه لم يرد التحية كأنّه آلة محددة الاتجاه، دخل إلى مكتبه ليجد النقيب (مروان) جالسًا يتفقد التقارير في حرص ويحاول إيجاد خط للسير خلفه وما أن رآه حتى وقف وقال...

- عمرو باشا، إنت كنت فين ؟ أنا بحاول أوصلك من امبارح عشان أقولك إن تقرير الطب الشرعي والمعمل الجنائي وصلوا.

جلس (عمرو) خلف مكتبه وأشعل سيجارة ثم قال...

- تمام يا مروان وفي جديد؟

وقف (مروان) من خلف مكتبه واتجه إلى مكتب (عمرو) وبيده التقارير والصندوق الذي يحوي كل الأدلة و قال....



- طبعا يا باشا، اتفضل اقرأ.

أمسك (عمرو) التقارير وبدأ في قراءتها حتى انتهى منها ثم أمسك بالصندوق وأخرج محتوياته وأمسك بالطلقة وأخذ ينظر إلى حجمها الكبير وشكلها الغريب عنه رغم أنه عمل فترة في جهاز أمني رفيع المستوى ولا يتذكر واحدة مشابهة لتلك، تركها من يده فور أن سمع هاتفه الجوال يرن فأجاب ليجده العقيد (ماجد كمال) استمع بحرص إلى ما يقول ودوّنه بورقة على مكتبه ثم أنهى المكالمة وقال...

- مروان، في خبير أسلحة وذخيرة في طريقه لينا، مهم جدًا نستفيد من خبرته ونعرف إيه نوع الطلقة دي وكمان نوع السلاح اللي اضربت منه، الموضوع شكله مش سهل.

حرك (مروان) رأسه في فهم لما قيل ثم تردد في الحديث لكنه قال...

- عمرو باشا، سيادتك عارف إنه مهم جدا يبقى في تفاهم بين فريق التحقيق، بصراحة أنا حاسس إن عندك معلومات مش مشاركها معايا، عقلين أحسن من عقل يا عمرو باشا، انا عارف انك المسؤل عن القضية بس انا كمان يهمنى احلها.

أنهى (عمرو) سيجارة بنفس أحرق بقيتها داخل صدره بعنف و أخرج دخانها في اتجاه سقف الغرفة وقال...

- صح يا مروان، إنت شكلك ظابط شاطر، أنا هقولك على كل حاجة حصلت من بداية ما مسكت التحقيقات لحد امبارح بالليل، عقلين أحسن من عقل.

***

داخل أحد قاعات السينما وفي نهاية العرض الخاص للفيلم التي كانت بطولة (إيناس) يقف الجميع مصفّقين لما رأوا على الشاشة العملاقة من أحداث مقلّدة



ومُعادة حد النَفُور ولكنهم يجاملون في كل مرة ولا يقدمون الجديد، ثم بدأ الجميع في تحية المخرج والممثلين وبالأخص (إيناس) التي كان آدائها حقًا مبتذلًا وعظيمًا كالعادة في نظرهم، تحرّك كاست العمل الرديء الذى حقق نجاحا منقطع النظير وتحرّكوا إلى أعلى السلالم التي تقود إلى المسرح أمام الشاشة، وبدأوا يلوّحون للمشاهدين والصحفيين ويصفقون وعلى أوجههم ابتسامة توضع في تلك المواقف كطابع يجب وضعه على جواب مُرسل إلى مجهول.

تِلّى ذلك مؤتمر صغير للحديث حول العمل وكواليسه مع أخذ بعض الصور التذكارية وإجراء الحوارات الحصرية للقنوات الفضائية التي تجد فى تلك المواقف مادة لزجة تُذاب مع بعض الكلمات المعادة تُقال من فتاة إعلامية بجيبة قصيرة وبودرة ملونة على وجهها المصطنع وأسنان بيضاء كفيلة بخلق حدث مزيّف كهذا.

فور خروج الجميع وتبعهم الفنانين تحركت (إيناس) في اتجاه سيارة حديثة بزجاج (فاميه إسود) يخفي مَن بداخله، ركبت السيارة لتجد بداخلها (فادي هارون) في انتظارها، تقبّلهُ وتبتسم له بشعور غريب أقرب إلى الخوف مختلطًا بشراسة ثم أخرجت من حقيبة يدها فلاشة وضعتها داخل كف (فادي) وضعها بجيب بدلته ثم أمسك يدها وقبّلها وأمسكها من خصرها جاذبًا إياها إلى حضنه العطن في شهوة وقال بصوت مرتفع للسائق أن يتحرك وأكمل هو استباحة نجوميتها المصطنعة وبدأ في سلبها المزيد من روحها وجسدها.

***

وسط انهماك الرائد (عمرو) والنقيب (مروان) في مراجعة التقارير والتحقيقات وقد بدا الإرهاق عليهما وقد نال الضيق من صدورهم بفعل ذلك الدخان الكثيف الذي ملأ الغرفة وجعلها أقرب إلى ساونا طرق الباب بتروٍّ ليقطع كل ذلك، نظر الضابطان في آن واحد إلى الباب وانتظروا قدوم من بالخارج ليدخل إلى المكتب العسكري وعلى وجهه معالم النُعاس وقال...



- عمرو باشا في حد عاوز يقابل حضرتك اسمه عادل الشريف.

ضَمّ (عمـرو) حاجبيـه في محاولـة منـه لتذكـر ذلـك الاسـم وظـل يعيـد تكـراره إلى نفسـه حتـى باغتتـه ذاكرتـه وألقـت إليـه الحـل فقـال...

- آه خليه يدخل حالًا.

ثم نظر إلى النقيب (مروان) وقال...

- ده خبير الأسلحة اللي بعته ماجد باشا.

أومـأ مـروان برأسـه ثـم نظـرا الاثنـان إلى شـخص مـا يدخـل إلى المكتـب ويغلـق مـن خلفـه، رجـل متوسـط الطـول في منتصـف العقـد الرابـع مـن عمـره، مسـتدير الوجـه هـادىء الملامـح، شـعره رمـادي اللـون، صاحـب نظـرة متفحصـة مـن خلـف عوينـات واسـعة العدسـات، ذو خطـوات بطيئـة وحضـور طاغـي ممسـكًا بحقيبـة صغـيرة سـوداء اللـون.

وقـف الضابطـان وسـلما عليـه ثـم أشـار لـه (عمـرو) أن يجلـس عـلى الجهـة الأخـرى مـن مكتبـه ومـن أمامـه (مـروان) ثـم بـدأ الحديـث في الانسـياب بـين الثلاثـة وقـاد زمـام الأمـور (عمـرو) قائـلًا....

- أسـتاذ عـماد، هـو حضرتـك ليـك خلفيـة كبـيرة عـن الأسـلحة وتصنيعهـا و عـن الأعـيرة الناريـة بشـكل عـام ؟ اصـل ماجـد باشـا قـالي إنـك ليـك خـبرة كبـيرة في مجـال الأسـلحة وإنهـم بيسـتعينوا بيـك كخبـير أسـلحة وذخائـر في مكافحـة تجـارة السـلاح، هـو حضرتـك كونـت خبرتـك مـن إيـه؟.

رسم (عماد) شبح ابتسامة على وجهه المستدير الهادئ ثم قال...

- بـص يـا عمـرو باشـا، أنـا في البدايـة درسـت في الكليـة الفنيـة العسـكرية وتخصصـت في صناعـة الأسـلحة والذخائـر بمختلـف أنواعهـا وأحجامهـا، اتخرجـت وبـدأت أطلـع بعثـات وأتعلـم أكـتر عـن صناعـة الأسـلحة وبالأخـص الخفيفـة، قناصـات، مسدسـات، رشاشـات آليـة ومتفجـرات، دخلـت مصانـع أسـلحة كتـير في



دول زي ألمانيا وأمريكا وروسيا ودول أكتر ناس بتصنع سلاح وبتبيعوا للجيوش والحكومات والإرهاب كمان، تجارة يعني، بعد فترة قليلة من خدمتي في الجيش كظابط أصبت بحادث منعني انى اكمل وفضلت إني أشتغل شغل مدني لكن كان بيتم استخدامي في بعض المهمات والقضايا كخبير أسلحة وقدرت أحل وأساعد في حل قضايا بشكل كبير ومن وقتها وأنا شغال في الميري برده بس كخبير.

أشعل (عمرو) سيجارة وعاد خطوة إلى الخلف يتفحص ملامح وجه (عادل) الهادئة كي يحصل منه علي ردة فعل تفيد صدق أو كذب كلامه لكن دون فائدة، وضع يده في درج مكتبه . وأخرج الطلقة النارية غريبة الشكل داخل حافظتها الشفافة ثم وضعها أمام (عادل) على المكتب وقال...

- أفهم من كلامك إنك خبير أسلحة تقيل، طب حضرتك ممكن تقولنا إيه العيار الناري ده وإيه السلاح اللي اتضرب منه؟

مدّ (عادل) يده بفضول إلى تلك الحاوية ثم نظر إلى (عمرو) وقال...

- أقدر أخرجها عشان أفحصها؟

أشار له (عمرو) أن يفعل، أخرج قفازين طبيين وارتداهما لعزل البصمات ثم فتح الحاوية الشفافة للطلقة وأخذ يتفحصها بعينه المجردة وسط نظرات من الضباط ثم تركها على سطح المكتب وأخرج من حقيبته الصغيرة عدسة مكبرة وآداة للقياس وبدأ في التعرف على ماهيتها بشكل احترافى تحت العدسة ثم بين المقياس ثم العدسة مرة أخرى حتى انتهى وقال وهو مازل ممسكا بها ومرتديا تلك العدسة المكبرة....

- الرصاصة دي مضروبة من قناصة واللي ضربها كمان قناص محترف بيجيد استخدام نوع جديد من القناصات اللي تقدر تضرب العيار ده بوزنة ده و من مسافة كبيرة، أنا محتاج أشوف صورة للضحية لو سمحت يا عمرو باشا.



أخـرج (مـروان) الملـف الخـاص بالمجنـي عليـه مجـدي ثـم بحـث عـن صـور بداخلـه حتـى وجـد واحـدة وأعطاهـا إلى (عـادل) الـذي نظـر إلى الصـورة بحـرص ثـم إلى العيـار النـاري وقـال...

- أنـا كـدة متأكـد تمامـا إن القنـاص ده محـترف وإن الرصاصـة مضروبـة مـن عـلى بعـد 900 إلى 1000 مـتر وإلا كانـت خرجـت مـن رأس الضحيـة وكملـت لأبعـد مـن كـده وكان هيبقـى صعـب إنكـم تلاقوهـا في مـسرح الجريمـة وخصوصًـا بحجـم وتقـل الرصاصـة دي كانـت هتبعـد جـدا.

ضم (عمرو) شفتيه في حيرة وقال...

- إنت متأكد إن الرصاصة اضربت من مسافة 1000 متر؟

عادت إلى (عادل) ابتسامة من جديد وقال...

- 100% متأكـد، أنـا هحتـاج أسـبوع أو 10 ايـام عشـان أقـدر أحـدد نـوع الرصاصـة دي وإيـه السـلاح الـلي ضربـت منـه و ده ممكـن يسـاعدنا جـدا في تقريـب الصـورة عـن السـلاح المسـتخدم و مهـارة القاتـل وشـخصيته .

كان الـكلام مقنعًـا لـكلا الضابطـين ووافقـا عليـه ثـم وقـف (عـادل) بعـد أن صـور شـكل العيـار النـاري وهـم بالخـروج لكنـه توقـف وقـال...

- أنا عندي سؤال بس، هو اتقتل فين بالظبط؟

نظر الضابطان إلى بعضهما البعض ثم قال (عمرو)...

- اضرب جـوه عربيتـه وكان سـايق عـلى 120 حسـب تقريـر الطـب الشرعـي والمعمـل الجنـائي، وكان في طريـق سريـع.

اتسـعت عـين (عـادل) مـن ذلـك الـكلام ثـم نظـر إلى صـورة الضحيـة مـرة أخـرى وقال...

- لـو حضرتـك عـاوز تعـرف المـكان الـلي القاتـل ضرب الرصاصـة دي منـه، روح



إدارة المـرور وراجـع الفيديـو الخـاص بكامـيرا المـرور الـلي صـورت الحـادث ودور علـى الإتجـاه المعاكـس للعربيـة وقـت تنفيـذ الجريمـة ،غالبـا هيكـون بـرج أو عـمارة مـن 8 أدوار والقاتـل ضرب الرصاصـة دي مـن الـدور الرابـع أو الخامـس وده بايـن مـن مـكان الرصاصـة وزاويتهـا في الصـورة، الإصابـة جـت بزاويـة مـن فـوق لتحـت، أقصـد إن الرصاصـة مكانتـش مبـاشرة عـلى خـط مسـتقيم، مـع سرعـة العربيـة ومسـافة 1000 مـتر فرصـة القاتـل كانـت 2% في الميـة عـلى أعـلى تقديـر يـا بشـوات، إحنـا قـدام قاتـل محـترف ومحتاجـين نعـرف أكـتر عنـه.

أنهـى كلماتـه ثـم تركهـم وغـادر المكتـب وأخـذ يتحـدث إلى نفسـه كأنـه يقـوم بحسـابه شيء مـا وهـو في طريقـة إلى الخـروج مـن المبنـى الأمنـي بينـما وقـف الضابطـان في حالـة مـن الصمـت والتجمـد ينظـرون اليـه وهـو يدلـف الى سـيارته مـن احـد شـبابيك المكتـب، اخـذوا يفكـرون في مـدى صعوبـة تلـك القضيـة المبهمـة والتـي ينكشـف صعوبتهـا في كل يـوم أكـثر وأكـثر.

***

في طريقهـم إلى مكتـب رئيـس التحريـر يسـير ذلـك الشـاب الجميـل الملامـح (أيـسر) وبجانبـه صاحبـة صـوت الكعـب الرنـان (يـسرا) يتحدثـان بعجالـة فيـما سيقولونه أمـام (شـادي) وكيـف لهـما أن يقنعـاه بنـزول الخـبر في صبـاح اليـوم التـالي كي يكـون السـبق الصحفـي لهـما، ومـع سرعـة سـيرهما كادت (يـسرا) أن تقـع لـولا أن لحـق بهـا (أيـسر) لتنظـر لـه في إعجـاب ملحـوظ لكنـه حـاول جاهـدا إنهـاء الموقـف وأكمـل في طريقـه لتتبعـه هـي في عـدم اسـتيعاب لـذك الرفـض لهـا في كل مـرة.

وصـلا أمـام البـاب وطرقتـه (يـسرا) بقـوة في انتظـار الـرد ليجيبهـم (شـادي) بصوتـه الجهـور...

- ادخل.

يفتـح البـاب وتتقـدم (يـسرا) إلى الداخـل ثـم يتبعهـا (أيـسر)، يتقدمـون نحـو



المكتب المهيب ليشار لهم أن يجلسوا وينتظروا أن يكمل (رئيس التحرير) مكالمته التي أخذت بعض من الوقت مما سمح لتبادل النظرات بين الشاب والفتاة حتى قاطع تلك النظرات إنهاء المكالمة وصوت (شادي) يقول وهو ينظر إلى الاثنين...

- أكيد إنت أيسر مش كده؟

ابتسم (أيسر) وقال بصوته الهادىء ذو النعومة...

- صح يا فندم، شرف ليا مقابلة حضرتك.

ابتسم (شادى) وأخذ يقلب في الملفات التي أمامه حتى أخرج ورقة ووضعها أمام الاثنين وقال...

- أنا كلمت الداخلية ودي الموافقة الأمنية لنشر الخبر بتاعكم.

من شدة الفرحة صفقت (يسرا) ونظرت ببهجة إلى (أيسر) الذي تجهم وجهه للحظات كأنه يهاب شيئًا ولاحظه (شادي) فقال...

- لا أنا عاوزك تنشف كده أمال، ده لسه أول خبر هينزل باسمك وده تحقيق كبير وقضية رأي عام، إحنا في السليم متخافش، ما تفهميه يا يسرا.

اقتربت (يسرا) بجسدها المتناسق من (أيسر) وقالت محاولة تهدئته وطمأنته...

- أنا عارفة إن ده أول خبر ليك باسمك ومسؤلية عليك وكمان إن القضية والتحقيق فيها مش سهل خالص وحساس لكن اللي بيبدأ كبير بيفضل كبير.

ابتسم ذلك الوجه الشبابي المحبب إليها وقال...

- خير، أفهم من كده يا أستاذ شادي إن جرنال بكرة يبقى فيه الخبر بتاعنا.

عاد (شادي) خطوة واستراح على الكرسي وقال...



- وصفحة أولى كمان واسمك منور تحتيه يا سيدي ،بس إنت خلال أسبوع بالكتير تكون جبت أخبار أكتر عاوزين نكسر الدنيا.

نظر (أيسر) إلى عين (يسرا) مباشرة وقال...

- إن شاء الله هنرفع راسك.

وقف (شادي) وقال وهو يسلم على الاثنين في إشارة منه لإنهاء المقابلة...

- وأنا متاكد من ده، و يا يسرا خلي بالك من أيسر ده كنز ووسيم وحليوة.

ثم أصدر ضحكة عقبها سعال، أخفضا صوتهما ببطء مع ابتعاد الاثنين عن (مكتب رئيس التحرير) وهم في غاية السعادة مما جعل (يسرا) تتشبث بيد (أيسر) بحركة لا إرادية تداركتها سريعًا بعد أن نظر لها بتعجب وعدم استيعاب.

***

داخل إدارة المرور وأمام عدة شاشات كثيرة تعرض التسجيلات الخاصة بأحد الطرق السريعة يقف أمامها الرائد (عمرو) وبجانبه ضابط مرور برتبة مقدم يتفحصان التسجيلات بجدية وهمة أصابتهم بإرهاق فنظر (عمرو) إلى ساعة يده ليجدها تخطت منتصف الليل لكنه عليه إكمال البحث وأن يكمل يومه الشاق كما هو.

مرت ساعة إضافية حتى تمكنوا من إيجاد التسجيل المناسب والذي في جزء من الدقيقة كان قد سجل الحادثة التي راح ضحيتها أناس أبرياء من بينهم (مجدي) ذلك الطبيب النفسي، أبطأوا من سرعة التسجيل ليتضح كل ما حدث أوضح تلك المرة ومن خلال عدة كاميرات استطاع الرائد (عمرو) أن يحدد اتجاه قدوم الرصاصة، ازداد حماسه ثم أمر بأخذ نسخة من التسجيل وتحرك سريعا.

بعد قرابة الساعة وقد أوشكت أن تصبح الثانية بعد منتصف الليل كان الرائد (عمرو) واقفًا أسفل برج سكني مكون من ثمانية طوابق ويعتقد أن



القاتل كان في أحد تلك الأدوار، اقترب من البرج السكني ليجد فرد أمن من احدى الشركات الخاصة فسأله بعد أن أخرج شارتة قائلًا...

- إنت اسمك إيه؟

أجاب الحارس بخوف بعد أن علم أنه رائد شرطة يحقق في جريمة قتل وقال...

- اسمى عبد الرحمن أبو اليزيد بدر يا باشا.

أشعل (عمرو) سيجارة وأعطى أخرى للحارس وقال..

- قولي يا عبد الرحمن، إنت هنا شغال بقالك قد إيه؟

رد الحارس مسرعًا...

- بقالي سنتين هنا يا باشا.

عقد الرائد (عمرو) حاجبيه وقال...

- جميل جدا، طيب إنت تعرف سكان البرج ؟

أجاب الحارس للمرة الثانية متسرعًا...

- أعرفهم كلهم يا باشا طبعًا.

ابتسم عمرو وقال...

- حلو، طب تقدر تقولي الدور في كام شقة وتقدر تعرفني أسماء اللي ساكنين في الرابع والخامس يا بطل.

ابتسم الحارس بعد سمع كلمة بطل وازداد حماسة وقال...

- الدور في 3 شقق يا باشا بس إيه : مساحتهم ملعب كورة والدكتور كريم الطبلاوي دكتور القلب المشهور واخد الدور الرابع كله يا باشا والدور الخامس في المهندس محمد الطيب وده راجل أمير وفى حاله والشقة التانية فيها الست خلود المغنية، بس كده يا بيه.



تعجب (عمرو) وقال ...

- هـو في حـد مـن المهنـدس محمـد أو خلـود هانـم واخـد شـقتين وفاتحهـم عـلى بعـض يـا عبـده؟

أشار الحارس نافيًا وقال...

- لا يـا باشـا الشـقة التالتـة الـلي في الـدور فاضيـة مـن سـاعة مـا الأسـتاذ جـلال المحامـى تعيـش إنـت مـن يجـي سـنة كـده.

أومأ الرائد (عمرو) برأسه متفهما ثم قال...

- طب ولاده عايشين أو تعرف طريقهم؟مراته؟قرايب؟

أنهى الحارس سيجارته وألقاها أرضًا وقال...

- لا يـا باشـا، الأسـتاذ جـلال كان وحـداني ومعنـدوش لا قرايـب ولا عيـال ومـن سـاعة مـا مـات وعرفنـا بالصدفـة والشـقة متفتحتـش ولا حـد قربلهـا.

أنهى الرائد (عمرو) سيجارة ودهسها أسفل حذاءه ثم قال...

- أنا مش عارف أشكرك إزاي يا عبده بصراحة، إنت شاب وطني.

أصـدر الحـارس ضحكـة عاليـة تـدل عـلى طيبـة وحسـن نيـة لم تعـد موجـودة في ذلـك الزمـان إلا قليـلا ثـم تحـرك الرائـد (عمـرو) إلى سـيارة وركبهـا وانطلـق بهـا مسرعًـا في طريقـه إلى المنـزل كي يسـتريح ويعـود في الصبـاح مـن أجـل الدخـول إلى الشـقة بعـد إذن النيابـة.

***

فبراير 2006.....

(في وقـت الغـروب) الأمطـار تتسـاقط بتتابـع عـلى رأس شـابين مراهقـين يتسـلقان مواسير ميـاه مصنوعـة مـن (الزهـر) معـدن ضعيـف في طريقهـم إلى شـباك



ما مفتوح بالدور الثامن من عقار عامر بالسكان، الهدوء شديد في ذلك الوقت من اليوم وبالأخص مثل ذلك الوقت من العام أثناء هطول الأمطار.

وصل الشابان حتى أصبحا أمام الشباك المفتوح، أشار أحدهم للآخر أن ينتظر بالخارج وأن يدلف الآخر إلى الشقة عبر فتحة الشباك الضيقة وبحركة رياضية تحتاج الكثير من القوة البدنية والهدوء أصبح داخل الشقة.

تحرك بحرص إلى رواق خالي داخل الشقة يؤدي إلى الغرف والصالة الرئيسية ويقود إلى ذلك المطبخ الذي يحوي الشباك المفتوح، في خفة حركة دلف إلى أحد غرف النوم ليجد رجلا وسيدة نائمان فوق فراشهم، أخرج قطعة قماش من أحد جيوب بنطاله ثم أخرج زجاجة صغيرة ورش على تلك القطعة بعضا من السائل داخل تلك الزجاجة.

اقترب من الرجل النائم وقد أمسك بسلاح حاد تحسبًا لأي موقف وبهدوء شديد وضع تلك القطعة فوق أنفه، تركها لدقيقة ثم رفعها ووضعها على أنف السيدة ثم رفعها ووضعها داخل جيبه وتحرك بحريته بعد أن تأكد من أنهم خدروا تماما.

أخذ يقلب في محتويات الغرفة بسرعة حتى وجد علبة تحوي ذهب فأخذها وتحرك بها مسرعا إلى الشباك، أعطى تلك العلبة إلى الشاب الآخر الذي كان ينتظره وبدأ هو في الخروج من الشباك بنفس تلك الطريقة التي دخل بها.

بعد عدة ساعات كان قد وصل الشابان المراهقان إلى تلك الشيطانة (دلال) وأعطوّها ذلك الصندوق لتفتحه وتتهلل أساريرها وتقول...

- عفارم عليكم ،ده إنتوا الاتنين شياطين بجد وخصوصا إنت يا شقي يا حليوة.

ثم تنظر إلى ذلك الشاب بشهوة وتشير له أن يسبقها إلى غرفتها بداخل



تلك الشقة الواسعة كثيرة الغرف، ينصرف الجميع بإشارة منها من دون اعتراض إلا ذلك الشاب فيتحرك مسلوب الإرادة إلى غرفتها وتتبعه هي في نشوة وشهوة عارمة، تدخل إلى الغرفة وتغلق خلفها ثم تبدأ في خلع ثيابها وهي تقترب منه وتقول...

- ما هو أنا لازم أكافئك وأكافئ روحي، أنا مش عارفة إنت عاملي إيه يا واد أنت.

تجثم فوقه كصخرة ضخمة يكره وجودها على جسده، تهتز بعنف من فوقه فيتألم روحا وجسدا لكنه ينتظر حتى تنتهي منه وينتهى منها ولكم تمنى أن ينتهي منها إلى الأبد.

***



الفصل السادس

« في آخر القرون المظلمة كانوا يدعون أن هناك شر ما يسيطر على الإنسان لذلك كانوا يقومون بحرقه حتى التفحم ومع الوقت تبين أن من يتملكهم الشر هم من كانوا يحرقون الأبرياء أحياءا، الشيطان لا يعترف أبدأ أنه ذو النفس السوداء ويدعي أنه حامل للضياء والنور رغم ظلمة قلبه».



خبر مقتل الطبيب النفسي الشهير (مجدي فرحات) ينتشر كما تنتشر النيران في حرائقها بسرعة وتأثير كبير، الناس كلها تتحدث عن وجود قاتل محترف يستخدم قناصة قاتلة وينفذ اغتيالات و يختار أهدافا بعينها وكما أتى في الخبر أن ذلك القاتل سيقوم بعملية قتل جديدة متوقعة عما قريب، تلك الأخبار و التنبؤات جعلت عامة الناس والمسؤلين في حالة من الذعر والخوف مما هو آت و في ساعات قليلة أصبح ذلك الخبر هو حديث الشارع المصري والإعلام مما رفع من أرباح الجريدة (الحدث الأول) إلى مكاسب خيالية فاقت التوقعات وجعلت الضغط النفسي أكبر على (أيسر) و (يسرا) اللذان تفاجئا بردة الفعل التي حدثت وسط تهاني من مديرهما (شادي) وأصدقائهما بالجريدة.

في تلك الأثناء اجتمع العقيد (ماجد كمال) باللواء (سراج عبد الظاهر) مساعد وزير الداخلية المنفعل بشدة وبيده تلك الجريدة، بدأ النقاش حول ذلك الخبر الذي هز الرأى العام وبدأ يحتل جزءا كبيرا من اهتمام الناس في وقت قصير وجاء التساؤل حول كيفية حصول تلك الجريدة على المعلومات والصور رغم أن التعليمات كانت صارمة في التكتم على الأمر حتى انتهاء التحقيقات منه وإعلانها على الملأ بعد القبض على القاتل.

انتهى الاجتماع بحظر المعلومات عن الصحافة قدر الإمكان وجعل التحقيقات في غاية السرية حتى الانتهاء من التحقيق كاملا وأخذ القرار من اللواء (سراج) شخصيا في الإفصاح عن نتيجة التحقيق.

أدى العقيد (ماجد كمال) التحية العسكرية وهو يغادر مكتب اللواء (سراج)



وعلى وجهه بعض من الغضب والجدية المفرطة ثم أخرج هاتفة الجوال وبدأ في الاتصال بأحد ما، انتظر إجابته بفارغ الصبر.

***

توقف المصعد مشيراً إلى الدور الخامس ثم فتح الباب وخرج منه ذلك الحارس (عبدالرحمن) مسرعًا ومن خلفه ظهرت ملامح الرائد (عمرو) الهادئة وهو يتحرك بخطوات ثابتة خلف الحارس الذي لم يأخذ الصمت لثانية من أجل أخذ قسطا من الراحة، حديثه المتواصل طوال الوقت جعل (عمرو) يشعر بالغضب والتوتر لكنه كان مضطرا إلى الإنصات وبحرص دائم الثرثة يعطي كل ما فى جعبته من دون مجهود.

وصل الحارس أمام الشقة المطلوبة وفتح بابها ثم تراجع خطوات للخلف معطيًا المساحة وزمام الأمور إلى الرائد (عمرو) الذي خطى إلى داخل الشقة وبنظرة تحمل ابتسامة أشار إلى الحارس أن يرحل ثم أغلق الباب من الداخل وضاءت أنوار الشقة وبدأ يتفقد كل شيء بحرص كبير.

كانت شقة خاوية تمامًا من الأثاث لتبدو كبيرة المساحة بحق، لم يعد هناك أثرا للحياة سوى من بعض الستائر التي تمنع دخول الشمس أثناء الصباح و تحجب الظلام في باطنها طوال الليل، رطوبة وبرودة يملآن المكان، صوت حذاءه يسمعه بوضوح كلما خطى خطوة، أزاح كل الستائر من الصالة الرئيسية والتي يتفرع منها طرقة طويلة تقود إلى بقية الشقة من حجر، اقتحمت الشمس المكان كعناصر قوات خاصة تمكنت من اقتحام وكر للمجرمين، بددت حرارة الشمس برودة الجو وساد الدفء المكان رويدا رويدا.

اقترب (عمرو) من الشباك الكبير في منتصف الصالة وفتحه ونظر منه ليجده يطل على الشارع الذي قتل به الطبيب (مجدي)، المكان مطابق مهيأ تمامًا للتصويب، يبدو أن كل شي كان مرتبًا ومخططًا له، قاتل محترف قام



باستدراج الضحية وجعله في مجال تصويب مناسب و في لمح البصر وباحترافية كبيرة أطاح به.

تخيل الرائد (عمرو) كل ما حدث وكأنه القاتل، دخوله إلى الشقة و تجهيز السلاح للتصويب، القلق الذي كان يراوده إذا فشل، توتره وهو ينتظر قدوم الضحية، نظرة عبر العدسة المكبرة وتحديده للهدف، العلامة على رأس الضحية ثم جذب الزناد مع كتم الأنفاس ثم رأس الهدف يصيب بنجاح.

أصدر هاتفه الجوال رنة قطعت تفكيره وتحليله لما حدث، أخرج الهاتف من جيبه ليجد رقماً مجهولًا، ظهر التوتر جلياً وأخذ ينظر من الشرفة يمينًا ويسارًا ثم أغلقها وأغلق الستائر وأجاب قائلًا...

- ألو!!!!

تأخر الرد لينفعل عمرو..

- ألو!؟ إنت مين؟وحياة أمك لجيبك.

أتى الرد من صوت معدل، قائلًا : بهدوء شديد...

- توترك وقفلك للستارة والشباك بيوضحوا إنك خايف وتايه، إنت مش بإيدك حاجة ولا معاك دليل واحد ضدي، أنا بالنسبالك لوحة سوداء مفيهاش خطوط ،إنت لأول مرة يا عمرو باشا تكون ظهور تاني مش البطل، مش هما بيقولوا كده في الأفلام؟

اقترب عمرو بحرص من الستائر وفتح جزءاً منها وحاول أن ينظر من خلفها في أي اتجاه يمكن أن يرى منه، يحاول أن يحدد مكان ذلك الشيطان وهو يستمتع إلى ما يقال...

- متخفش يا عمرو باشا، أنا مش عاوز أقتلك، لو كنت عاوز كنت قتلتك قبل ما تدخل من باب البرج اللي إنت فيه او وانت بتحاول تعرف فين مكاني دلوقتي من ورا الستارة.



انفعل عمرو بشدة وفتح الستائر كلها وأخذ ينظر من خلف زجاج الشباك حتى وجد لمعة ما أتت نتيجة انعكاس ضوء الشمس على عدسة ما، دقّق النظر ليجد أنها عدسة بالفعل وأن هناك أحداً ما داخل البرج المقابل منه على مسافة بعيدة ممسكًا بشيء ما لامعٍ، أعتقد أنه ذلك القاتل الذي يراقبه ليجده يقول له عبر الهاتف...

- متتعبش نفسك يا عمرو باشا، ده مش أنا، إنت مش هتعرف مكاني إلا لو أنا قلتلك عليه، الانعاكس اللي إنت شوفته ده عيل صغير ماسك مراية بيلعب بيها وصورته هتوصلك حالًا.

تلقّى الرائد (عمرو) رسالة على هاتفه فتحها ليجد بداخلها عدة صور أولهم لطفل صغير ممسك بمرآة يلعب بها مع انعكاس الشمس ثم صورة له وهو على باب البرج يتحدث إلى حارس الأمن ثم وهو ينظر من الشباك وأخيراً وهو في شرفة منزله.

ينفعل ويغمض عينه في محاولة لكبت غيظه ثم يقول...

- إنت عاوز إيه ؟ فهمني؟

يأتيه الصوت مرة أخرى...

- أنا قولتلك عاوز ألعب معاك لعبة لو كسبتها ممكن تعرف أنا مين ومين اللي ورايا وإيه سبب اللى بيحصل كله، موافق ؟

نظر (عمرو) إلى أعلى في قلق وقال...

- موافق.

أصدر ذلك الصوت ضحكة وقال...

- حلو، مع الجثة الجديدة هتلاقي شريط تاني بصوتي حاول توصله وتسمعه لوحدك، هسيبلك دليل المرة دي، هو دليل مش كبير بس بداية



خيط، آه التنفيذ خلال الأسبوع الجاي والضحية راجل بيشتغل في شركة بترول.

حاول الرائد (عمرو) أن يمنعه ويحثه أن يتوقف قائلًا...

- إنت بتعمل كده ليه، بتموت ناس أبرياء استنى.....

أغلق الهاتف في وجه (عمرو) الذي أخذ يصرخ ويلتف حول نفسه في غضب شديد.

***

وسط ظلام الليل هناك سيارة دفع رباعي ضخمة تقتحم الصحراء بضوء كشافاتها المضيئة التي تصنع رؤية كاملة لمن يقودها، تقترب ببطء من مجموعة رجال من البدو يقفون بجانبك بعضهم البعض ممسكين بأسلحة نارية أمام سياراتهم فى وسط الصحراء.

تتوقف السارة ويهبط منها (رشاد) راسمًا تلك النظرة الجدية طوال الوقت، يتقدم وبيده حقيبة كبيرة الحجم حتى يقف مقابلًا لهم، ينظر إلى أوجههم في هدوء كأنه يتفحصهم ويقيم الوضع ثم يقول بصوت مرتفع...

- أمال فين الشيخ العلايلي يا رجالة؟

يتقدم أحدهم خطوة للأمام ويقول بلهجة البدو...

- أنا مكانه، فين فلوسك؟

يهز (رشاد) رأسه في استيعاب ما يحدث معه ثم يجلس أرضًا ويضع حقيبته الكبيرة على الرمال ثم يفتحها في اتجاه هؤلاء الرجال لتظهر كمية كبيرة من المال ثم يقف مستغلًا نظراتهم جميعًا إلى المال ويخرج سلاحا الذي كان مخبأً خلف ظهره ويبدأ في إطلاق النار عليهم جميعا بسرعة وبراعة كبيرة، بعد لحظات من صوت إطلاق النيران الكثيف عم الهدوء ومعه عدة جثامين لرجال بدو ملقون أرضًا و قد فارقوا الحياة، تحرك (رشاد) في اتجاههم



يتفحصهم بنظراته الصارمة ليجد أن أحدهم مازال ينازع، اقترب منه ليجده يقول...

- الشيخ العلايلي هيقطع خبرك من الدنيا إنت وكل أهلك.

وضع (رشاد) السلاح فوق رأس ذلك الرجل وقال...

- هيحصلك قريب ولما تشوفه هناك إبقى قوله إنك كنت واخد فيه مقلب كبير.

ثم أطلق رصاصة اخترقت رأسه وأردته قتيلًا.

اتجه (رشاد) بعدها إلى السيارات الأخرى وبحث بداخلها حتى وجد 4 حقائب كبيرة الحجم، بحث بداخلهم ليجد كمية كبيرة من المخدرات (الهيروين)، وضعهم داخل سيارته الضخمة ثم أخرج (جركن) جاز وأخذ يصب فوق الجثامين ثم فوق سياراتهم وأشعل نارا بهم وتحرك بسرعة، بعد عدة دقائق سمع صوت انفجار كبير ومعها وصل هو إلى الطريق الذي يقوده إلى مسعاه وهو مازال يحمل تلك النظرة القاسية والقانتة على من حوله.

***

داخل فيلا (فادي هارون) ذلك المتسلق الوصولي صاحب النفوذ غير المستحق، صوت هاتف جوال يلح بالاتصال جعل الضيق ظاهرًا علي وجه (فادي) كلما نظر إلى المتصل ويجده (أمير) ابنه، ذلك الابن اللعين الذي يمثل كل شيء سيء قام به (فادي) في حياته عمله الأسود إن صح القول.

بعد الإلحاح الكبير أجاب (فادي) بعصبية قائلًا...

- عايز إيه يا ابن الكلب إنت ؟ أنا مش قلتلك إنك لازم تختفي خالص ومتتصلش بيا وأنا اللي هبقى أكلمك.

وجد صوت ابنه عبر الهاتف وهو يبكي ويتوسل إليه قائلًا...



- يا بابا عشان خاطري، أنا تعبان أوي هنا، خرجني من الحبسة دي، أنا هموت نفسي لو مخرجتنيش، إنت وعدتني إنك هتخلي بالك مني بعد موت ماما.

وضع (فادي) يده أمام فمه وقد احمر وجهه وقال بهدوء...

- حاضر يا أمير هخرجك، بس إديني يومين أكون قدرت أخلص من مصيبتك دي وبعد كده هخرجك بره مصر أصلا تعيش بره.

يأتيه صوته مرة أخرى باكيًا...

- أنا زهقت يا بابا، عشان خطري خرجني .

ينفعل (فادي) مجددًا ويقول...

- أخرجك فين دلوقتي، الداخلية قالبة الدنيا عليك، أنا عرفت أن الظابط اللي إنت دوست عليه مات النهاردة في المستشفى وبالصدفة عرفت إن الظابط التاني قدر يتعرف على شكلك يا فالح.

ازداد بكاء (أمير) كأنه طفل صغير يبكي على فقده للعبة ما فقال (فادي)...

- أمير كلها يومين وهخرجك، لو سمحت إهدى خالص وأنا هتصرف، أوعدك إني هتصرف.

ثم أغلق الهاتف ونظر إلى الأرض في خوف يرواده من فقدان ابنه الوحيد كما فقد زوجته من قبل، تذكر لحظات كانت تجمعهم ثلاثة هم قبل أن ترحل وتتركهم على جانبي طريق من دون جسر للمرور، أفاق من شروده سريعًا وأجرى مكالمة هاتفية لرشاد انتظر إجابتها.

***

يعود الرائد (عمرو) إلى مكتبه منهكًا الفكر والجسد ليجد (مروان) يجلس ومن أمامه (عادل الشريف) خبير الأسلحة وبجانبهم على المكتب تقرير ومن فوقه تلك الحاوية الشفافة التي تحوي رصاصة كبيرة الحجم.



اتجـه إلى شـماعة الملابـس وعلـق البالطـو الخـاص بـه وجلـس ينظـر إليهـم ثـم أخـرج سـيجارة وأشـعلها وبـدأ في قـراءة التقريـر الـذي أعـده (عـادل) وقـال...

- وصلت لإيه ؟طمني.

اعتدل عادل وارتشف من فنجان القهوة من أمامه وقال...

- الطلقـة دي يـا عمـرو باشـا اسـمها «308 وينشسـتر» العيـار ده إنتـاج الشركـة الأمريكيـة (ونشيسـتر) أكيـد تسـمع عنهـا

أومـأ الرائـد (عمـرو) برأسـه وهـو يكمـل سـحب أنفـاس إضافيـة مـن السـجارة التـي أوشـكت عـلى الانتهـاء فأكمـل (عـادل)...

- العيـار 308 يتمتـع بـرأس قطـره 7،62 × 51 طـول الفـارغ وهـو مـن أكـتر العيـارات شـعبية وتـداولاً في العـالم الغـربي بـس عندنـا لا، ليـه الكتـير مـن اللوتـات والمسـاحيق الخاصـة مـن البـارود وعـدد كبـير مـن الـرؤوس (المقـذوف) التـي تتميـز بجرينـات متعـددة تخـدم أي مسـافة ومـدى وتأثـير يعطـي طابـع الرضـا في أداء والكثـير مـن الـشركات العالميـة الـلي بتصنـع السـلاح بتسـعى جاهـدة إنهـا تنتـج حاجـة شـبه العيـار ده بـس فشـلوا لإنـه العيـار ده يعتـبر أنقـى وأدق الأوزان الـلي خـلاه يعتـبر العيـار القاتـل وفي الصفـوف الأولى للعيـارات القناصـة وللقتلـة المأجوريـن نظـراً لسرعتـه وقـوة تأثـيره في الهـدف بحكـم حجـم المقـذوف أغلـب جرينـات هـذا العيـار

هـما الـ 175 جريـن وَ 179 جريـن والجريـن هـو مقيـاس وزن رأس المقـذوف ويعـادل الغـرام الواحـد 17،7 جريـن في مقاييـس الأوزان ويعطـي دقـة إصابـة عاليـة حتـى 1000 مـتر في البنـادق الثقيلـة وقـد يتجـاوز هـذا المـدى إذا عُـدّل العيـار عـلى أيـدي المحترفـين زي مـا حصـل بالظبـط وزي مـا كنـت متوقعـه.

انحنـى الرائـد (عمـرو) إلى الأمـام قليـلا ثـم اعتـدل ونظـر إلى مـروان ليجـده متوتـرًا ثـم توجـه بنظـرة إلى عـادل وقـال...



- وتفتكر العيارات دي دخلت مصر إزاي وإمتى؟

حرك (عادل) رأسه يمينًا ويسارًا في محاولة لاستنباط ما يحدث وقال...

- هو مش مهم دخلت مصر إزاي دي مقدور عليها المهم دلوقتي هو ليه ظهر استخدامها ؟

اندفع مروان في القول...

- هيكون ليه يعني ؟ أكيد عشان مواصفتها اللي قلتها.

نظر عادل إلى مروان وقال مؤكدا :

- صح بس ده معناه إيه ؟

قال عمرو بخوف...

- معناه إن الكمية اللي دخلت كبيرة جدا و في حد بيحاول يسَوَّقْهَا في الشرق الأوسط عن طريق مصر بشكل استعراضي عن مميزاتها و استخدامها في مواجهتنا عشان كده افتعل الجريمة دي وهيكمل في طريقته لحد ما تتشهر وتثبت لتجار السلاح إنها مميزة.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض فقال (عمرو) بخوف....

- دي مصيبة، أنا لازم أبلغ ماجد باشا حالًا بالمستجدات وهطلب منه دعم من كل أجهزة الداخلية.

***

رجل أرعينى أنيق المظهر، طويل القامة، ذو ملامح محببة و لحية خفيفة تخفي بعضا من بياض وجهه البيضاوي الشكل، يتحرك نحو سيارته في هدوء وخطوات مرهقة من تعب يوم طويل، يدلف إلى سيارته ويضع حقيبة سوداء يحملها معه دائمًا أثناء العمل وغير العمل، حقيبة تحوي الكثير بداخلها فأصبحت ذات أهمية كبيرة عنده، انطلق بسيارة خارجًا من جراج إحدى



شركات البترول التي يعمل مديرًا في أحد اقسامها الكثيرة والمتفرعة، يضع يده فوق مشغل الراديو ويقلب القنوات حتى يستقر على أحد الإذاعات الأجنبية المحببة له، بدأ ينتشى وهو يردد الكلمات مع الاغنية التي يستمع إليها، تلفونه الجوال يصدر اهتزازا لم يلحظه في البداية ثم مع ثاني اهتزازة خفض صوت الراديو ليجد رقما غير مسجل على هاتفه، أجاب لتتغير ملامح وجهه وهو يستمع بحرص ثم يقول...

- إهدي بس إنتي فين؟

يستمع مجددا في خوف وقلق ثم يرد..

- أنا مش فاهم حاجة من كتر العياط بتاعك، إهدي وفهميني براحة.

يستمع إلى ما يقال وهو يهديء من سرعة سيارته ويبدو أن صوت من يحدثه أصبح مضطربًا فقال...

- ألو، أنا مش سامع حاجة، ملف إيه اللي معايا ؟ أزرق إيه؟

توقف بسيارته على جانب الطريق ثم حاول استخلاص أي معلومة لتتسع عيناه من هول ما سمع ثم انقطع الخط فجأة ليضع الهاتف جانبه ويقول...

- يا نهار اسود، يا نهار اسود.

أنهى كلماته وهو ينظر إلى الحقيبة السوداء، ابتلع ريقه ثم وضع أرقام القفل الصحيحة وفتحها ليجد بداخلها ملفات كثيرة، أخذ يقلب وبدأ العرق يتصبب منه حتى وجد ملفًا أزرقًا وحيدًا ،أخرجه وبدأ في تصفحه وأصبح كمن ضُربَ بصاعقة من الخوف الظاهر على ملامحه، وضع الملف بجانبه ثم أدار محرك السيارة وتحرك بسرعة جنونية.

***



كأس جميل الشكل يُصبُ بداخله مشروبٌ أحمر اللون ذو رائحة نفّاذة ثم تُمسك به يدٌ أنثوية بيضاء بأظافر ذات طلاء يشبه السائل في تطابق مدهش للناظرين، ثم ترفعه اليد في اتجاه شفتين جذابتين باللون الورديّ، تلثم صاحبة الشفتين الكأس وتتجرع المشروب مرة واحدة لتظهر دموعًا سوداء تتحرك نزولًا عبر خدين تملكهم (إيناس) التي كانت جالسة داخل منزلها العصري غالي الأثاث والتفاصيل، تبكي بشدة وقد اختلطت دموعها مع الكحل التي تضعه على جفونها، تحترق من الداخل كليًا وقد أصبحت الحياة سوداء.

إيناس صاحبة الشهرة الواسعة والأموال الطائلة تكره أن تحيا يومًا إضافيًا على وجه تلك الدنيا الظالمة بكل المقاييس، هي نكرة في ثوب المشاهير، هي نجمة سقطت من السماء إلى سابع أرض، الكل ينظر إليها في حب، الجميع يريد التقرب منها كلا بقدرة، البعض تمكن من أسرها و سلب أجزاء من جسدها وعفتها المستباحة والبعض الآخر استخدمها كآداة يفعل بها ما يريد.

تذكرت الطفولة ضعيفة التفاصيل كضباب يغطي الأفق ولا ترى منه سوى القليل، بالكاد تتذكر وجه أمها، تتذكر ذلك اليوم جيدا قبل أن تضل الطريق، لا تتذكر الأشخاص بل تتذكر الشعور، منذ ذلك اليوم وهي تبحث عن حقيقتها، تبحث عن أمها التي تاهت بين الناس ولم تبحث عنها قط، جلست أرضًا تبكي وتنادي عليها لكن لم يسعفها أحد ولم يجيبها القدر إلا بسوط يجلد ظهرها.

***

فبراير 2007.....

أصوات مرتفعة للغاية قادمة من شارع ما بأحد المناطق الشعبية، آلات موسيقية تضرب بنشاذ حاد يؤذي السامعين لتظهر خلفية مضطربة خلف صوت مطرب قد ا

أساء فهم الطرب ومن أمامه راقصة ممتلئة الجسد تكاد الملابس تتمزع



مـن فـوق جسـدها المترهـل بشـكل يثير الغثيـان وعروسـان أصابهـما الصمـم والعمى مـن تلـك الأصوات وتلـك الفلاشـات والأضواء المعلقـة في كل مـكان.

إنّـه فـرح شـعبي قمـيء الروتـين المنحدر، فاقـد لأبسـط مبـادىء الأدب والعادات الأصيلـة، الـكل في حالـة مـن النشـوة الغير مـبررة والسُـكْر والخَـدَر، البعـض يقـف مـن حـين لآخـر لينقـط ببعـض مـن النقـود عـلى تلـك الراقصـة المنتميـة إلى فصيلة الثديـات فى آخـر الجـدول، البعـض الآخـر يـشرب البـيرة بنهـم ثـم يُلقـى بزجاجتـه بعيـدا كي يسـمع صـوت تكسـير زجاجهـا ثـم يصـدر ضحكـة لا مغـزى لهـا، ويسـايره مـن يجلـس معـه عـلى الطاولـة مجاملـة لـه.

وسـط كل مـا يحـدث هنـاك شـاب حـاد الملامـح رغـم وسـامته، يرتـدي بنطـال فقـط، عـاري الصـدر يقـف بالقـرب مـن الفـرح الصاخـب ينظـر إلى أحـد السـيدات وهـي تعطيـه مبلغـا ماليـا وتشير إلى ذلـك العريـس المنتـشي بزيجتـه الجديـدة.

أمسـك الشـاب المـال وعـده جيـدا ثـم وضعـه في بنطالـه واتجـه مسرعـا إلى الفرح وبيـده زجاجـة بهـا جـاز وقطعـة قـماش متدليـة، قـام بإشـعالها ثـم هـرول في اتجـاه المـسرح الـذي يعتليـه الجميـع وقـذف تلـك الزجاجـة المشـتعلة عـلى الجالسـين فوقـه ليهـرب الجميـع ويندلـع حريـق كبير تسـبب في حالـة مـن الذعـر، تعالـت الصرخـات وأصيبـت العـروس بكـسر وهـي تحـاول النجـاة مـن النـار المحيطـة بهـا حـين قفـزت هـي وزوجهـا مـن فـوق المـسرح.

عـاد الشـاب إلى تلـك السـيدة ليجدهـا قـد أطفـأت نارهـا فـور إشـعالها ذلـك الفـرح وإفشـال زيجـة زوجهـا الـذي أراد أن يتـزوج عليهـا، ابتعـد الشـاب عـن المـكان وقـد بـدأت الأمطـار في الهطـول فـوق جسـده العـاري، نظـر إلى أعـلى في اتجـاه السـماء كأنـه يتحـدث إليهـا ثـم صرخ بصـوت مرتفـع مـن ألم يمـزع أحشـاءه و يـضرم النـيران في صـدره.





الفصل السابع

«إنها تلك الأنفس التي تحيا على دماء الأبرياء، أنفس تسعى إلى الخلود بقتل الآخرين، أنفس لا تكترث بمدى السوء إلتي أصبحت عليه، أنفس تاهت في الظلام واحتضنت ألمها بحزن تحول إلى قسوة».



في منطقة صحراوية نائية يقف رجل من البدو ملامح وجهه السمراء تدل على أنه تجاوز الخمسين من العمر، ذقنه القصيرة ذات الشعيرات برتقالية اللون يرتدي جلبابا أبيض فضفاضا ويضع فوق رأسه غطاءا بدويا يلفه حول رأسه، متوسط الطول، يده اليمنى ممسكة بمسبحة يقلبها في روتين ممل طوال الوقت والأخرى ممسكا بسلاح ناري، يقف أمام جثامين رجاله الذين لقوا حتفهم قبل أيام قليلة وينظر بغيظ إلى سياراتهم المحترقة، يتحرك ويتبعه رجالا يحيطونه من كل إتجاه على مسافة تتيح لهم تأمينه من دون إزعاجه، فهو حقا لا يجب إزعاجه.

أشار إلى أحدهم أن يفتش السيارات جيدا فهرول إلى السيارت وأخذ يتفقدها جيدا ولم يجد شيئا فاقترب في خوف من ذلك الرجل وقال..

- شيخ عليلي، العربيات فاضية ،اللي قتل الرجالة واد اسمه رشاد كان في تسليم من يومين الواد ده قتلهم و خد كل حاجة.

رسم الشيخ (عليلي) ابتسامة على وجهه الأسمر وأغمض عينه فلا تعلم أهو يضحك أم أنه مغلولا بشدة وتلك هي ردة الفعل الصحيحة، أخذ صوت ضحكاته ترتفع حتى غطت على سكون الصحراء وبثت في قلوب رجاله الخوف من ردة فعل منه قد تطيح بأحدهم.

انتظروه حتى هدأ وتوجه إلى سيارته رباعية الدفع التي تقف بالقرب من مكان الحادث وقال بصوت مرتفع غليظ...



- ادفنوا الرجالة دفنة تليق بيهم وابعتوا مليون جنيه لأهالى كل واحد فيهم والعربيات كمان تدفن معاهم، مش عاوز يفوت أسبوع على رشاد وهاتولي راسه أعلقها على باب بيتي وأنا هبقى أتفاهم مع اللي مشغله بطريقتي.

أنهى كلماته وهو يدلف إلى السيارة ويشير إلى السائق أن يتحرك مسرعا وهو ينظر إلى جثامين رجاله المقتولين على يد شخص ما يتمنى أن يقتله سريعا قبل أن ينال منه هو الأخر فخلف ذلك الوجه القاسي هناك وجه ما خائف فهو يعلم أن فادي هارون يحظى بمن يجيد القتل حقا.

***

ملامح غاضبة بشدة ل (فادي) بدت على وجهه وهو يصعد سلالم فيلته التي تقود إلى الغرفة التي يحتجز بداخلها (مريم)، يقترب من الباب ويضع المفتاح في مكانه المناسب، ترتعد (مريم) وتحاول إخفاء هاتف جوال صغير الحجم داخل ملابسها ثم تتصنع الهدوء.

يدخل إلى الغرفة (فادي) ثم يقترب منها في حنق، يمسكها بقوة من زراعها فتحاول نزعة ليمسكها من شعرها بقسوة ويوقفها لتصرخ وتبدأ في البكاء، سفعها عدة صفعات مؤلمة وهو يقول...

- الملف الأزرق فين يا بنت الكلب ؟ وديتيه فين؟

تبكي (مريم) وتقول...

- زمانه في النيابة عشان فضيحتك تبقى قدام الرأي العام وإن شاء الله يشنقوك قريب.

ينهال عليها صفعا وركلا لتدمى شفتاها وتمسك ببطنها في ألم كبير ثم تفقد الوعي على إثر تلك الضربات، يرتفع صوت (فادي) قائلًا....

- رشاد !! يا رشاد.



صوت خطوات رشاد الثقيلة تقترب صعودا على السلالم حتى تصل إلى داخل الغرفة ليلبي النداء قائلا...

- أوامرك يا فادي باشا.

يقولها وينظر إلى (مريم) التي فقدت الوعي ومازالت الدماء تسيل من وجهها ليسمع صوت (فادي) قائلا...

- خد بنت الكلب دي وديها شقة المعادي واقفل عليها كويس وسيب معاها اتنين من الرجالة وتعالى عشان نشوف موضوع العلايلي هنعمل فيه إيه؟ما هو أكيد مش هيسكت، وأنا بقى هعرف بنت الكلب دي ودت الملف فين وإديته لمين ،يلا يا رشاد بسرعة.

يقترب (رشاد) من جسد (مريم) الفاقدة للوعي ثم يحملها كطفلة صغيرة مقارنتة بجسده ثم يهبط بها إلى السلالم بحذر في طريقه إلى سيارة تقف داخل جراج الفيلا.

***

فى أحد الدول الأوروبية هناك عدد كبير من الحراسة الخاصة والمسلحة تحيط بقصر جميل المظهر، يقف أمامه الكثير من السيارات حديثة الطراز تقترب إحداهم ويهبط منها شاب موشوم الرقبة و الزراعين، ذو ملامح أوروبية وشعر ذهبي اللون، ملامحه الجادة تشير إلى أنه خارج عن القانون وذلك القيراط الذي يخترق حاجبه الأيمن وحكة أنفه المستمرة يشيران إلى أنه مدمن للمخدرات، يدخل بخطوات واثقة إلى ساحة القصر ذات الطلاء الأبيض، يتحرك باتجاه رجل ما يجلس على كرسي مُذَّهبًا ضخم الشكل ليرتفع صوته بلهجة إيطالية قائلًا....

- فرانشيسكو، أخى، أنا عدت.

رفع عينيه إليه (فرانشيسكو) قائلا بجدية...



- أتمنى أن تكون تعالجت تلك المرة لأني سأقوم بإرسالك إلى مصر في مهمة جديدة.

تغيرت ملامح ذلك الشاب ثم نطق بجدية وحماس....

- قل لي ما الذي تحتاجه بالضبط.

ابتسم فرانشيسكو ثم نطق هو بحماس كبير وقال...

- مهمة جديدة، صفقة كبيرة لكن يجب أن أتأكد بنفسي أنك لم تعد تتعاطى المخدرات، سنضخ كل ما نملك في تلك الصفقة يا أخي، هل تفهم ما أقوله يا ألبرتو ؟، هل تعي ما أقوله يا أخي؟.

أومأ ألبرتو برأسه بالموافقة ثم ابتسم الاثنان معًا من خلف أوجه تعود إلى نفوس شيطانية تتاجر في الدماء.

***

أسفل المياه الدافئة المنسابة تقف (يسرا) شاردة الذهن، فاقدة للتركيز، يخفق قلبها بشدة وهي تتذكر ملامح وجه (أيسر) هي تحاول جاهدة في كل مرة أن تقاتل ذلك الشعور الكاسح الذي يجذبها عنوة وطوعا للتفكير فيه، طريقة حياتها وظروفها من قبل أجبروها أن تعتني باسمها وتحاول أن تجعله لامعا وبراقا أكثر فأكثر حتى تتمكن من حفر اسمها على جدار الإعلام المصري، تقاتل بشدة من أجل حلمها، من أجل تعويضها عن كل حياتها من قبل، تعويضها عن أبيها السكير الذي تسبب في تعاستها هي وأمها حتى مات مقتولا بعد تشاجر مع من يشبهوه تماما بعد أن خسر آخر أموال لديه في المقامرة، رحل كجبل كان يطبق على أنفاسهما معا، أمها التي لم تجد من يساعدها أو يحنو عليها من دون مقابل ما تعطيه، لم تكن تملك سوى جسدا شبابيا جميلا إلى حد ما لم تفرط فيه يوما أو تستخدمه كآداة لجلب المال والرجال، قررت أن تبيع كل شيء وأن تشتري لابنتها الكرامة التي أهدرها الأب،



أكملت في ضيق ومرض ولم تتركها إلا بعد أن أتمت تعليمها وتركت لها جزءا من المال اليسير لم يدم طويلا، أرادت أن تصل إلى أعلى البقاع الممكنة من أجل الراحة والكرامة والمال الوفير لذلك أهملت قلبها ونفذت ما يمليه عليها عقلها دائما، عقلها الذي عجز عن طرد وجه الشاب الوسيم (أيسر) عن قلبها، لقد صبغت دمائها بحبه والآن حان وقت ظهور الأمر، أفاقت عندما اختلفت درجة حرارة الماء ومالت إلى البرودة فأغلقت تدفق المياه ولفت جسدها بمنشفة وخرجت إلى غرفتها وهي تنطق باسم (أيسر) وتبتسم وقررت أنها ستحلم به الليلة كما يحدث كل يوم من وقت رؤيته للمرة الأولى.

***

خيال صاحب الحقيبة السوداء يظهر ضخما على حائط منزله وهو يسرع في ارتداء ملابسه وهو ينظر إلى انعكاس وجهه المتوتر في المرآة، أنهى محاولات اتصال فاشلة مما زاد من توتره، أمسك بحقيبته وخرج من منزله مسرعا ليفاجيء بوجه أسمر أرعبه للوهلة الأولى حتى استوعب أنه حارس العقار الذي نظر له بتعجب وقال...

- إنت خارج يا إبراهيم بيه ؟أمسحلك العربية؟

ابتلع إبراهيم ريقه في فزع بدا على ملامحه وقال...

- آه خارج، بس مش بالعربية، في حد سأل عليا يا عم مجاهد؟

نظر له الحارس (مجاهد) في عدم استيعاب وقال وهو يتفقد وجه (إبراهيم) المتعرق...

- لا يا بيه، حد زي مين ؟ إنت كويس يا إبراهيم بيه ؟ مش متعود عليك تخرج متأخر.

تعالت أنفاس (إبراهيم) وبدا مضطربا للغاية، مسح العرق المتصبب منه ووضع يده على كتف عم (مجاهد) محاولا الابتسامة ثم تحرك إلى خارج



العقار عدة خطوات، في لحظات توقف فيها الزمن ننظر إلى أعلى ليتلقى رصاصة تخترق منتصف رأسه ويسقط أرضًا ميتًا في الحال وبيده تلك الحقيبة السوداء.

هرول حارس العقار (مجاهد) على صوت سقوطه أرضا ليجد الدماء متناثرة في كل مكان، صرخ بصوت مرتفع وصاح قائلا....

- إبراهيم باشا إتقتل، يا ناس الحقونا، يا ليلة سودة مش طالعلها نهار، يا خلق الحقونا.

بعد عدة دقائق كان جميع سكان المنطقة يجتمعون حول الجثمان وأخرج كثير منهم هاتفهم الجوال كي يتصلوا بالنجدة و ينظرون إلى ما يحدث كأنه جزء من فيلم لا يحدث على أرض الواقع، الكثير من الخوف والأصوات المرتفعة المتداخلة التي تزيد الأمور سوءا والكثير من الجيران حول جسد (إبراهيم) الملقى أرضا ولكن لا وجود للحقيبة السوداء ويبدو أن أحدهم قد استولى عليها وسط الصخب والتوتر الكبيرين.

***

في تلك الأثناء كان هناك ضابطين من المباحث داخل فيلا (فادي هارون) يستجوبونه عن مكان ابنه (أمير) بعد أن ذهبت إليهم تلك الفتاة التي كانت برفقته واعترفت عليه وعلى نفسها وروت كل ما حدث وأكدت أن (أمير) قد دهس الضابط أسفل عجلات السيارة خوفا من القبض عليه كما أنه ألقاها شبه عارية في أحد الطرق المنعزلة وقال أحد الضباط....

- لو كنت فاكر إنك هتقدر تخرج زي كل مرة تبقى غلطان المرة دي لأ في ناس غلبانة تديهم شوية فلوس وتهددهم عشان يكذبوا ولا في شك إنه ممكن ما يكونش هو، الظابط التاني اللي كان في الوردية قال كل مواصفاته والبت اللي كانت معاه اعترفت عليه، لو فاكر إن حق ظابط أو مواطن ممكن يتساب



عشان عيل مستهتر ماشي يدوس في خلق الله معتمد على فلوس أبوه تبقى غلطان يا فادي باشا ومش من مصلحتك تخبيه.

لم تتغير تلك الابتسامة من على وجه (فادي) ولم تتغير وضعية جلوسه بقدم فوق الأخرى بل أمسك بسيجار أشعله وأخذ نفسا عميقا أخرجه دخانا في وجه الضابطين وقال....

- الفيلا عندكم يا بشوات وكل ممتلكاتي إنتوا عارفين مكانها كويس، شركتي كمان تحت أمركم لو حابين تفتشوها.

ثم وقف وقال...

- أنا مضطر إنى أسيبكم وأمشى ،إنتوا عارفين يا بشوات إن البيزنس مبيستناش.

تحرك في اتجاه باب الخروج من الفيلا وتغيرت ملامح وجهه إلى الغضب و سرت رعشة في جسده لوهلة من قول الظابط قبل أن يخرج....

- الظابط مات و خليني أؤكد لك إن ابنك قريب أوي هيلبس البدلة الحمرا وهلف بنفسي حبل المشنقة حولين رقبته، الظابط اللي مات ده كان دفعتي ومش هسيب حقه، إحنا متعلمناش نسيب حق بعض.

***

الرائد (عمرو) يسير مسرعا في اتجاه مكان الحادث ومن خلفة النقيب (مروان) كظله، اخترقوا الصفوف بصعوبة حتى تمكنوا من العبور، الكثير من سيارات الشرطة وهناك سيارة إسعاف تقف متأهبة لنقل الجثمان إلى المشرحة من أجل التقرير الطبي عن الحادثة، اقترب (عمرو) من ضابط ما يبدو أنه من توجه أولا إلى مسرح الجريمة عقب البلاغ عن الحادث وهو من أبلغ عن اشتباهه في أن الجريمة تمت بقناصة وبناءا على المنشور الموزع على كل الجهات الأمنيه وهو في حالة اشتباه أحد الضباط في جريمة قتل عن طريق قناصة



عليه فورا أن يبلغ قائده المباشر والذي بدوره سيخبر العقيد (ماجد كمال) والذي أخبر(عمرو) أن عليه التوجه إلى ذلك المكان والتحري عن الأمر.

سمح الضابط ل(عمرو) و (مروان) من التحري ورؤية الجثة المغطاة أمام ذلك العقار المحاط بكردون أمنى، اقترب (عمرو) وأزاح الغطاء الذي تشرب الدماء تماما ليصاب بالفزع عن رؤيته ل(إبراهيم) وهناك فجوة في منتصف رأسه مشابه تمام لتلك التي كانت في رأس الضحية الأولى (إبراهيم)، نظر (عمرو) إلى (مروان) في خوف ثم اتجهوا إلى الضابط وأخبروه أنهم سيتولوا زمام الأمور من هنا وأن الاشتباه جاء مطابقًا بنسبة كبيرة، أجرى الضابط اتصالاً بقائده الذي أعطى له أوامر بترك الأمور بين يدي الضابطين.

انتظر طويلا حتى أنهى رجال المعمل الجنائي عملهم وأفرغوا في تلك المدة علبتين من السجائر أمريكية الجنسية من دون انقطاع، كأنه انتحار بطيء بنكهة الدماء، أصدر هاتف الرائد (عمرو) صوت اتصال قادم إليه، أخرج هاتفه الجوال سريعا من جيب البالطو الأسود ليجد رقمًا مجهولاً الهوية، تحرك بعيدا عن الصخب سريعًا وأجاب ليجد نفس الصوت يقول له....

- أنا خلصت خطوتي يا عمرو باشا ودلوقتي خطوتك.

انفعل (عمرو) وقال...

- إنت فاكر نفسك إيه يا ابن الكلب إنت ؟ إنت فاكر إنك هتلعب معايا بدم الناس ؟ طب وحياة أمك لأجيبك ملط تحت رجلي وآخد حق الاتنين اللي موتهم.

صمت الصوت كالعادة فقال عمرو منفعلًا...

- رد عليا، إنت روحت فين؟

عاد الصوت مجددًا قائلًا...



- أنا هلتزم بقواعد اللعبة، إطلع شقة إبراهيم، هتلاقى شريط تسجيل جديد، في تفاصيل جديدة وكمان هتلاقي ورقة فيها اسم رجل أعمال هكلمك عنه في الشريط وأقولك إيه دخله بكل اللي بيحصل.

ثم أُغلقت المكالمة فجأة، أغمض (عمرو) عينه في خنق ونظر إلى المنازل المحيطة به في تحدي كأنه يقول أنا أمامك فلتطلق عليا أنا بدلًا منهم إن كنت هذا ماتريده لتصله رسالة من رقم مجهول تقول في محتواها (مش إنت هدفي وأتمنى إنك متكونش في يوم من الأيام عشان أنا مبغلطش، ركز في كلام الشريط).

صعد (عمرو) إلى شقة الضحية الجديدة (إبراهيم) وبمساعدة حارس العقار الذي فتح له باب الشقة بيد مرتعشة وتركه وهبط السلالم مسرعًا تمكن من الدخول إلى الشقة، بعد مجهود ضعيف من البحث وجد الشريط الصوتي وأسفل منه ورقة بيضاء مكتوباً عليها بخط أحمر كبير (فادي هارون)، أمسك (عمرو) الورقة ووضع يده أعلى رأسه في عدم فهم ما يحدث.

***

في وقت باكر من صباح اليوم التالي يرن هاتف (يسرا) لتفيق على صوته المرتفع، تمسح عينيها في كسل وتنظر إلى شاشة الهاتف لتعرف ماهية المتصل لتجد المكاملة من (أيسر) تبتسم وتجيب على الفور لتجد صوته ...

- أنا آسف لو كنت صحيتك بدري.

تجيبه بدلالٍ...

- هو أنا أطول أصحى على صوتك كل يوم.

يتعجّب من قولها ثم يقول...

- في جريمة قتل تانية حصلت امبارح بنفس المواصفات بس المرة دي لواحد شغال في شرطة بترول اسمه (إبراهيم حلمى)، إتقتل امبارح بالليل قدام بيته



في المعادي، الداخلية مقلوبة بشكل مش طبيعي، التكتم على الخبر كبير بس أنا قدرت أصور الجثة قبل ما ينقلوها، كمان قدرت أصور الظابطين المسؤلين عن القضية بالكامل وعرفت أساميهم كمان.

ظهرت ملامح القلق على وجه (يسرا) وقالت...

- ده واضح إن الموضوع كبير بقى، طيب بقولك إيه أنا هقوم ألبس هدومي وأسبقك على الجُرنال وإنت حصلني بسرعة.

جاء صوت (أيسر) سريعًا قائلًا...

- أحصلك أيه، أنا مستني تحت بيتك، خلصي وانزلي سلام.

انتهت المكاملة بسعادة بالغة على وجه (يسرا) فوضعت الهاتف الجوال بالقرب من قلبها ثم توجهت إلى شباك الغرفة ونظرت من خلف الستائر لتجد (إيسر) يقف على الجهة المقابلة للعقار التي تقطن فيه، تسارعت أنفاسها فرحًا وازادت دقات قلبها ثم توجهت إلى خزانة الملابس واختارت أفضل ما تملكه من ملابس.

***

للمرة العاشرة يستمع الرائد (عمرو) إلى الشريط المسجل بصوت ذلك القاتل المضلل لأقصى حد، يراوده شعور قوي بأنه سيتلاعب به ويضيع الكثير من الوقت حتى يتمكن من تنفيذ مخططه، تلك الورقة المكتوب بها اسم رجل أعمال معروف للجميع لكن لا وجود ما يدينه، أعاد الشريط مرة أخرى واستمع إلى ذلك الصوت المعدل الذي بدأ قوله...

- الجريمة التانية، هدف جديد بسبب جديد، إنت لازم تعرف إني بنفذ اللي بيطلب مني، أنا عيشت واتربيت على كده، أنا اتخلقت عشان أكون قاتل بالفطرة، فادي هارون، الاسم ده هو محل اهتمامك الفترة الجاية، دَوّر وراه كتير ولو كنت شاطر هتلاقي سبب منطقي لكل اللي بيحصل، فادي هارون



صاحب نفوذ ومال ويقدر يعمل أي حاجة، لمصلحتك خلي الاسم ده سر بيني وبينك لحد ما تلاقى اللي يدينه وإلا هتبقى على قايمة أهدافي قريب، أنا بعمل كده ليه ؟ ده السؤال المهم اللي إنت عاوز تسأله ليها، أنا بحاول أصلح ولو جزء بسيط من الأضرار اللي اتسببت فيها، أو ممكن جدا أكون بضللك، إنت اللي في إيدك الحل، مش حابب أكون شخص سوداوي بس في جريمة قتل تالتة خلال أيام.

الدُّخان المتصاعد من صدره يكاد أن يخفي ملامح مكتب التحقيقات عن لآخره، ينظر بتركيز كبير إلى سلاحه الناري ويشعر أنه غير قادر على تغيير أي شيء، يشعر أنه داخل دوّامة تجرُّه إلى قاع اليأس، فكّر جيدًا في كل الاحتمالات ولا وجود لحل متاح، يجب أن يبقى هادئًا أو يتنحّى عن تلك القضية، لا يُمكنه أن يستسلم الآن فهو ضمن الأحداث، معه خيط جديد أمامه يصل به إلى الحقيقة أو يقوده إلى السّراب، عليه أن يكون صيّادًا ماهرًا وأن يبقى على أنفاسه لنهاية الأمر، درس على يد قادته أن ليس هناك جريمة كاملة وأنه ليس هناك قاتل لا يخطيء صمت قليلًا ثم قال بصوت يخرج معه دخان كثيف...

- وأنا في نتظار الخطأ ده.

طرق الباب فجأة ودخل من خلفه النّقيب مروان على عُجالة وقال...

- عمرو باشا في واحدة اتّصلت بالنَّجدة وقالت إنها تعرف مين اللي قتل الدكتور النفسي (مجدي فرحات) المكالمة اتحولت ليا ولما كلمتها وسألتها عن اسمها قالتلي إن اسمها مريم مصطفى زوجة رجل الأعمال فادي هارون.

سمع الرائد (عمرو) ذلك الاسم الأخير فشرد قليلًا ثم عاد إلى صوت (مروان) وهو يُكمل...

- قالت حاجة غريبة أوى، إن فادي هارون جوزها هو اللي ورا موت الدكتور ده وإنه مستعد يموت أي حد عرف عن تجارته المشبوهة أي حاجة هي بعتت



نسخة من الملف اللي يدينه مع صديق ليها اسمه (إبراهيم حلمي) صديق شخصي ليها شغال في شركة بترول المفروض إنه يسلّم الملف ده لينا، ولمّا قلتلها إن إبراهيم إتقتل امبارح، انهارت، قالت إنها محتجزة في مكان متعرفهوش وإن فادي هو اللي حابسها، أنا عَرَّفْتها إحنا فين وإزاي توصلنا وهي قالت هتوصلنا وتسلمنا نسخة هي كانت مخبياها في خزنة بنك وفجأة المكالمة قطعت ولما اتصلت لقيت التليفون مقفول.

ظهرت معالم الخوف والصدمة على وجه (عمرو) الذي غاب داخل تفكير لعدد لا متناهي من الاحتمالات التي قد تُمزّع أي عقل بشري، نظر إلى (مروان) وقال...

- مروان أنا عاوز إذن نيابة بتفتيش مسكن فادي هارون ده ويكون عندي خلال ساعة بالكتير، وأنا عندي حاجة لازم أعملها ضروري.

تحرك الضابطان خارج تلك المقبرة الممتلئة بالدُّخان السام والأفكار الخانقة واليأس المتشبس بحوائطها وداخل طلائها القديم ثم أغلق الباب ببطء ليسود الظلام.

***

فبراير 2008....

داخل منزل دلال هناك رجل مهندم الملبس، وجيه المظهر ،هادىء الطّباع والملامح، يتحدث بثقة ونفوذ يبدوان على وجهه، أخرج مبلغاً من المال كان داخل حقيبة سوداء فاخرة الصُّنع ثم وضعهم على منضدة تفصلُ بينه وبين دلال وأشار إلى شاب يقف خلفها قائلًا...

- 100 ألف جنيه كويس للبطل ده ؟

نظرت دلال إلى ذلك الشاب الذي بدا عليه عدم استيعاب ما يحدث من حوله ولم يدرك بعد أنه يُبَاعُ إلى مالكٍ جديد يملك الكثير من المال والنفوذ، بَادلَ دلالَ تلك النَّظرة المحيّرة فقالت...



- طب ما في غيره يا باشا، اشمعنا ده ؟ أصله يلزمني.

ابتسم ذلك الوجيه وقال...

- مشبعتيش منه يا دلال وبعدين أنا ليا نظرتي، أنا قلت ده يبقى ده ولا عاوزاني أزعل منك.

أنهى كلماته واختفت ابتسامته وأصبحت نظراته جدية للغاية ممّا جعل من جسد دلال الممتلىء ينتفض، تنظر إلى المال وإلى الشاب ثم تشير له أن يتّجهَ ويقف بجانب صاحب الملابس الأنيقة وهي تقول...

- روح مع الباشا، هناك عنده هتبقى أحسن من هنا ،روح معاه.

يتحرك الشاب من دون فهم بما يحدث لكنه اعتاد على تنفيذ الأوامر من دون مُجادلة، اعتاد أن يأقلم على أي وضع كان وأن يحيا تحت أي ظرف وفوق أي ألم، اعتاد أن ينجو دائمًا.

نظر له ذلك الرجل في اهتمام ثم أشار إلى دلال ملوحًا وأمسك بيد الشاب ليجده صلبًا لا يهتز فقال...

- أنا قلت إن ليا نظرتي، تعالى ورايا.

نظر الشاب مرة أخيرة إلى دلال ثم خرج خلف الرجل بخطوات ثابتة نحو قدر مجهول لكنه بكل تأكيد لن يكون متهاونا معه فلم يعوده أحد على الراحة حتى في أحلامه، تأتي دائمًا مُقلقة ومفزعة له.

كادت دلال أن تخرج خلفه وتمنع تلك البيعة الخاسرة لكنها تحب المال وتخاف ممن يملك المال والسُّلطة والنُّفوذ وتؤمن حقًا أن القدر وضع كلًا ف في مكانه الصحيح.



الفصل الثامن

«يموت الإنسان عندما لا يكون قادرًا على تحمُّل المزيد من الألم، يُقررُ بعد عدة جلدات أن يستسلم للموت، يرحل فقط تاركا كل ما يملكه وكل ما سُلب منه، ينتقل يقينًا إلى الظّلام الحقيقي هاربًا من النور المُزَيَّف».



سيارةٌ سوداء اللون حديثة الطراز باهظة الثَّمن تتوقف أمام فيلا تتوسّط عزبة زراعية كبيرة المساحة، يهبط السائق مسرعًا كمن أحرقته النّيران ويتجه إلى الباب الخلفي للسيارة ويفتحه لتظهر ساقًا نسائية كاملة الإغراء مُزَيَّنة بحذاء ذهبي لامع، تهبط أرضًا ثم تتبعها القدم الأخرى ويتدلّى طرفٌ من فستان قصير أحمر اللّون ليُكمّل زهوَ تلك الممثلة البارعة الجمال (إيناس).

مع صعودها أول السلالم التي تقود إلى الفيلا فتح بابها وخرج منه رجل خمسينيًا قصير القامة كثير الكلام، أصلع الرأس كث الشارب النابت بوجه دائري أبيض اللون، جسده ملتحم ببعضه البعض بصورة عجيبة فلا تدري أين بدايته وأين ينتهي لكنك تلاحظ أوسطه بسبب تلك الكرة الدهنية الكبيرة التي تكونت في المنتصف لتبرز من خلف الجلباب الأبيض الفضفاض الذي يرتديه، اندفع نحو (إيناس) وقَبّل يديها وقال...

- الفنّانة بنفسها هنا ،أنا مش مصدق والله.

نظرت إلى وجه الكاذب وتلك الابتسامة المصطنعة والتي تجيدها هي الأخرى وقالت...

- إيه العز ده يا كمال ؟ هو مجلس الشعب بيعلي أوي كده ؟ تلاقيك عملت صفقات محدش عرف يعملها قبليك.

اختفت بسمته قليلًا وقال وهو يمسك بيدها ويتحرك إلى داخل الفيلا...

- طبعا مجلس الشعب بيغير بدليل إنك عندي هنا بعد ما رفضتي قبل كده كتير.



دلفـوا إلى الداخـل معًـا وأغلـق السـائق بـاب الفيـلا خلفهـم وانطلـق مسرعًـا بالسـيارة إلى خـارج العزبـة، اتجهـوا سـويًا إلى بـار يحمـل عـدداً كبـيرً مـن أنـواع الخمـور المختلفـة باهظـة الثمـن، شربـوا سـويًا عـدة كـؤوس ثـم نظـرا إلى بعضهـم البعـض لعـدة ثـوان قبـل أن يقـترب (كـمال) مـن (إينـاس) وأخـذ يُقَبِّلهـا بنهـمٍ ويتحسّـسُ جسـدها بشـهوة، أحـسَّ أن أنفاسـه تلهـب جسـدها لكنهـا هنـا مـن أجـل هـدف يجـب أن تحققـه فتركتـه يفعـل مـا يحلـو لـه ومـا يقتلهـا.

جذبهـا مـن يدهـا واتجـه بهـا إلى أعـلى السـلالم حيـث الغـرف العلويـة مـن الفيـلا، خلعـت حذائهـا الذهبـي الأول عنـد الدرجـة الخامسـة مـن السـلم بينـما خلعـت الآخـر عنـد الدرجـة الأخـيرة أمـا عـن كرماتهـا وعفّتهـا فقـد خلعتهـم منـذ وقـت بعيـد لا تتذكـره.

دخلـت إلى الغرفـة ووضعـت يدهـا أمـام صـدره تمنعـه مـن الدخـول معهـا ورسـمت ابتسـامة سـاحرة لم يخلـق أكـثر منهـا تضليـلًا، ابتسـم وهـي تغلـق بـاب الغرفـة في وجهـه، سـارعت في إخـراج كامـيرا صغـيرة ثبتتهـا في مـكان مـا يتيـح لهـا تسـجيل مـا سـيحدث في الغرفـة ثـم خلعـت ثيابهـا وفتحـت البـاب ووقفـت تنظـر إلى ذلـك القصـير، مـا أن رآهـا حتـى تلبسـته شـياطين الجـن جميعًـا فـور رؤيتـه جسـدها عاريـاً وأنهـا أصبحـت لـه بعـد أن كان يحفـي خلفهـا لسـنين، خلـع جلبابـه واندفـع نحوهـا بقسـوة.

الكثـير مـن الجلبـة وتعـالي الأنفـاس والتأوُّهـات واهـتزازات الجسـدين معًـا جـرّاء التحامِهـما المُحـرّم سـجّلتْه الكامـيرا بـكل وضـوح، كامـيرا قـد سـجلت ليـالي حمـراء لا حـصر لهـا مـن قبـل، كامـيرا كانـت كحبـل مشـنقة تلـفُّ حـوْل عنـق مـن يريـده ذلـك الـذي يمتلـك التسـجيلات (فـادي هـارون)، سـقطت دمعـة حارقـة مـن عينهـا وانفصلـت روحهـا عـن جسـدها للحظـات تاركـة العـالم القـاسي وظلّـت تحلّـقُ بعيـدًا طالبـة التوبـة فلـم تجـد مـلاذاً لهـا فعـادت لتُعـذَّبَ داخـل جسـدها مـن جديـد.

***



مجموعـة مـن سـيارات الشرطـة تتحـرك بشـكل منتظـم وسريـع خلـف سـيارة يقودهـا النقيـب (مـروان) وهـو ممسـك بجهـاز لاسـلكي يعطـي أوامـره للبقيـة، يتلقـى هاتفـه الجـوال مكالمـة واردة مـن الرائـد (عمـرو) فيجيـب قائـلًا...

- عمرو باشا.

يستمع إلى ما يقال ثم يجيب...

- تـم يـا باشـا، أنـا معايـا إذن النيابـة في إيـدي أهـو، دقائـق وهكـون بفتـش فيلا فـادي هـارون وإن شـاء اللـه نلاقـي مريـم بخـير.

يستمع بحرص مرة أخرى ويقول...

- تعليماتك يا عمرو باشا وإن شاء الله الأخبار تبقى كويسة.

ينهي المكالمة ثم يزيد من سرعة سيارة ويتبعه الجميع في انتظام.

بعـد عـدة دقائـق تصـل القـوات أمـام فيـلا (فـادي هـارون) ويحيطـون الفيـلا مـن كل الجوانـب، يتحـرك النقيـب (مـروان) مسرعًـا ومـن خلفـه القـوات، طـرق بـاب الفيـلا ففتحـت إحـدى الخادمـات في خـوف، دخلـت القـوات عُنـوة إلى المنـزل ليجـدوا (فـادي) يجلـس داخـل مكتبـه الموجـود بالـدور الأرضي وعندمـا وصلـوا إليـه لم يحـرك سـاكنًا وظـل جالسًـا كـما هـو وقـال...

- أقـدر أعـرف إيـه سـبب الزيـارة المتكـررة دي ؟ إنتـوا بتسـعدوني بصراحـة بـس بتعطلوني .

أخـرج (مـروان) الورقـة التـي تتضمـن إذن النيابـة العامـة وأعطاهـا إلى (فـادي) الـذي وقـف وأمسـك بهـا ثـم قرأهـا وأعادهـا إلى النقيـب وقـال...

- اتفضلـوا فتشـوا بـس إذنـين نيابـة في أسـبوع واحـد ؟ غريبـة جـدا، طـب المـرة دي أقـدر أعـرف بتـدوروا عـلى إيـه بالظبـط ؟

إجابة مروان...



- قصدك على مين؟

تجهّم وجه (فادي) وقال بهدوء يشوبه القلق..

- على مين يا ترى؟

إجابة مروان...

- مرات سعادتك، مريم اللي إنت مخبيها ومحتجزها.

كادت ملامحه أن تخونه لكنه تمالك نفسه وقال...

- وأنا هحتجزها وأخبيها ليه ؟ دي مراتي ؟

اقترب مروان من المكتب حتى أصبح مقابلًا لفادي وقال...

- مش يمكن كشفت حاجات مكنتش تحب إنها تنكشف..

ابتسم فادي وحرك رأسه في سعادة مصطنعة وقال...

- أقدر أعرف اسمك إيه يا حضرة الظابط ؟

بجدية كبيرة وتحدي كبير قال...

- اسمي النقيب مروان السّمان وصدقني مش هتنسى الاسم ده لآخر يوم في عمرك.

أومأ فادي برأسه موافقا وهو مازال محتفظا بابتسامة و قال...

- أوعدك إني مش هنساه يا مروان بيه، طب الفيلا قصادكم تقدروا تفتشوها كويس بس أستاذنكوا أنا عندي شوية شغل فهفضل قاعد في مكتبي وإنتوا براحتكوا خالص بس يا ريت ترجعوا كل حاجة في مكانها بعد ما تخلصوا.

قال تلك الكلمات ثم جلس على مكتبه وأخذ يفحص عدة أوراق أمامه على المكتب وبدأ يرتشف من فنجان القهوة وهو يبادل مروان النظرات من الحين إلى الآخر.



تحركت القوات وفتشوا كل شبر بالمنزل ولم يجدوا أي أثر ل(مريم) فعادوا خائبين الرجاء إلى النقيب (مروان) الذي ظهرت عليه معالم الغضب، وقف فادي هارون واقترب من النقيب الشاب وقال...

- أنا بس نسيت أقول لحضرتك حاجة مهمة ومحبتش أبوظ شكل القوة اللي جاية تفتش وإذن النيابة اللي أكيد تعبت عشان تاخدوا في وقت قصير، أنا مقدم بلاغ في القسم عن اختفاء مراتي مريم من أسبوع تقريبًا وللأسف بعد أسبوع كان رد الشرطة إنها جاية تفتش بيتي وتتهمني إني خاطفها كمان، هو ده اللي بتعملوا الشرطة صح؟

لم يجب (مروان) لكن الحقيقة كانت جلية بالنسبة له، فادي هارون رجل فاسد حتى النخاع كان الرد نظرة باهتة وظل هو وفادي ينظرون إلى بعضهم في تحد ثم أمر مروان الجميع أن يغادروا إلى الخارج حيث سيارات الشرطة.

بعد أن خرج الجميع تغيرت ملامح (فادي) إلى الغضب وأجرى مكالمة سريعة وعندما أجاب أحدهم قال...

- بنت الكلب معاها موبايل وكلمت الشرطة منه، تروح أو تبعت حد من الرجالة المهم إتصرف ومش عاوز غلطات.

***

في شقة مظلمة مغطاة بالستائر الثقيلة التي تمنع دخول أشعة الشمس إلى الداخل ووسط الأثاث المغطى بالمفارش المكتسية بالأتربة وداخل غرفة مغلقة بإحكام تُحاول (مريم) جاهدةً كسر الباب والهروب من مصير لا تريده، هي تعلم جيدًا أنها تتعامل مع رجل فاقد للشعور، يتاجر في دماء الناس الأبرياء، كل أمواله التي تملأ الخزائن الخاصة والبنوك ملطّخة باللون الأحمر القاني، مازالت دماء هؤلاء الأبرياء دافئة تطالب بالثأر لذلك لم تفكر كثيرا في الابلاغ عنه عندما اكتشفت الأمر.



بـدأت دموعهـا تنسـاب فـوق وجنتيهـا عندمـا بـات الفشـل في الهـرب قريبًـا منهـا، الشـبابيك موصـدة جهتهـا ومحاطـة بعمـدان حديديـة، البـاب لا يمكنهـا كسـره بمجـرد أن تركلـه عـدة ركلات مـن دون جـدوى، الهاتـف الجـوال أصبـح لا يعمـل بعـد أن فرغـت بطاريتـه، هـي تعلـم أنهـا مسـألة وقـت قبـل أن يعـود رشـاد ويجهـز عليهـا خنقًـا أو رميًـا بالرصـاص، لعنـت الحـظ العاثـر الـذي ألقاهـا في طريقـه المظلـم، لعنـت الفقـر الـذي جعـل منهـا سـلعة تشـتري وتبـاع، لعنـت الجـوع الـذي جعـل مـن عائلتها عرضـة لناهـشي اللحـوم والكرامـة، ظنّـت أنهـا تمكّنـت مـن الهـروب مـن بـين فـخ الجـوع والفقـر لكنهـا وقعـت في مـا هـو أكـبر، وقعـت في جـوف الجريمـة والفسـاد.

جلسـت أرضًـا في حالـة مـن الاضطـراب والخـوف تهتـز وتهـزي مـن شـدة القلـق، مـرت الدقائـق سريعًـا وقفـز إلى ذهنهـا مـا سـتؤول إليـه الأمـور بعـد ذلـك، فنهضـت وحاولـت ركل البـاب مـن جديـد مـن دون جـدوى، بحثـت في كل مـكان عـن سـبيل آخـر للخـروج حتـى وجـدت مطرقـة كبـيرة يبـدو أنهـم نسـوا وجودهـا داخـل الغرفـة، أمسـكت بهـا كحبـل نجـاة، رفعتهـا بصعوبـة وبـدأت تهـوي بهـا عـلى البـاب الـذي بـدأ خشـبه بالتكسُّر، مـرة تلـو الأخـرى صنعـت فجـوة شـائكة تسـمح بعبـور جسـدها الضئيـل منهـا.

بالفعـل تمكنـت مـن الخـروج داميـة الجسـد بعـد أن نـال منهـا أجـزاء الخشـب البـارز مـن البـاب ثـم توجهـت مبـاشرة إلى الصالـة تبحـث عـن مـكان للخـروج، بـاب الشـقة مؤصـد مـن الخـارج، الشـبابيك مغلقـة بالحديـد، دورة الميـاة نفـس الـشيء، أمسـكت بملبـس قديـم ارتدتـه فـوق جسـدها الدامـي، بحثـت مجـددًا عـن مخـرج حتـى وجـدت بـاب المطبـخ الـذي يقـود إلى سُـلّم داخـلي للعقـار فتحتـه وهرولـت مسرعـةً إلى أسـفل ثـم هربـت إلى الشـارع الجانبـي، شـعرت أن الحيـاة تعـود إلى طـرف مبتـور مـن جسـدها.

***



رشاد يقود سيارة على أحد الطرق السريعة التي تحاصرها الصحراء من الجانبين، ينظر إلى انعاكس مرآة السيارة ليجد أربعة سيارات رباعية الدفع تقترب منه بقوة، زاد من سرعة سير سيارته ليجدهم يقتربوا منه ثم أصبح الآن بين الأربعة، اثنان أمامه واثنان من خلفه، وبدأوا بإطلاق النار عليه، حاول الهروب من ذلك الكمين الذي كاد أن يطبق عليه، الموت بات قريبًا الآن و الدماء بدأت في التدفق داخل رقبته ليختنق ثم سرعان ما تذكر نشأته وكيف أن الحياة سلبته كل شيء والآن تريده خارجها خاسرًا، أفاق وهو يضغط على المكابح بقوة ليصدمه كل من بالخلف بقوة، استغل أن السيارتين من الخلف قد انقلبت إحداهما والأخرى مات سائقها نتاج الحادثة فخرج مسرعًا من سيارته وأخرج سلاحه الناري وقتل كل من كان بالسيارة المصطدمة بسيارته، ثم هرب إلى الصحراء، عادت السيارتان الأخرتان وجن جنونهما، ذهبت واحدة داخل الصحراء خلف (رشاد) والأخرى نقلت الجثامين بداخلها.

بعد قرابة الخمس عشرة دقيقة عادت السيارة الثانية من دون أن تجد (رشاد) الذي كان قد استقل سيارة أخرى قد أوقفها من على الطريق بعد أن تمكن من الهرب بصعوبة.

***

الرائد (عمرو) يجلس داخل مكتبه واضعًا يده فوق رأسه وباليد الأخرى ممسكًا بتقرير الطب الشرعي الخاص بالضحية الثانية (إبراهيم حلمي) ينظر إلى التقرير في عدم فهم ما يحدث، لم يمر أي ضابط مَنْ بُرتبته بمثل تلك القضية من قبل، لما يحدث كل هذا ؟ التحريات التي أجراها بنفسه تلك المرة أكدت أنه لا يوجد أي علاقة تربط بين المجني عليهم، أهو قاتل يختار ضحاياه عشوائيًا أم هناك ضلع ما مفقود، ليس هناك جريمة كاملة ولا وجود للقاتل الذي لا يخطيء، هناك زوجة رجل أعمال تُخبر أن زوجها هو المتسبب



في كل ما يحدث من دون دليل مادي يجزم بقولها، أي لعبة تلك التي تلعب مع ضابطين شرطة وأي مكيدة تُحاك الآن تحت الأرض، الأمور أكبر بكثير مما يعتقد، ما يحدث ما هو إلا عد تنازلي لقنبلة موقوته شديدة الانفجار، الإعلام بدأ بتسليط الضوء على ما يحدث و تحرك الرأي العام وبدأ الجميع في إلقاء التُهم على الأمن واتُهموا بعد كل ما يبذلوه من جهد بالتقصير، كل ما يوجد هنا ليس تقصير بل أمر ما يحتاج إلى تفسير.

ألقى التقرير الخاص بالطب الشرعي على المكتب و أشعل سيجارة ليلتقطه النقيب (مروان) الذي قرأه سريعًا ثم ألقاه هو الأخر وقال...

- وبعدين يا عمرو بيه ؟ ده هو هو نفس تقرير الضحية الأولى مجدي، أنا مش فاهم حاجة يعني فادي هارون ليه يد في اللي بيحصل ولا إحنا بيتلعب بينا ؟

دخان السجائر كان الرد في وجه (مروان) الذي صمت ثم قال من جديد..

- أنا متأكد إنك مخبي حاجة عليا يا باشا، حسي الأمني بيقولي إنك تعرف حاجة أنا معرفهاش.

نظر (عمرو) إلى الدُخان المتطاير ثم قال...

- صح في حاجة واحدة بس إنت متعرفهاش.

اتسعت عين (مروان) وقال...

- إيه هي يا باشا، يمكن أقدرأساعدك، عقلين أفضل من عقل واحد في التفكير.

وضع (عمرو) السيجارة أعلى سطح المكتب وركز نظره عليها وقال...

- أنا القاتل بيكلمني قبل وبعد كل جريمة قتل.

انتفض جسد (مروان) من غرابة ما سمعه وهَمَّ أن يتحدث ليُكمل (عمرو)...

- بيتحداني يا مروان، بيحاول يلعب لعبة معايا وهو كمان بيقول إن فادي هارون ورا كل اللي بيحصل.



قال (مروان) مسرعًا...

- بيكلمك إزاى يا باشا يعني؟

قال عمرو...

- بيكلمني على الموبايل من رقم مجهول وبصوت معدل، أكيد طبعا مش هتفوت عليا إني أحاول اعرف مصدر الرقم بس كل مرة كان بيكلمني من شبكة متخلفة ومن رقم جديد ومن موبايل كمان جديد عشان منعرفش نوصله لا عن طريق الخط ولا الرقم المسلسل للموبايل، مبيغلطش ابن الجنيّة.

مسح (مروان) على وجهه وقال...

- طب وهو إيه مصلحته إنه يعترف عن اللي مشغله ؟ ما ممكن يكون بيشتغلنا أو بيضللنا.

أخذ(عمرو) نفسًا عميقًا من السيجارة وقال وهو ينفّث الدُّخان...

- لو هو بيلاعبنا، مريم كمان بتلاعبنا، إيه سر اختفائها في نفس الوقت اللي فادي عمل محضر عن اختفائها وفي نفس الوقت بتقول إنه حابسها بنفسه، الموضوع في حاجة مش مفهومة، أنا متأكد إن فادي هارون ورا المصايب دي وبدأت فعلًا أجمع معلومات عنه، أصل كل الاتهامات دي ملهاش لازمة من غير دليل مادي، القانون يا مروان، القانون.

جَزَّ مروان على أسنانه وقال...

- القانون محتاج يتعدّل كتير.

أراح(عمرو) ظهره إلى الخلف وقال...

- مفيش قدامنا غير إننا نشوف الخطوة الجاية هتوصلنا لإيه.

***



داخل مكتب رئيس تحرير جريدة (الحدث الأول) يجلس شادي العمروسي يقرأ الخبر الذي أعده كلًا من (أيسر) و (يسرا) عن الجريمة الثانية، يقرأ بتمعن كل حرف ثم يرفع رأسه باتجاه (صُنَّاع الخبر) الاثنين الجالسين أمامه في تَرَقُّب، أنهى القراءة ثم وَقَّعَ أسفله ورفع رأسه في اتجاههما وقال...

- الله ينور يا أيسر إنت ويسرا، بجد خبر في الجون، هو أه هيقلب الرأي العام على ضباط التحقيقات و هيدوشني بشوية تلفونات أمنية بس هيعمل صدى قوي.

ابتسمت(يسرا) ونظرت إلى (إيسر) ثم إلى (شادي) وقالت...

- ربنا يخليك يا أستاذنا بس أنا كان عندي اقتراح كده لو تحب تسمعه.

أومأ شادي برأسه قال...

- اتفضلي.

اعتدلت (يسرا) في جلستها ثم قالت...

- أنا كنت بفكر نحط اسم للقضية دي تتعرف بيها إعلاميًا.

ابتسم شادي وقال...

- هايل جدًا، ها ولقيتي اسم.

قالت يسرا مسرعةً...

- آه يا أستاذ شادي فكرت في اسم (القاتل المجهول).

اتَّسعت عين شادي وقال...

- اسم رنَّان جدًا، ده حتى ينفع فيلم، أنا موافق وهضيفه على الخبر، وإنت يا أيسر رأيك إيه.

لم يكن إيسر مستمعًا لما كان يُقال فقد كان في مكان آخر يشعر فيه بالخوف مما هو قادم، هو الآن في منتصف قضية لا يعرف مدى خطورتها



وردة أفعال أطرافها، بعد عدة كلمات وُجِهَت إليه عاد بذهنه إلى ما يقال ثُم أفاق وقال...

- آه اسم حلو جدًا، أنا موافق طبعًا.

ثم شرد من جديد، ظلّ الاثنان ينظران إليه في عدم استيعاب لكنهم توقّعوا أنه خائف من أن يُصَاب بمكروهٍ ما جرَّاء اسمه الذي يكتب تحت الخبر الذي يهز الرأي العام كل أسبوع وهذا جديد بالنسبة له.

❊❊❊

زاد السواد أسفل عينيه و وبدأت أنفه في إنتاج الكثير من المُخاط و تدلّت السوائل من فمه وازداد ألم جسده ككل، يزحف أرضًا يتلوّى كمن يُجْلَد بقوة من دون رحمة، ثعابين تجتاح جسده وتنهش كل جزء به، صوته أصبح ضعيفاً ورأسه تدق كطبول الحرب الطاحنة، يحاول الاتصال بأبيه لكن من دون جدوى فهو لا يرد عليه منذ عدة أيام لا يُحصيها، حاول الهرب من ذلك المكان لكن دون جدوى، لا يوجد هنا سوى البرد وأصوات أمواج البحر العليّة و الملل، لا نساء يعشق تواجدهن ولا خمور يتجرَّعها مع كل كلمة ولا هيروين لاراحة لبدنه وعقله معًا.

اتَّجه إلى المطبخ كمجنون يكسر كل ما في طريقه، ثورٌ هائجٌ لا رادع له، وجد سكينًا فأمسك بها ووضعها أمام بطنه، يريد إنهاء ذلك الألم للأبد، يريد أن يرحل عن دنيا أبيه القاسي لِيَلْتَقِي بأمه التي فارقته صغيرًا، وفرة المال لم تُعوِّضه شيئًا بل سلبته أشياءًا، سلطة أبيه لم تحميه بل أرهقته كذبًا و حقدًا، لم يجد له هدفًا على تلك الأرض، أراد مضي الأيام حتى تنفذ ويجد نفسه بين أحضانها ثانية، يفتقدها بشدة ومن منّا لا يفقتد أحدهم.

تذكّر بسمة أمه فوقعت السكينة من يده أرضًا وهَوَى خلفها خائرَ القوى يبتسم ويبكي، يرتفع صوته بالضحكات مختلطة بالأنين، عينٌ تذرف الدموع



والأخـرى كحجـر جـاف وسـط الصحـراء، تفتـت خلايـاه بـين الحنـين و الألم ولم يبقـى سـوى جسـداً هزيـلًا فاقـدًا للوعـي في ظـلام الليـل وحيـدًا.

***

العقيـد (ماجـد كـمال) في طريقـه إلى مكتبـه في عُجالـة، يفتـح البـاب ويغلـق خلفـه العسـكري المكلـف بذلـك، يخلـع غطـاء الـرأس ويتجـه مبـاشرة صـوب مكتبـه يجلـس خلفـه وينظـر إلى تلـك الجريـدة التـي تحصـل عـلى المعلومـات قبـل أن يحصلـوا هـم عليهـا (الحـدث الأول) يقـرأ الخـبر الجديـد الـذى جـاء بهـا لتظهـر معـالم الغضـب عـلى وجـه.

يعيـد قـراءة الخـبر مـن جديـد ليلقـي الجريـدة عـلى المكتـب ثـم يجلـس عـدة دقائـق يراجـع فيهـا الخيـارات المتاحـة أمامـه فهنـاك قاتـل مـن أمامـه يطـارده أفضـل مـن ضباطـه، وصحيفـة مـن خلفـة تتصيّـد لـه الأخطـاء وتجهـر بهـا بالأعـلى صـوت، وقيـادات فـوق رأسـه تطالبـه بإنهـاء ذلـك الهـراء الـذي طـال عـن حـده، مسـح عـلى وجهـه وجـذب سـماعة الهاتـف وأجـرى مكالمـة وانتظـر أن يجيبـه مَـن يتصـل بـه ثـم قـال...

- عاوز أعرف كل المعلومات عن...

ثم أمسك الجريدة ونظر إلى اسم ذلك الشاب (أيسر) وقال...

- كل المعلومـات عـن واد صحفـي اسـمه أيـسر عبـد اللـه الفـوّال و بـت صحفيـة اسـمها يـسرا داود، عـاوز ملفهـم يكـون عنـدي خـلال سـاعتين بالكتـير.

ثـم أغلـق المكالمـة وظـل ينظـر إلى ذلـك المقـال الـذي يهاجـم بـضراوة الضابطـين المتولـين للقضيـة وكأنّهـم هـم القتلـة.

***



داخل شركته (فادي هارون) يجلس داخل مكتبه يشاهد الأخبار المشتعلة عن القضية التي أطلقت عليها الصحافة (قاتل تحت الطب) وهو مبتسم، يرتشف من كأس زجاجي يحوي سائلاً أحمر ويسحب أنفاس من سجار كوبي الصنع، ينظر إلى هاتفه الذي أصدر رنة ظن في باديء الأمر أنها من ابنه لكنه وجدها من (رشاد)، ظهرت معالم القلق على وجه ثم أجاب ليجد صوت رشاد يقول...

- مريم هانم هربت من البيت يا فادي باشا، تعليمات سعادتك.

أغمض فادي عينيه في غضب وعضّ شفتيه حتى تدفَّقت الدماء منهما ليأتي صوت رشاد مجددًا...

- فادي باشا تعليماتك ؟

تحدث فادي بصوت يخرج من بئر وقال...

- نفّذ يا رشاد، مش عاوزها توصل لباب القسم.

جاء صوت رشاد قائلًا...

تعليماتك يا باشا.

أغلق فادي المكالمة ثم وقف ثائرًا وألقى بهاتفه الجوال على مرآة كبيرة المساحة لتتكسر مُصْدِرة ضجيجًا يضاهي صوته وهو يقول بعصبية....

- ليه يا غبية ؟ ليه تخليني أعمل كده ؟ غبية.

***

فبراير 2009.....

خيمة وسط الصحراء تطل وحيدة بعيدا عن مرأى ومسمع من الجميع، هناك شمس تسطع بالأفق، حرارتها الحارقة تلهب جسد شابين عاريين يتعاركان بقوة، أوجههم دامية وأعينهم تكاد تكون مغلقة من كثرة اللكمات التي



سددوها لبعضهم البعض، يتقاتلون حتى الموت من دون تراجع أو خوف، دماء تسيل من كل مكان في أجسادهم، انقضَّ أحدهم فوق الآخر بقوة ممسكًا رقبته يحاول خنقه بغضب كبير، يتمكن الآخر من قلب الطاولة ويصبح هو من يخنقه الآن، أصبح وجهه أصفر لا تصل إليه الدّماء، أنفاسه تتقطّع وأصبح الموت وشيكًا الآن.

يقترب أحدهم من داخل الخيمة ويقول...

- خلاص، واضح إني هقرر من فيكم اللي هيكون دراعى اليمين ومين فيكم لا.

وقف الشابان في مواجهة الرجل الأنيق ومازالت الدماء تسيل من أجسادهم كأنهار جارية، نظر إلى بعضهما البعض ثم تحركوا إلى داخل الخيمة يلهثون خلف المياه والمسكنات للآلام.

***





الفصل التاسع

«الموت يُحلِّقُ في الأفق كنِسْرٍ ينظر إلى فرائسه بجفاء، يُحصي أنفاسهم في ضيق، يرتقب الموعد المحدد لينفذ الشيء الوحيد البارع به وهو أن ينهي كل شيء وأن يكون تلك النقطة التي توضع في آخر فصل بالرواية، رواية كل منا».



داخـل مكتـب التحقيقـات يجلـس الرائـد (عمـرو) يسـتمع بحـرص إلى كل مـا يُقـال في تحقيقـات قتـل (إبراهيـم) ومعـه النقيـب (مـروان) يُسَـجِّل أبـرز النِّقـاط في ورقـة خاصـة بـه، دخـل حـارس العقـار وأدلى بمـا رآه ومـا حـدث وقـد كان قلقـه واضحًـا عـلى وجهـه، ثـم زوجـة المجنـي عليـه وأقاربـه حتـى أصدقـاءه بالعمـل، لم تسـفر التحقيقـات عـن نتائـج مُرضيـة كـما هـو المتوقـع مـن الضابطـين، الجميـع أنكـر أن المجنـي عليـه كان هنـاك مـن يعاديـه أو كان عـلى خـلاف معـه كـما أسـفرت التحقيقـات في الجريمـة الأولى تمامًـا.

انتهـت التحقيقـات و حُفظَـتْ لحـينٍ آخـر، لا جديـد سـوى السَّراب، بـئر جـاف مـن المعلومـات و ممـر يقـود إجبـارا إلى الظـلام، العدالـة أبـت أنْ تُحقَّـق في ذلـك اليـوم، الضابطـان في حالـة مـن عـدم الاتـزان، المسـؤلية كاملـة تقـع عـلى عاتقهـم ولـن يرحمهـم أحـد، إنهـا مهنـة الصعـاب، علمـوا أن هنـاك خارجـون عـن القانـون والمألـوف، فرَضُـوا وهـم الآن يُلبُّـون نِـداء مهنتهـم الشّـاقة.

مـرّت عـدة سـاعات مـا بـين دُخَـان السـجائر المتصاعـد مـن صـدور مشـتعلة والصمـت الرّاسـخ في وجـدان قلـت حيلتهـا حتـى الآن، طـرق البـاب و فتـح ليدخـل مـن خلفـه (عـادل الشريـف) خبـير الأسـلحة والعضـو المشـارك في فريـق التحقيقـات، اقـترب مـن الضابطـين وجلـس بجانبهـما ينظـر إليهـما في فهـم واسـتيعاب لمـا يحـدث ومـا آلـت إليـه التحقيقـات فقـال مقاطعًـا لـكل تلـك الأفـكار الهائمـة الشـاردة بعيـدًا عـن الحقيقـة ....



- أعتقد إن لسه بدرى أوي على جو الإحباط العام اللي احنا فيه ده، القيادات مش هتستنى أكتر من كده عليكم لو متحركتوش خطوة لقدام.

أخذ (عمرو) شهيقًا ملأ به صدره ووضع يده على عينه من الإرهاق وقال...

- وإيه اللي في أيدينا يا عادل ؟ مقفولة خالص، أنا فكرت في كل الاحتمالات ومفيش فايدة.

نظر (عادل) إلى صور الضحيتين معلقتين على لوحة داخل المكتب وقال...

- في صفقة سلاح كبيرة جدًا دخلت البلد، كلها لبنادق قنص جزء منها راح لسينا والجزء التاني الصعيد و الواحات، الملف ده سري جدا وأنا مشارك فيه، أنا كنت رافض أتكلم أو أُدلي بأي معلومات لأن الداخلية مكتمة جدًا على الخبر اللي ممكن يقلب الرأي العام بس أنا عندي قناعة شخصية إن اللي بيحصل ده ليه علاقة قوية بالسلاح اللي دخل ده، العيار ده بالذات عيار قنص والجريمتين تمت بسلاح قنص زي اللي دخل بالظبط، أنا شايف إن اللي بيحصل تحدي لقوة الداخلية عن حماية البلد وأمنها .

اقترب (مروان) بجسده وقال...

- الكلام اللي بتقوله ده خطير، بس ده معناه إيه؟

قال عادل محاولًا إيجاد حل ....

- أنا مش عارف بالظبط بس أنا قبل كده توقَّعت وقولتلكم إن العيار ده بيحاولوا يسوقوه ويثبتوا قوة وشكل السبب كده فعلا، التحريّات أثبتت إن الأسلحة اللي دخلت دي متورط فيها 3 رجال أعمال تقال بس لسه مفيش دليل عليهم، الأسلحة دي لو انتشرت هتهدد الأمن بشكل كبير، الإرهاب هيلاقي طريقة يهز بيها صورتنا قدام العالم، أعتقد إنكم عارفين إننا في حرب باردة وبدأت تبقى مباشرة، إحنا لو قدرنا نحل القضية دي هنمنع مصيبة



كبيرة لإن على حسب معلوماتي إن العيار 308 ونشستر لسه مدخلش مصر، بس بدأت كميات كبيرة منه تجهز لتهريبها جوه مصر عن طريق الدول المجاورة، في كمية كبيرة من السودان ومن ليبيا والباقي عن طريق البحر وكله رايح لسينا، أظن كده الرؤية وضحت .

وضع الرائد (عمرو) وجهه بين كفيه ثم نزعها وقال...

- كده الحِمْل زاد.

قاطع الحديث صوت هاتف يرن بإلحاح قادماً من أحد أدراج المكتب، بحث عنه (عمرو) ليجد رقمًا مجهولًا يتصل به، ابتلع ريقَهُ بصعوبة وأجاب قائلًا..

- أنا سامعك.

ليجد صوتًا معدلًا يقول...

- الجريمة التالتة هتحصل كمان دقايق والمرة دي هسيبلك السلاح وشريط جديد جوه الشقة اللي هنفذ منها العملية والموبايل اللي بكلمك منه ،هتلاقي جوه الموبايل معلومات تهمك، الشقة دي هتبقى قدام قسم الشرطة بالظبط، أنا كده بوصلك للحقيقة، خليك واثق فيا وهتعرف إني صح في النهاية.

انفعل (عمرو) وقال...

- أثق فيك إزاي، قسم إيه؟

جاء الصوت قائلًا...

- القسم اللي هقتل مريم قبل ما تدخل من بابه دلوقتي حالًا.

حاول (عمرو) استيعاب الاسم ثم تذكر (مريم) زوجة رجل الأعمال (فادي هارون) حاول أن يتدارك الأمر ويمنعه بالقول فقال....

- حاول تفكر، إيه فايدة ده كله لو عاوز توصلني للحقيقة.



لم يجبه أحد لكنه سمع صوت إطلاق رصاصة ضعيفة للغاية بعدها ارتفع صوت الصراخ و دوَّت أصوات سيارات الشرطة وأُغلقت المكالمة.

وضع (عمرو) الهاتف على المكتب في صدمة وقال...

- مريم إتقتلت.

وقف (مروان) وظهرت عليه علامات الغضب وقال...

- إزاي؟ مين اللي كان بيكلمك ؟ عرفت إزاي ؟

انفعل (عمرو) وصاح...

- القاتل كان بيكلمني وهو بينفّذ.

جلس (عمرو) كمن فقد عموده الفقري متعرّق الجسد وقال...

- مروان، إعرفلي فين القسم اللي حصلت جريمة القتل قدامه بسرعة.

ظل الثلاثة على هيئتهم كتماثيل شمعية دبّت فيها الحياة.

***

العديد من سيارات الشرطة ورجال الأمن يمنعون الصحفيين والمصورين من عبور الكردون الأمنى المحيط بقسم الشرطة ومن أمامه جثمان الضحيّة الثالثة (مريم) التي تلقّت رصاصة أدت إلى فجوة عظيمة في منتصف الرأس وهي الآن جثّة هامدة ملقاة أرضًا ومغطاة بغطاء أبيض وأسفل منها بقعة كبيرة من الدماء المتجلّطة.

من بين كل تلك الجلبة والعديد من عدسات التصوير التي تُحاول رصْد وتوثيق ما يمكن أخذه من موقع الجريمة (أيسر) يخترق الصفوف في عجالة وجدية، حاول أنْ يرى الجثمان وأنْ يستشفّ من أقوال من حوله ما الذي حدث ولم يحصل سوى على القليل كاسم الضحية (مريم) و كلمة (قنّاصة)، لم تكفيه تلك المعلومات فالتف حول القسم وصعد إلى عقار بجانبه ثم طرق



أحد أبوابَ الشقق التي تُطلُ على ساحة القسم وأعطى لمالكها مبلغًا من المال مقابل أنْ يُتيح له المجال من تصوير الجثمان.

مرّت عدة دقائق قبل أن تأتي الإسعاف ورجال البحث الجنائي ومعهم ضابطي الشرطة الرائد (عمرو) والنقيب (مروان) تفحصوا مسرح الجريمة وطلبوا تسجيلات الكاميرات الخاصّة بالقسم وفحصوا الجثمان المُلقَى أرضًا وبدأوا بطرح عدة أسئلة لسكان المنطقة وأمروا بإبعاد كل المتطفلين من الصحافة وإخلاء المجال لرجال البحث الجنائي وبعد أنْ رفع الجثمان إلى إحدى سيارات النقل وانتهى كل شيء كان (أيسر) قد تمكن من تصوير الجثمان بوضوح والضابطين المتولين للقضية المعروفة ب(القاتل المجهول) والذين أثبت فشلهم حتى تلك اللحظات التي آلتْ إلى جريمة ثالثة بنفس الأسلوب وبنفس الطريقة وبشكل أجرأ من قبل فتلك المرة حدثت أمام قسم شرطة.

سكّر مالك المنزل وهبط سلالم المنزل وهو يقلب في الصور التي التقطها في سعادة ثم أخرج هاتفه الجوال وأخرج رقم (يسرا) وأجرى مكالمة وقال...

- يسرا، في جريمة قتل تالتة حصلت، واحدة اسمها مريم مصطفى مرات رجل الأعمال فادي هارون والجريمة حصلت قدام قسم شرطة المرة دي والدنيا مقلوبة، كمان عرفت مين هما الظباط المسؤلين عن القضية دي وصورت كل حاجة، أشوفك بكرة الصبح في الجريدة، سلام.

أغلقت (يسرا) المكالمة وبدا الخوف جليًا على وجهها فثلاث جرائم قتل متتابعة ومتتالية بشكل احترافي وبوقت قصير شيء مخيف ويبدو أنَّ (أيسر) كان على صواب عندما قلق بشأن وضع اسمه أسفل الخبر الحصري الوحيد عن تلك القضايا والتي يتابعها كل الرأي العام، هو الآن مُعرّضٌ للتّهديد، شعرت بخوف من أنْ يصيبه شيء فهو الآن أصبح أقرب بعد أن اقتحم قلبها



وكل جوارحها، نظرت إلى صورة له كانت موضوعة على أحد مواقع التواصل الاجتماعي ثم قبّلتْها وقالت...

- ربنا يسترها عليك يا حبيبي.

***

صوت أمواج البحر يبعث الخوف خصوصًا وسط هذا الظلام الدامس، سيارة تتوقف بجانب شاليه يُطل على البحر ويهبط منها (رشاد) بيده حقيبة صغيرة ويتوجّه صوت الباب الرئيسي للشاليه، يفتح الباب ليجد المكان مظلمًا، يبحث عن مفتاح الإضاءة بعد أنْ أغلق الباب خلفه إتّقاء البرد القارس، يجده ويضيء المكان ليجد (أميراً) يجلس أرضًا في أحد أركان الشاليه يرتعش بشدة وعينه مُحاطة بهالةٍ سوداء، في وضع يُرثَى له، ينظر إلى (رشاد) بضعفٍ ووهنٍ وعينين ترى الخيالات، إنه في حالة من الفوضى والمرض فاقت التوقعات، حمله (رشاد) وألقاه فوق سرير في أحد الغرف ثم بدأ في إطعامه بصعوبة حتى انتهى وبدأ يفوق من شروده نسبيًا، حاول النُّطق قائلًا...

- رشاد، عشان خاطري ،أنا بموت...

ليُسكِته (رشاد) ويُخرِجُ كيسًا صغيراً يحوي مخدر الهيروين، وضع بعضها منه على الكومود بجانبه ثم ترك (أمير) يندفع إليه كالمجنون وأخذ يستنشق المسحوق الأبيض مختلطًا بالتراب المتراكم على الكومود ثم وقع أرضا مستشعرًا النشوة والارتياح في كل جسده الهزيل.

تحرك (رشاد) إلى الخارج ووضع بقية الكيس على البار ومعه حقيبة تحوي ملابس جديدة نظيفة و كمية من الطعام ثم اتجه إلى باب الشاليه وخرج وأوصد الباب من الخارج وأدار سيارة وانطلق بها بعيدا عن ذلك الجسد بلا روح.

***



يفتح باب شقة بإحدى الأماكن الراقية ويدخل إليها (شادي العمروسي) يظهر عليه ملامح التعب والإرهاق، يتجه إلى غرفة نوم أطفاله ويقبل كل واحد منهم ثم يتجه إلى غرفة ليجد زوجته نائمة في سُبات عميق، ينظر لها بِودٍّ وهو يبتسم ويتذكر وقوفها داعمة له في كل مراحل حياته حتى وصل إلى منصبه الحالي وكيف إنها لم تتخلى عنه عندما تأخّر إنجابهما الأطفال حتى بعد 10 سنوات زواج وأنَّ الكثير حاولوا أنْ يُفرقوا بينهما لكنها تمسّكت به خاصة أنّ التّحاليل الطبية أثبتت أنّ حالتهم الصحية كانت جيدة وبعد معاناة كبيرة أنجبت زوجته طفلين توأم بفارق عمري تجاوز الأربعين عاما، لكنهم سعداء رغم كل شيء.

خلع ملابسه في صمت حتى لا يوقظها وبدأ في ارتداء ملابس النوم ليجد هاتفه يصدر رنينًا صاخبًا، هرول إليه في عجالة ليجد رقما غير مسجل لديه، يخرج إلى الصالة الرئيسية بعيدًا عن غرف النوم ويجيب ليجد صوت العقيد (ماجد كمال) يقول...

- مساء الخير، أ/ شادي العمروسي رئيس تحرير جريدة الحدث الأول؟

أجاب شادي...

- تمام، مين معايا.

أجاب..

- معاك العقيد ماجد كمال من جهاز مباحث جنائية، بكلّم حضرتك بخصوص الخبرين اللي نزلوا في الجريدة عن قضية (القاتل المجهول) اللي سمعت في كل البلد، أنا مش عاوز أطوّل عليك بس حابب أقولك إن القيادات حابين إن القضية تكون بعيدة عن الرأي العام، أكيد طبعًا إنت فاهمني ؟

تغيّرت ملامح (شادي) وقال...

- ولو كمّلنا يا سيادتة العقيد هيحصل إيه ؟ إحنا صحافة يا فندم، لازم



نسلط الضوء على القضايا المهمة ده شغلنا وده حق الناس إنها تعرف إن في قاتل سايب في البلد ويتابعوا اللي بيحصل بكل وضوح، وبعدين يا ماجد باشا أنا واخد موافقة من الوزارة قبل ما أنشر خبر واحد عن القضية، أنا بعتذرلك مش هقدر أوقف النشر في القضية دي لحد ما تخلص.

جاء صوت العقيد (ماجد) قائلًا....

- أنا مش بطلب منك يا أ / شادي ده أمر وجاي من القيادات وبالنسبة للموافقة اللي أخدتها فكلامي ده بيلغيها، أنا بلغتك وأتمنى تكون فاهم كويس إننا عارفين شغلنا كويس ومش عاوزين أي حد مهما كان يعطلنا، تصبح على خير.

انتهت المكالمة وبدا على (شادي) الغضب الشديد من لهجة (ماجد) وأحس أنّ هناك إهانة كبيرة وخسارة أكبر إذا ما ترك القضية وهي الآن الحدث البارز في داخل البلد، جلس على كرسي وثير وأخذ يفكر بشكل هادىء وعميق حتى غلبه النُّعاس.

***

فبراير 2010....

أصوات لإطلاق نيران كثيفة على لوحات متحركة داخل ساحة أُعِدَتّ خصيصًا للتدريب على إطلاق النار وسط الصحراء، اثنان يتبادران على إصابة الأهداف بشراسة، أحدهم يجيد استخدام السلاح باحتراف كبير والآخر يحاول لكنه لا يصيب بسبب قلة تركيزه، يحاول اللحاق بالآخر لكنه يفشل ويزداد عصبية وتوتر فيفشل في النهاية.

يقترب رجل مقبلاً عليهم من ظهورهم ويأمرهم أنْ يوقفوا التصويب ثم يأمر أحد الرجال التابعين له بأن يحضر صندوق خشبي كبير ويضعه أمامه على الأرض، يضع الرجل الأنيق يديه على كتفي الشابين ثم يتجهون إلى



الصندوق الخشبي يفتحه ذلك الرجل ويخرج منه بنادق للقنص، يعطي كل واحد منهم قنّاصة فيتفقدوها في انبهار من تطور شكلها ومميزاتها، يذخرون القناصتين ثم يتوجه أحد الرجال التابعين للرجل الأنيق ويضعون أهدافًا على بعد كبير تخطى ال800 متر داخل الصحراء.

يتراجع الأنيق ويأمرهم بإصابة الأهداف، يتخذ كل واحد منهم وضعية التصويب ويبدأون في التصويب من تلك المسافة البعيدة، بعد أن فرغت الذخيرة من كليهما تبين أنّ أحدهم أخطأ الهدف في طلقة واحدة بينما الآخر تمكّن من التصويب بدقة في اتجاه الرأس مباشرة في كل طلقة ولم يُخطيء في واحدة حتى.

صفق ذلك الرجل الأنيق وبدأ على وجهه الرضا التام من نتيجة الاثنين لكنه أعطى اهتمامًا كبيراً لذلك الذي لا يُخطيء الهدف، أمرهم أن يحتفظوا بتلك البنادق وأنْ يتأهّبُوا لمهام عظيمة الشأن ثم تركهم داخل الخيام برفقة فتيات في غاية الجمال أقبلْن على الشابين بأجساد أنثوية مثيرة شبه عارية وسط تعجُّب و عدم استيعاب من الشابين وهم ينظران إلى الفتيات في شهوة مقتبل العمر.

***



الفصل العاشر

«وسط كل تلك الجلبة التي تحيط بك وبين كل تلك الأصوات التي تحجب عنك التركيز و أثناء تلك الرؤية الضبابية التي تمنع عنك رؤيته الحقيقة عليك أنْ تكون صلدًا وأن تجتاز الأمر وحدك، فالقادم إليك مسخ قد ولد على أيدي الشّيْطان وتربَّى داخل منزله».



مكان بارد للغاية و إضاءة مسلَطة على جثة امرأة موضوعة أعلى جسد معدني، تحمل فجوة كبيرة الحجم أوسط رأسها، جسدها متزرّق اللون بعد أن فرغت الدماء من عروق وتجمّد ما تبقى منه داخل ثلاجات الموتى، يد تقترب وهي مغطاه بقفاز طبي وممسكة بمشرط حاد للغاية وضع أسفل الرقبة ومر ببطء متجهًا إلى أسفل البطن محدثًا شقًا ممتدًا على طول ذلك الجزء من الجسم، مدّ صاحب ذلك المشرط يديه الاثنتين إلى انتفاخ بسيط أسفل البطن وبالتحديد مكان الرّحم، أكمل عمله بالمشرط في ذلك الجزء ثم توقف عن استكمال ما يفعله بعد أنْ رأى شيئاً ما داخل رحم المرأة وأصدر سعالًا شديدًا ثم غطّى الجُثمان بغطاء أسود اللّون وألقَى المشرط على منضدة مجاورة وخلع قُفازيه وغادر حجرة التشريح وهو مازال يسعلُ بقوة واتّجه مباشرة إلى دورة المياة وبدأ في القيء المتتالي.

بعد دقائق فتح باب دورة المياه وخرج من خلفه شابًا في منتصف الثلاثينات ذو جسد طويل نحيف و شعر ناعم مائل على أحد جانبي الرأس الضخمة وعينين سوداوتين خلف عوينات طبية، بدا عليه الانزعاج الشديد واتّجه مباشرة إلى مكتبه وجلس خلفه وبدأ في كتابة تقرير الطب الشرعي الخاص بالمجني عليها (مريم مصطفى) ثم تذكر ما رآه بالداخل وأزعجه بشدة وأكمل كتابة التقرير في غضب.

***



الرائد (عمرو) يقف أسفل عقار مواجهًا لقسم الشرطة الذي حدثت أمامه جريمة القتل، أخرج علبة السجائر وأشعل واحدة، استنشق نيكوتينها بهدوء خارجي شديد وصخب كبير في الرأس، ألقاها أرضًا ثم دهسها أسفل حذاءه اللامع، تحرك في اتجاه العقار وصعد في اتجاه الشقة التي تم تنفيذ جريمة القتل من داخلها، وصل أمام باب الشقة المنشودة وبدأ في محاولة فتح بابها وهو ينظر إلى الأبواب الأخرى المغلقة، ظل يحاول لعدة دقائق حتى تمكّن من فتح الباب، دلف إلى الداخل حيث الظلام ثم أغلقه خلفه في هدوء، على ضوء هاتفه بحث داخل الشقة عن تلك البندقية التي تستعمل في القنص وعن ذلك الهاتف الجوّال الذي يحوي المعلومات الهامة على قول المتصل المجهول.

استمر في البحث حتى وجد حقيبة داخل غرفة تطل نافذتها على قسم الشرطة مباشرة، ارتدى قُفّازًا أسودَ قبل أنْ يمسك بتلك الحقيبة ويبدأ في إفراغ محتوياتها، وجد بداخلها بندقية قنص حديثة الصنع منقوشاً على معدنها باللغة الإنجليزية (سافاج 10) وضعها جانبًا وأفرغ محتويات الحقيبة ليجد الهاتف الجوال وشريطًا تسجيليًا صغيراً، جلس فوق الفراش داخل الغرفة وبدأ يُفكر في كل ما يحدث ولم يجد أي شيء منطقي أو مادي يستند إليه في تحقيقه أو يخبره إلى قائده المباشر.

فضّلَ المُضِيَّ قُدُمًا واللعب بنفس طريقةِ القاتل، سيكون عليه أنْ يجاريه فيما يقول . وضع كل شيء داخل الحقيبة وهَمَّ بالخروج، ظلّ مرتديًا القُفّاز الأسود حتى وهو في طريقه إلى السيارة عسى أن تكون هناك بصمة قد أغفلها القاتل على تلك الحقيبة، مازال يؤمن أنّ اكتمال الشيء من الأمور المُحالة، لا وجود للكمال على تلك الأرض، أدار موتور سيارته و رحل عن ذلك المكان الذي تفوح منه رائحة الدماء ويدوِّي صوت صرخة استغاثة لمن قُتِلَتْ غدرًا.

***



الشـمس قادمـة مـن بعيـد عـلى استحياء، تريـد أنْ تمحـوَ الظـلام مـن النفـوس قبـل السـماء القانتـة عـلى مـن هـم أسـفلها، الشـوارع تحمـل همـومَ مـن مـروا فوقهـا، تظـل تتغنّـى بهـا ظيلـة الليـل كسـنفونيات حزينـة خالـدة، خطـوات قادمـة مـن بعيـدٍ لشـخص خائـف مضطـرب، يُخفـي ملامحـه داخـل معطـف أسـود و قطعـة قمـاش يلـف بهـا وجهـه، يلتفـت حولـه كل بضعـة خطـوات حتـى يصـل إلى مدخـل عقـار، يصعـد عـدة سلالم في عُجالـة حتـى يصـير أمـام بـاب شـقة مـا، يطـرق بابهـا في هـدوء كأنّـه يريـد أنْ يطرقهـا مـن دون صـوت.

أفاقـت (يـسرا) عـلى صـوت الطرقـات في خـوف، نظـرت إلى السـاعة لتجدهـا الخامسـة صباحًـا، زاد قلقهـا واقتربـت مـن البـاب في حـرص ومـازال الطريـق مسـتمرًا، قالـت بصـوت ضعيـف خائـف...

- مين ؟ مين ؟

أجاب من يقف في الخارج بصوت مألوف لها...

- افتحى يا يسرا ده أنا.

تعجبـت مـن ذلـك الصـوت أحقـا هـو مـن يقـف عـلى بابهـا طالبًـا أنْ تفتـح فقالـت متعجبـة...

- أيسر ؟!

تسـارعت خطواتهـا مـع أنفاسـها ودقـات قلبهـا وفتحـوا البـاب سـويًا لتجـد (أيـسر) يظهـر ويزيـح الغطـاء مـن عـلى وجهـه وهـو خائـف يرتجـف، أمسـكت يـده لتجدهـا بـاردة ترتعـش، أدخلتـه وحاولـت أن تهـدئ مـن روعـه فقالـت...

- مالك يا أيسر ؟ بتترعش كده ليه إنت كويس؟

جلس (أيسر) على أقرب كرسي قابله وأخرج هاتفه الجوال من جيبه وقال...

- اقرأي الرسالة دي وصلتني النهاردة من رقم مجهول.



اقتربت (يسرا) وأمسكت بالهاتف وهي تنظر إلى ملامح وجه أصفر اللون بدأت في قراءتها لتجد مكتوبًا...

- من الأفضل ليك إنك تبعد عن القضية دي تمامًا، إنت متعرفش بتتعامل مع مين، أنا بحذّر مرة واحدة وبس، فرصتك الوحيدة إنك تدور على مكان تستخبى فيه لحد لما القضية دي تتقفل وتنتهي من الوجود وساعتها ممكن أسيبك عايش، أنا مابعتش رسالة مرتين، المرة التانية هتلاقي رصاصة في نص راسك، فكر في كلامي لو عاوز تعيش يا شاطر.

أنهت (يسرا) القراءة وشعرت بخوف شديد على (أيسر) الذي ينتفض خوفًا، أحست بحنان بالغ يدفعها نحوه دفعًا، تريد أن تحتضنه وتخبئه بداخلها فلا يجده أحدا، منعت نفسها بصعوبة أنْ تحتضنه وأرضت شغفها بإمساك يده وقالت...

- متخفش يا أيسر، دى مش أول مرة نتهدد فيها كصحفيين ولا آخر مرة ليك، أنا عارفة إنك لسه في أول المشوار وإن الرسالة دي مش خير ولا تطمن لكن ده معناه إنك ماشي صح، بص خليك عندي هنا كام يوم لحد ما الأمور تهدى، إنت هنا في أمان.

ابتسمت له وهي ترفع رأسه كي ينظر لها، نظر لها وحاول أن يبتسم وقال...

- أنا أول ما حسّيت بخطر إنتى أول واحدة جيتي في بالي ومكنتش عارف أروح فين، هما أكيد عارفين بيتي وكل حاجة عني فعلشان كده فضلت إني أسيب البيت ومرجعش البلد، بس أنا مش عاوز أسببلك مشاكل، أنا همشي أول ما الصبح يطلع.

ضغطت (يسرا) على يده بقوة وقالت...

- تمشي تروح فين، إنت هنا في أأمن مكان، محدش هيتوقع إنك تبقى هنا، صدقني إنت هنا في أمان، معايا.



قالت آخر كلمة واتجهت إلى المطبخ وهي تقول....

- أنا بقى هحضرلك فطار إنما إيه، عشان تعرف إني ست بيت شاطرة.

لم يُعَقِّبْ لكنه نظر إليها في وُدٍّ ورسم ابتسامة تضيف إلى وسامته أضعافًا.

***

صوت لأنفاس ترتفع شهيقًا وزفيرًا يتخللها تأوُّهات و رجفة تزداد حتى تصل إلى ذروتها، ينفصل الجسدان ليظهر جسد (رشاد) المتعرق وهو يجلس مستندًا ويشعل سيجارة وهو ينظر إلى جسد متناسق لفتاة تهبط من فوق الفراش تبحث عن إنعاش جسدها المشتعل أسفل المياه الدافئة، يمسك بهاتفه وينظر إليه ليجد رسالة قادمة إليه من (فادي هارون) يخبره أنه ذاهب اليوم لحضور التحقيق في مقتل زوجته (مريم) ويخبره أن يتهيَّأ لأنَّ هناك مقابلة هامة قريبًا .

وضع (رشاد) الهاتف على الكومود بجانبه ثم اتجه كي يشارك تلك الفاتنة المياه كما شاركها الفراش، اقترب بجسده مفتون العضلات حتى أصبح ملاصقا لجسدها الأنثوي وبدأ كل شيء من جديد.

***

داخل مكتب التحقيقات يجلس رجل كبير السن كثير تجاعيد الوجه ليس لكبر سنه ؛ بل لعِظَمِ همِّه مواجهًا للنقيب (مروان)، ويجلس على الطرف الآخر من المكتب الرائد (عمرو)، الرجل يحدث نفسه ويكاد عقله أن يشت، ينظر إليه الضابطان في فهم ما يحدث معه، فقد قُتِلت ابنته منذ عدة أيام، حاول (عمرو) أن يكون سريعًا ورحيمًا مع العجوز وقال....

- أنا مقدر جدا إنك زعلان وحزين على فراق بنتك بس أنا كان لازم أستدعيك عشان أسمع أقوالك، إنت عارف إن الموضوع مش سهل وإن في



جريمة قتل حصلت، إحنا عاوزين نسألك شوية أسئلة وبعدها هتقدر تروح و على بكرة يكون تصريح الدفن جاهز وتكمل حياتك من جديد .

انفعل الرجل وقال...

- أكمل حياتي !؟ أكمل حياتي ؟ مريم إتقتلت يا بيه، قتلها ابن الكلب.

نظر الضابطان إلى بعضهما ثم قال (مروان)...

- مين اللي قتلها يا مصطفى؟

نظر مصطفى وقال...

- اللي قتلها ... اللي قتلها، معرفش ..معرفش ،أنا عندى بنات عاوز أربيها يا بيه.

قال (عمرو) منفعلًا...

- وحق بنتك يا مصطفى؟

اغروقت عين العجوز بدموع القهر والعجز وقلة الحيلة فنظر إلى أعلى وقال...

- عند ربنا يا بيه، ربنا اللي هيجيب حق مريم .

حاول مروان الضغط عليه وقال...

- يا حاج مصطفى حرام عليك دم بنتك، لو مقلتش هتبقى ظلمتها.

بكى الرجل وقال....

- لا أنا ولا إخواتها نعرف حاجة يا بيه، سيبنا للي خالقنا و إنتوا ربنا يعينكم، لو جبتوا حقها هموت مستريح ولو ملحقتش أشوف يوم اللي قتلها يبقى كله عند الله.

كان الغضب و العجز يملآن جوارح (عمرو)، ما كل هذا القهر الذي يحمله العجوز، من يمكنه أن يسلب قوة أب في مواجهة قاتل ابنته ؟ كيف سيحيا ليوم إضافي وهو يعلم قاتل ابنته ؟ تبًا لعباءة الذل وتبًا لصناع الظلم.



خـرج الرجـل منحنـيَ الظهـر والنفـس إلى ابنتيـه الآخرتـين بعـد أن وَقَّـعَ أسـفل أقوالـه التـى لم تُظهِرْ سـوى الـذل والقهـر، دموعـه لم تتوقـف برهـة وضلوعـه تضيـق وتعتـصر قلبـه المُسِـن في كل ثانيـة، فَقَـدَ واحـدة مـن ثلاثتـه و بُـتِرَ جـزءًا مـن قلبـه و تفـشَّى العجـز في كل أنحـاء نفسـه، حـلَّ الظلـم والظـلام عـلى عالمـه ولم يتبـق لـه شـيئًا، رحـل الأمـل وبَقِـيَ الألم قرينًـا.

دقائـق مـرّتْ وطـرق البـابَ ثـم فتـح ليُدْخـلَ مـن خلفـه عسـكري و بجانبـه (فـادي هـارون) راسـمًا الحُـزن المصطنـع عـلى ملامحـه الأنيقـة، وقـف الضابطـان وسـلما عليـه ثـم قـال (عمـرو)...

- البقـاء للـه يـا فـادي باشـا، إحنـا مقدريـن حـزن حضرتـك بـس إنـت عـارف إن التحقيقـات والإجـراءات لازم تكمـل، عشـان نقـدر نوصـل للقاتـل ونلـف حبـل المشـنقة حولـين رقبتـه، هـو مـش حضرتـك بـرده عايـز ده؟

نظـر (فـادي) إلى عـين (عمـرو) مبـاشرة في تعجـب مـن قولـه ثـم تـدارك الموقـف وقال...

- طبعـا عـاوز حـق مـراتي، لـولا إني واثـق في إن الداخليـة تقـدر تجيـب حقهـا كنـت جبتـه أنـا بنفسي، أنـا تحـت أمركـم يـا بشـوات، بـس يـا ريـت التحقيـق ينتهى بسرعـة لإني ورايـا شـغل كتـير.

بـدأت الأسـئلة الروتينيـة وتبعتهـا الكثـير مـن الأجوبـة المبهمـة، قـارب التحقيـق عـلى الانتهـاء ومـازال ذلـك الشـيْطان يـراوغُ ويـردُّ بـبرود وهـدوء كبيريـن ،هنـاك أمـر مـا مريـب في ذلـك الرجـل، زوجتـه قُتِلَـتْ وهـو لا يُحـاولُ المسـاعدة، كل مـا يفعلـه يَصُـبُّ في كفـه أنّـه الفاعـل أو أنّ لـه يـدٌ في مـا حـدث، لكـن ليـس هنـاك وجـود لدليـل واحـد ضـده الآن سـوى مكالمـة مـن زوجتـه والتـي هـي الآن جثـه هامـدة، شُـحِنَ الضابطـان بالكـره و العـداء تجـاه هـذا الرجـل.

أحسَّ (مروان) بغضبٍ دفينٍ وقال...



- حضرتـك بتتهـم حـد بقتلهـا، أعـداء لحضرتـك، أو منافسـين أو حـد شـغال عنـد حضرتك ؟

نظر فادي بغضب إلى مروان وقال...

- يعنى إيه حد شغال عندي ؟ وضح كلامك يا حضرة الظابط.

نظر عمرو إلى مروان في لوْم ولكنه تلافى الكلمات باحترافية وقال...

- يعنـى حـد مـن الـلي اترفـدوا مـن شركتـك وكان عـاوز ينتقـم ففكـر في قتـل مراتـك حـد مـن المنافسـين ليـك و اتـضر مـن منافسـتك، هـو ده الـلي أقصـده.

نظرات تحدي واضحة على ملامح فادي ومروان قطعها عمرو قائلًا....

- فادي باشا، هو حضرتك كنت عارف إن المدام حامل في الشهر الرابع ؟

نـزع فـادي عينـه مـن عـين مـروان وكأنـه قـد ضرب بقطعـة مـن الحديـد فـوق رأسـه وقـال...

- حامل؟؟ في الرابع؟ لا مكنتش حامل.

أحسَّ مروان أن الآن فرصته كي يُنَفِّثَ عن غضبه وقال...

- لا كانـت حامـل يـا فـادي باشـا، بـس مـش ممكـن كان بينكـم خلافـات الفـترة الأخـيرة فقـررت إنهـا تخبـي عليـك.

بـدأت الدمـاء في الغليـان داخـل رأس فـادي وتدفّقـت في عروقـه منـذرةً بانفجـارٍ قريـبٍ لكنـه تمالـك نفسـه وقـال...

- أنا مريم مكانتش بتخبي عليا حاجة أكيد في حاجة غلط.

أخرج (عمرو) تقرير الطبيب الشرعي وقال...

- دة تقريـر الطـب الشرعـي بيقـول إن مراتـك مريـم كانـت حامـل في الشـهر الرابع وإن الجنـين مـات بعـد مقتلهـا بسـاعات لمـا بـدأ الـدم يقـل مـن الجسـم، الدكتور شـك لمـا لقـي في انتفـاخ في آخـر منطقـة مـن البطـن ولمـا فتـح لقـي جنـين ميّـت.



هدأ صوت فادي وبدا مضطربًا للغاية وقال ...

- حضرتك متأكد؟

أشار (عمرو) بالتقرير وقال....

- معتقدش إن في غلط وفي صور للجنين في الملف ده لو حابب تشوف بنفسك مع إن ده ممنوع.

ظهرت معالم الحزن بقوة على معالم وجهه وأصبح أقل تماسكًا الآن، نظر إلى مروان ليجد بسمةً على شفتيه في طريقها إلى الخروج فقال...

- في أي حاجة تاني أقدر أفيدكم بيها يا حضرات.

قال عمرو...

- لأ يا فادي باشا ،اتفضل إمضي هنا وتعازينا لحضرتك على المدام وعلى الطفل .

هزَّ فادي رأسه في أسى وأمسك بالقلم بيدٍ مرتعشة ثم وَقَّعَ واتجه إلى باب الخروج كأنّ أضيف على عمره عقديْن آخرين.

نظر الضابطان إلى بعضهما البعض وقد تأكدت شكوكهما، هو من وراء كل شيء بكل تأكيد، هو القاتل الأصلي، هو من يُصدرُ أوامره.

***

قدمان تعتليان سور شرفة بالدور السابع من عقار في أحد المدن الجديدة، الرياح تعبث بملابس من تقف مترددة، برودة الهواء تحثها على القفز من أعلى وإنهاء حياتها التي لا طائل منها سوى العذاب، تتذكّر (إيناس) وجه كل رجل استباح جسدها و تمتّع به، تتذكر رائحتهم وسخونة أجسادهم، أصواتهم، كل أمر نفذته من دون أن تتمنع، كل نفس ألهب جسدها في لياليها الحمراء،



تتذكّر كيف بدأ الأمر ولماذا لم ينته، إنها داخل دوّامة قاسية فلا هي تسحبها أسفل وتقضي عليها ولا هي تتركها بسلام، في كل مرة تترك أحدهم يعتليها تهبط بشدة إلى الأعماق، إلى أعماق الجحيم والهوان، شعرت أن جسدها لعنة وأن جمالها نقمة وأن حياتها سجن زمني، في كل مرة تفقد المزيد منها حتى قاربت على الجفاف الروحي، بارعة هي في كل شيء تفعله إلا الحياة، هي جسد بلا روح.

جاءت رياح شديدة دفعتها بقوة فكادت أن تسقط من الشرفة لكنها صرخت وقفزت إلى الداخل وظلت تبكي وهي تحتضن جسدها في خوف و غضب، ظلّت تصفع وجهها بعنف عدة مرات وتُرثي حالها ثم نظرت إلى أعلى في اتجاه السماء، وجهها دامع بشدة و جسدها مرهق للغاية ونفسها عالقة معذبة.

***

فادي هارون يصل إلى فيلته، يفتح الباب في فتور، يتحرك كإنسان آلي من دون روح، صعد السلالم في وَهَنٍ حتى وصل إلى أعلى، اتجه مباشرة إلى حجرة النوم، خلع معطفه وألقاه أرضًا في عدم اكتراث، جلس على الفراش بجانب الكومود الذي يحمل صورة (مريم)، أمسك بالصورة وأخرجها من الإطار التي كانت بداخله، نظر إلى الصورة في أسى وحزن ثم دقق النظر على أسفل بطنها، بدأت الدماء تغلي داخل عقله وعروقه، اشتعل صدره كرهًا وغضبًا، ارتعشت يده وهبط دمه سهوًا، مزّق الصورة إلى قطع صغيرة وبدأ في تحكيم محتويات الغرفة بالكامل، اتجه إلى المرآة الكبيرة في الغرفة و قذف كرسي خشبي في اتجاهها فدوّى صوت انكسارها عاليًا ثم حطّم كل زجاجات العطور في الحائط ،أخرج الملابس من الخزانة وقام بتمزيقها، كل الصور حطّمها وألقاها أرضًا .



موْجـة مـن الغضـب قـد اعترتـه وجعلتـه كالمجنـون، كالثـور يطيـح بـكل شيء أمامـه، أُنهِـكَ جسـده وجلـس أرضًـا ينظـر إلى صـورة أخـيرة معلَّقـة بالقـرب مـن الفـراش وقـال وهـو يبـكي....

- ليه يا مريم ؟ ليه يا غبية ؟ ليه تخلينى أموت ابنى بإيدي ؟

***

فبراير 2011....

الثلـج يهبـط فـوق رأس شـابين عاريـين الجسـد، يقفـون في ثبـات فـوق الثلـج وقـد غطـى اللـون الأبيـض معظـم أقدامهـم، ينظـرون إلى الأمـام في جديـة، يرتعشـون لكنهـم لا يتحركـون، يقـترب منهـما رجـل مرتديـا معطفـا ثقيـلا وبيـده دلـو بـه ميـاه يرشـهما بـه، تتسـارع دقـات قلوبهـما وتتعـالى أنفاسـهما لكنّهـم لا يتحـركان أيضًـا.

بعـد عـدة سـاعات متتاليـة وسـط السـقيع و كميـات الميـاه الملقـاة عليهـما والتـي سرعـان مـا تتجمـد مـن بـرودة الطقـس وانخفـاض درجـات الحـرارة في ذلـك المـكان مـن أوروبـا بـدأ أحدهـما في الغيـاب عـن الوعـي ثـم سـقط أرضًـا عـلى وجهـه، لم يتحـرك الأخـر وظـل واقفًـا هكـذا حتـى حـلّ الليـل وبـدأت تخـور قُـواه ثـم سـقط هـو الأخـر بجانـب مـن كان بجـواره.

اقتربـت سـيارة وهبـط رجـلان حملوهـما إلى داخلهـا ثـم إلى منـزل حيـث الـدفء والعنايـة الطبيـة، أفـاق الشـابان في صبـاح اليـوم التـالي وقـد أصبحـا أكـثر صلابـة وتحمُّـل وهنـاك رجـل أنيـق ينظـر إليهـما بفخـر مـا يصنعـه بهـما أو بمعنـى أصـح مـا يحيلهـما إليـه ،إلى مسـخ.

***



الفصل الحادى عشر

« ضع أحدهم تحت ضغط نفسي قاسي ثم أغلق في وجهه كل الطرق المؤدية للخلاص، أفشل كل محاولاته لتعديل وضعه، اتركه مضطربا خائفا و بلا قوة ثم انتظر أن ترى بعد وقت قصير مسخ كامل الأوصاف لا يحتاج إلى الحلول كي يصل إلى مبتغاه ولا ينتظر خلو الطريق كي يمر إلى وجهته ولا يتأثر بأي ضغط وانتظر أن تُحصِي عدد ضحاياه الذين ستكون أنت من بينهم».



توقفت الطائرة بنجاح على أحد ممرات مطار القاهرة وبدأ يهبط منها جميع المسافرين واحدا تلو الآخر وظهر من بينهم (ألبرتو سيجال) مميزا بذلك الوشم الممتد على سائر جسده وزراعيه، ابتسامة المتعجرفة بادية على وجهه كنذير شؤم، انتهى من الإجراءات و أخذ حقيبته من على سير الحقائب الممل ثم توجه إلى سيارة حديثة الطراز كانت في انتظاره في الخارج، دلف إليها ونظر إلى سائقها ثم أشار له أن ينطلق وهو يخرج هاتفه الجوال وقال بلهجة عربية ضعيفة عندما أجاب عليه (فادي)...

- فادي، أنا في مصر، حدد وقت المقابلة .

استمع بحرص إلى ما يقال ثم رد قائلًا...

- أوك، الساعة 8.

***

داخل المبنى الخاص بجريدة (الحدث الأول) يتحرك (أيسر) بتوجس و شرود بجانب (يسرا) في طريقهم إلى مكتب رئيس التحرير (شادي) كي يخبروه بكل المستجدات وذلك التهديد الذي أتاه من شخص مجهول يحاول أن يثنيه عن تلك القضية المعقده للغاية والتي أثارها هو بالإخبار التي أجاد كتابتها و نشرها حصريا للرأي العام وبذلك أصبح هو الخطر الأكبر والمهدد الأول للقاتل الماهر للغاية .

طرقت (يسرا) الباب في عجالة لعدة مرات متتالية ثم لم تنتظر الإجابة



وفتحت الباب ودلفت إلى الداخل وتبعها (أيسر) وهو يتلفت حوله، رفع (شادي) عينه وألقى نظرة على أوجههم واستشف أن هناك أمرا لكنه لم يكن متفاجئا، تلك هي ضريبة أن تكون صحفيا بارزا في طريقك إلى القمة، أشار لهم أن يجلسوا وقال...

- قبل ما تتكلموا أنا متوقع جدا إن حد فيكم أو انتوا الاتنين يجيلكم تهديد أو حد يتسببلكم بمضايقات، بس عاوز أعرف إيه اللى حصل.

أخرج (أيسر) الهاتف من جيب بنطاله وقال وهو يمد يده به إلى شادي...

- الرسالة دي جاتلي امبارح بالليل يا فندم، أنا متهدد بالقتل لو مسبتش القضية دي وبعدت عنها، أنا أه معنديش حد أخاف عليه من بعد موت أبويا وأمي بس أنا مش عاوز أدخل في مشاكل أنا مش قدها أو أدخل يسرا معايا في دوامة زي دي.

قرأ شادي الرسالة على الهاتف سريعا ثم قال مهاجما...

- أمال كتبت المقال ليه لو إنت مش عاوز مشاكل؟

نظر (أيسر) إلى عين رئيسه ثم إلى عين (يسرا) وقال...

- كنت عارف إن في مخاطر ممكن تقابلني بس مش تهديد بالقتل، أنا عارف إني لازم أتعب عشان أوصل بس مش اتقتل في سبيل إني أوصل.

ارتفع صوت شادي وقال...

- تبقى غلطان، إحنا بنقدم رسالة يا ابني مش بنضرب أخبار ونتشهر على قفاها، إنت عشان توصل لازم حياتك تبقى في خطر طول الوقت، دي ضريبة الصحافة، إنت عامل مشكلة وبتهدد خطة القاتل بالفشل، أربكتله حساباته، هو أكيد عاوز يثبت حاجة باللي بيعمله بس إنت في الطريق الصحيح مادام جاتلك رسالة زي دي، إنك تتهدد ده كان متوقع جدا بس السؤال هنا مين اللي هددك، القاتل فعلا ولا حد تاني؟



تعجبت يسرا وقالت...

- حد تاني زي مين يا أستاذ شادي؟

ابتسم شادي وقال....

- زي الداخلية، حد مش عاوز يكبر الموضوع أكبر من كده لإنك بتسبب عليه ضغط وبتطالبه بسرعة حل القضية.

قال أيسرا بخوف...

- يعنى في احتمال إن اللي يكون عاوزني أوقف بحث في القضية دي تكون الداخلية نفسها مش القاتل؟.

أومأ شادي برأسه بالإيجاب وقال....

- ممكن جدا، إذا كان أنا بنفسي هددوني يبقى أنت لأ، إحنا القوة المحركة للرأي العام دي شغلتنا وكتير بتتعارض مع حسابات الداخلية وخاصة في قضايا ممكن تبين تقصير أو عجز.

قالت (يسرا) ...

- طب وهنعمل إيه ؟ دول هددوا حضرتك وهددوا أيسر.

أخذ شادي دقائق من التفكير العميق جعل الاثنان في حالة من الترقب ثم قال...

- هنكمل يا شباب، مينفعش نوقف دلوقتي، وإذا كان على التهديد ممكن تختفي خالص يا أيسر وتكتب وتكون يسرا هي الوسيط بينا، أنا عندى مكان آمن جدا محدش يعرفه.

قالت (يسرا) مباغتة...

- لا يا فندم أكيد بعد ما الخبر الجديد ينزل هيفكروا إنك اللي خبيته وهيراقبوك وهيوصلوا لمكانه، إحنا مش عارفين إيه مدى قوتهم، أنا عندي مكان وأكيد محدش هيشك فيه.



قال شادي بعد أن ضيق عينه في فهم لما ترمي إليه تلك الفتاة الغارقة بحب أيسر...

- كلامك مقنع، فين يا ترى؟

قالت يسرا باندفاع...

- عندي في البيت.

ظهرت معالم التعجب على وجه شادي فعدلت كلامها...

- أقصد في العمارة عندي أوضه فوق السطح ممكن أخبيه هناك.

ابتسم (شادي) ونظر إلى (أيسر) وقال...

- حلو المكان اللي بتقول عليه ده يا أيسر، محدش هيتوقعه وكمان واضح إن في حد هياخد باله منك كويس ويمكن أكتر مني، خلي بالك من نفسك الفترة دي و احسب خطواتك كويس إنت دلوقتي مطلوب من القاتل أو الداخلية أو الاتنين مع بعض.

شرد أيسر قليلا ثم قال...

- ربنا يسترها بقى .

***

داخل مكتب الرائد (عمرو) يجلس وسط الدخان الكثيف وويغلق كل المنافذ حتى باب مكتبه موصد من الداخل، يستمع إلى الشريط المسجل من القاتل ويمسك بالهاتف ويقلب في محتوياته وهناك تلك البندقية موضوعه أمامه على المكتب ينظر إليها كل عدة دقائق، انتهى التسجيل دون أن ينتبه إليه (عمرو) فقد كان شاردا في تلك البندقية التي قُتِلَ ثلاثة عن طريقها، انتبه لذلك الصوت المميز عند انتهاء كل تسجيل، أعاد تشغيله واستمع بحرص تلك المرة ليجد صوت القاتل المعدل يقول...



- زي ما اتفقنا، أنا أنفذ خطوتي وأنت تستفيد من خطوتك، المرة دي ولإنك التزمت بالاتفاق ونفذت كل اللي طلبته منك ليك هدية عندي، مكان أمير فادي هارون، اللي بالمناسبة قتل ظابط شرطة وداس عليه بالعربية بتاعته، لو علمت تحري عن اسمه هتعرف إنه مطلوب هتلاقي عنوان المكان اللي مستخبي فيه عندك في الموبايل دور عليه هتلاقيه، مش بس كدة أنا هبعتلك صفات وتفاصيل عن الأهداف الجديدة قبل ما أنفذ ب 24 ساعة يمكن تعرف تمنع الجريمة قبل وقوعها مع إني أشك في ده، الضحية الجديدة ذكر في مرحلة الشباب، مش مصري، في وشم مميز جدا على دراعه، التنفيذ بكرة الساعة 10 مساء، هكلمك بعدها أقولك تفاصيل جديدة، اتفقنا يا عمرو باشا؟.

انتهى التسجيل عند تلك الكلمة التي أشعلت النار في عقل (عمرو) فهناك ضحية جديدة ستموت بسبب عجزه، قلة التفاصيل وصعوبة القضية لا يمكن أن تحل بالتفكير الروتيني، أمله الوحيد أصبح الآن في تقرير المعمل الجنائي عن البصمات التي يمكن أن يحصل عليها من تلك الحقيبة التي وجدها في ذلك المنزل وبداخلها تلك البندقية والهاتف الجوال، هو ينتظر نتيجة المعمل الجنائي بفارغ الصبر.

بحث طويلا داخل الهاتف حتى وجد العنوان المنشود، مكان وجود أمير فادي هارون، ذلك الشاب المتهور والذي قتل عن عمد ضابطا خلفه أسرة وأطفال كانوا في انتظار عودته سالمًا .

أخرج هاتفه الجوال وأجرى اتصالا انتظر إجابته ثم قال....

- الرائد عمرو تاج الدين اللي بيتكلم، عاوز أعرف في محضر مفتوح ضد واحد اسمه أمير فادي هارون .

انتظر دقائق حتى أجابه أحدهم أن ذلك الاسم مدرج تحت المطلوبين لقتل ضابط شرطة، وضع عمرو يده على رأسه وقال...



- تمام، أنا عارف المكان اللي مستخبي فيه، عرفت عن طريق مصدر بيشتغل لحسابي، اكتب العنوان ده ويا ريت القوة تتحرك في أسرع وقت قبل ما يهرب، اكتب ورايا.....

***

يخت يشق طريقه بهدوء بين مياه البحر المالحة بعد أن انطلق من ميناء الإسكندرية ويحمل على متنه (فادي هارون) الذي يجلس في المقدمة يستمتع بألحان (بيتهوفن) التي تدوي أصواتها على اليخت وينظر بعين زجاجية ماكرة إلى ذلك الشاب المشوم (ألبرتو سيجال) وهو يتحدث بلهجة مصرية ضعيفة ويقول وهو يفتح حقيبة ضخمة تحوى مبلغا كبيرا من الورق الأخضر محبب الملمس...

- فرانشيسكو حابب يدخل معاك شريك في صفقة أسلحة القنص (سافاج 10) والذخيرة (308 ونشستر)، المبلغ ده تحت الحساب لحد ما تقدر تدخل الكمية اللي في البحر بقالها شهر من الحدود.

أشعل فادي سيجار كوبي وأخذ يسحب منه نفس عميق ثم قال وهو ينظر إلى النقود أمامه على المنضدة التي تتوسطهم...

- انتوا عرفتوا منين المعلومات دى يا ألبرتو، انتوا بتتجسسوا عليا بقى.

أصدر ألبرتو ضحكة وقال...

- مش بنتجسس يا فادي، احنا بنحكم البحر المتوسط وعارفين كل حاجة فيه، فادي إنت عارف إننا من زمان عاوزين نبدأ نتاجر في مصر بس مش عارفين نعدي السلاح من الحدود وحاولنا كتير، فادي الكمية دي كبيرة وحجم المكسب كبير مينفعش تاخدوا لوحدك، كده ميزان القوى يختل .

عاد فادي برقبته إلى الخلف وأصبح وجه ناظرا إلى السماء والنجوم وهم الآن في عرض البحر ثم وضع السيجار في فمه وقال...



- و لو رفضت يا ألبرتو إنكم تشاركوني في صفقة العمر ؟

عاد بنظرة نارية على وجهه وصوبها في اتجاه ألبرتو وقال...

- انتوا عارفين أنا بقالي قد إيه بحضر للصفقة دي ؟ انتوا عارفين أنا دفعت قد إيه عشان أأمن دخولها مصر ومنها لأفريقيا كلها ؟ إنت جايبلي شوية دولارات وجاي عاوز تشاركني على الجاهز ؟ لا انتوا ولا 100 زيكوا يقدروا يقفوا قدامي دلوقتي إنت أضعف من اللي أنا بشتغل لحسابهم يا ألبرتو، انتوا مافيا محلية، قول لفرانشيسكو إني بشتغل للمافيا العالمية واللي من سنين مش عارفة تدخل السلاح مصر وأنا لقيت طريق، هما بيحمونى ،إفهم ده كويس انتوا أقل كتير مما تتخيلوا.

اختفت البسمة من وجه ألبرتو ومد يده وأغلق جقيبة النقود ثم وضعها أرضا بجانبه، تجرع كأس كان ممسكا به على دفعة واحدة ثم ألقى بالكأس في الماء ونظر إلى فادي وقال...

- الرد هيوصلك لما تلاقي سلاحك وفلوسك بتغرق في عرض البحر وابقى خلي المافيا العالمية تحميك وقتها.

نظر الاثنان إلى بعضهما البعض في تحدي واضح ثم رفع (فادي) يده إلى أعلى في اتجاه الذي يقود اليخت وقال...

- ارجع بينا للمينا قبل ما نخف الحمولة يا ابني.

أدار ذلك الرجل الدفة في اتجاه الميناء التي تظهر أنوارة على بعد كبير و ظل (فادي) يسحب أنفاسا من السيجار وهو مبتسم في وجه (ألبرتو) العابث والذي ظهر عليه الضيق وهو يرسل رسالة نصية إلى أخيه (فرانشيسكو) ويبادل النظرات الغاضبة بينه وبين (فادي).

***



أصوات الموسيقى الصاخبة تصم أذنيه، مفعول المخدر بدأ يتفاعل مع دمائه الساخنة من أثر حركاته المفرطة في الرقص بين هؤلاء الثمالى، عقول تاهت بين الحياة وانتهى بها المطاف هنا في القاع، ضلوا الطريق جميعا من دون أن يختاروا ذلك، ألقوا في فوهة البركان عن عمد، أصابهم الوباء من كل صوب، هم بحاجة ملحة إلى هدف للحياة، بحاجة إلى أن يعودوا الحقيقة ويبتعدوا عن الوهم، رائحة أوجاعهم ترتفع إلى سقف القاعة المضيئة بألوان زاهية بلون الموت البطيء، نظراتهم شاردة في اللاشيء، حركاتهم ألم ينهش أرواحهم كثعبان يسعى ويبخ سمومه في عروقهم، من بين هؤلاء وفي المنتصف يكمل (رشاد) رقصة الموت التي ألقى إليها وهو يعلم نهايتها جيدا لكن عليه أن يكمل في الطريق المظلم.

بعد أن خدر عقله تماما لمعت إحدى الفتيات من بين الجميع أمام عينه، اقترب منها لا إراديا وظل يراقصها، يعلم أنه يعرفها خير المعرفة، إنها تلك الممثلة (إيناس) وبالتأكيد هؤلاء السكارى لم يتعرفوا عليها، هي تعني الشهرة والنجومية لكل المجتمع إنما هو فهي تمثل نقطة ضعف له، إنها تلك النواة التي يبني عليها أرضه وينجذب إلى الحياة، هو يعلم نشأتها جيدا ويعلم كيف لها أن تصل إلى ما وصلت إليه فهم يعملون لدى رجل واحد، يدينون له بالولاء الأبدي، الأصفاد في أيديهم وألسنتهم منذ زمن بعيد، دق قلبه بقوة عندما اقترب منها أكثر، تعجب من أن له قلب مازال يعمل، وضع يده خلف ظهرها وضمها إليه وبدأ بالرقص معها مخالفا للإيقاع، في لحظة أحس بدقات قلبها تتسارع وأنفاسها تتوهج، نظر إليها وابتسم، لكن افتقد تلك القدرة على الابتسامة التي جفت من وجهه كبئر نفذت مياهه!

أمسكها من يدها وجذبها إلى الخارج، قبّلها بقوة وقاد بها سيارته سريعا إلى منزله، حملها بلهفة إلى الفراش، ذهب بها إلى جنة الشيطان حيث كل شيء سيء السمعة والرائحة، أكل من ثمارها بنهم شديد وارتوى بصوتها حتى



الثمالة، خلع معها رداء القوة واكتفى بحصن يكمن بين أحضانها، بدأ المخدر يفقد مفعوله رويدا رويدا حتى حضر الواقع بجيشه إلى رأسه، نطق باسمها فلم تجيبه ثم نظرت إليه فلم يجدها، لم يجد (إيناس) بل كانت فتاة أخرى هيأت له، دفعها بقوة ليسقطها من فوق الفراش وسط تعجب وخوف الفتاة، سحبت ملابسها تحتمي خلفها من ذلك الثور الهائج الذي كان حملا وديعا من دقائق يرعى في حدائقها والآن هو أوشك على افتراسها، صرخ بها قائلا...

- اطلعي برة، بسرعة.

هرعت الفتاة إلى الخارج وهي ترتدي ملابسها وتسقط أرضا ثم فتحت باب الشقة وأكملت ملابسها على السلالم وبدأت دموعها بالانسياب، اتجه (رشاد) إلى دورة المياه و الدخان يخرج من جسده المشتعل، فتح المياة الباردة ووقف تحتها، لم يكترث بالبرد القارس ولم ينتفض جسده، كان يريد أن يطفيء ناره ويقتل ما تبقى من حب في قلبه.

***

وصل (فادي هارون) إلى جناحه بفندق (سان ستيفانو) بالإسكندرية، أراح جسده على كرسي وثير أحمر اللون و ضبط المكيف على درجة حرارة مرتفعة نسبيًا عن برودة الجو كي يشعر بالدفء ثم أخرج هاتفه الجوال وبحث عن رقم حتى وجده أجرى اتصالا به و انتظر الإجابه ثم قال....

- ألو، زي ما توقعت بالظبط جاي يهددني ابن الكلب أنا كنت عارف بس حبيت أتأكد قبل ما أفتح النار على الكل، خلص حسب الميعاد اللي اتفقنا عليه، سلام يا مايسترو.

أغلق المكاملة وعاد ليبحث من جديد على رقم آخر حتى وجده وأجرى مكالمة خارجية انتظر إجابتها وقال....

- كمال باشا اللي مشرفنا في مجلس الشعب، معلش بقى بكلمك في وقت



متأخـر بـس أنـا أعـرف إني غـالي عنـدك ولا إيـه ؟ مـا هـو أنـا مكنتـش عبيـط يـوم مـا دعمتـك لحـد مـا دخلـت المجلـس.

جاء صوت كمال عبر الهاتف وعلى صوته أثر النوم وقال...

- قـول يـا فـادي عـاوز إيـه ؟ مـا هـو محـدش بيكلـم حـد في الوقـت ده يـا أخـي، إوعـى تتعـود عـلى كـده أحسـن أعاملـك زي الباقي.

رسم فادي ابتسامة شيطانية على وجهه وقال...

- لأ إوعـى تتغـير يـا أبـو كـما عليـا لحسـن أقلـب أنـا كـمان، إعقـل كـده ومتنسـاش إني أنـا الـلي صرفـت عـلى حملتـك ونجّحتـك.

جاء صوت كمال عبر الهاتف منفعلا...

- إوعـى تنـسى نفسـك يـا فـادي، إنـت بتكلـم حـد عنـده حصانـة وممكـن يفرمـك في سـاعة زمـن، الوضـع إتغـير كتـير فاعقـل كـده و فكـر قبـل مـا تقـول الـكلام.

وقف فادي منفعلا وعلا صوته قائلًا...

- إسـمعنى يـلا أنـت كويـس، أنـا مـش هعيـد كلامـي مرتـين، أنـت هتنفـذ كلامـي بالحـرف الواحـد ولا أقـول لإينـاس إنـك كنـت واخـد الحبايـة الزرقـا في اليـوم ده أصلـك كنـت بايـن في الفديـو وحـش بصراحـة ودي مـش عوايـدك .

هدأ صوت كمال وفهم ما يرمي إليه فادي وقال...

- عاوز إيه يا فادي ؟ طلباتك.

ابتسم فادي وجلس على ذلك الكرسي المريح للغاية وقال...

- إوعـى تكـون فاكـر إني دخلتـك مجلـس الشـعب عـن تتفسـح تحـت القبـة ولا عشـان تفتكـر إنـك مهـم، انـت ولا حاجـة، انـت أوسـخ شـخصية أنـا عرفتهـا بـس كل واحـد وليـه مسـكته يـا نائـب، اسـمع كويـس الـكلام الـلي جـاى ده ونفـذه ومـش



عاوز أسئلة نفذ وخلاص أو الفيديو الجامد بتاعك هعرضه على شاشة السينما قريب وأنافس بيه.

***

في مساء اليوم التالي تقترب عقارب الساعة في اتجاه العاشرة مساءًا، هي على موعد مع ضحية أخرى تزيد الطينة مياه فتسبب الانزلاق إلى أكبر عمق وتشعل فتيل للحرب التي لن تنطفيء، ألبرتو يصفر وهو في طريقه إلى مدخل الفندق الذي يقيم فيه بالقاهرة بعد أن أمضى ليلة حمراء و سحب قدرا وفيرا من الهيروين أشعره بنشوة كادت أن تنتهي .

على بعد خطوات من باب الفندق دوّى صوت طلقة في السماء أفزعت الجميع وأضفت حالة من الخوف، طلقة اخترقت رأس (ألبرتو) من الخلف حتى خرجت من جبهته وأردته قتيلا في الحال، هرع الجميع إلى ذلك الجثمان وأحاط أمن الفندق المكان و اتجهوا بحثًا عن القاتل الذي كان يبعد بأكثر من 1000 مترا عن باب الفندق، القاتل الذي تذكر أول مرة أطلق بها النيران على رأس أحدهم ومن ذلك الوقت وهو يجيد إصابة الرأس واقتلاع الأرواح وكأنه وقّعَ عقدا مع ملك الموت بأن يورد له عددا ما من القتلى.

***

فبراير 2013.....

داخل غرفة قليلة الإضاءة هناك رجل مغطى الرأس بغطاء أسود ثقيل، مقيد بأصفاد حديدية يجلس على كرسي خشبي ثقيل، يُعافر من أجل أن يخلص نفسه لكن من دون جدوى، يستمع إلى صوت خطوات تقترب من باب الغرفة فيصمت ويبدأ جسده في الارتعاش.

يفتح الباب ويمر من خلاله رجل أنيق محاط بعدة رجال مسلحين يعملون كحراس له ثم يدخل خلفهم شاب حاد الملامح، حليق الرأس، وسيمًا



بقدر ما، يقترب ويقف أمام الرجل المقيد، يشير ذلك الأنيق إلى أحدهم أن ينزع عنه الغطاء فيتوجه رجل من رجاله لنزع ذلك الغطاء ليظهر رجل في منتصف الخمسينات بوجه دامي وبه الكثير من الجروح، مكمّم الفاه يحاول الحديث لكنه يفشل، ينظر إلى الرجل الأنيق في غلٍّ ثم ينظر إلى ذلك الشاب حليق الرأس في خوف.

يحضر أحدهم سلاحا ناريا ويضعه في يد الشاب الذي لم يستوعب بعد ما يحدث، ينظر إلى ذلك الأنيق فيقول له بصوت هادىء للغاية...

- إضربه بالنار، الشعور بعدها هيكون مختلف ليك، القتل ليه لذة هتفهم بعد ما تقتل أول واحد.

نظر الشاب إلى السلاح الناري ثم إلى عين الرجل المقيد مباشرة فوجده يحرك رأسه بالنفي كأنه غير مصدق أن تكون هذه نهايته، ازداد تشنجه وأصبح وجهه أحمر من فرط العصبية، رفع الشاب السلاح في اتجاه رأسه وسحب أجزاء السلاح الناري ثم تصلبت ملامح وجهه وهو يضغط على الزناد وتوقف الزمن من خروج الطلقة النارية، هو يرى الطلقة وهي في طريقها إلى رأس الرجل المقيد، قلبه يخفق بشدة، لا يشعر بالندم من هذا بل يشعر بشعور آخر مائل للقوة، أشبه بالسلطة و النرجسية، لحظة أصبح فيها إله يمكنه سلب الأرواح، تحرك الزمن واخترقت الرصاصة رأس الرجل، نظر الشاب إلى الدماء السائلة وإلى الرأس المتفجرة وإلى ذلك الجسد الهامد، أحس بشغفه للقتل، لمعت عيناه و رسم ابتسامة فهمها ذلك الأنيق فاتجه إليه ووضع يده على كتفه في فخر.

***





الفصل الثاني عشر

« نمـت تلـك الشـجرة الداكنـة شـديدة المـرارة داخـل جوفـه واتسـعت الفجـوة بـين النـور و الظـلام حتـى اختفـى النـور مـن صـدره وتـرك الظـلام المطلـق بـين ضلوعـه وظـل الشـيطان ماكثًـا بـه ينتظـر الفعـل القـادم».



صـوت صرخـات واسـتغاثات زوجتـه قـادم إليـه مـن غرفـة مظلمـة يهـاب الدخـول إليهـا لكنـه يشـتاق إليهـا في كل لحظـة مضـت، قلبـه رفـض أن يدخـل غيرهـا إلى حـدود روحـه كـما فعلـت هـي، حتـى توسُّـلات والديـه أن يكمـل حياتـه كـما يفعـل الجميـع بـاءت بالفشـل، (عمـرو إلحقنـي) لا يعلـم مصـدر الصـوت أهـو مـن رأسـه أم هـو مـن تلـك الغرفـة المظلمـة القابعـة في آخـر شـقته، غرفتـه المفضلـة التـي كانـت تجلـس بهـا طيلـة النهـار في غيابـه والآن هـي مخـزن لمتعلقاتهـا.

(عمـرو: إنـت مبقتـش تحبنـي ونسـيتني) يضـع يـده عـلى رأسـه ويبـكي مـن صوتهـا الضعيـف القـادم مـن خلـف ذلـك البـاب، يضـع يـده عـلى المقبـض فيجـده ملتهبـا شـديدا الحـرارة وقـد تـأذت يـده، تتعـالى صرخاتهـا أنهـا تحـترق وتنـادي باسـمه في ألم، يـركل البـاب عـدة ركلات ومـازال موصـدًا، يـصرخ ويـأبى مـا يحـدث، يندفـع إليـه بجسـده فيخلعـه مـن مكانـه ويقـع فوقـه، يعتـدل في ألم، مـازال يسـمع صـوت زوجتـه، لا يـرى مـن الضبـاب الكثيـف، الـبرد قـارس للغايـة والدخـان يتصاعـد مـن بـين شـفتيه، يشـعر بإرهـاق كبـير، ينـادي عليهـا بأعـلى صـوت لـه فيسـمع صـوت اختناقهـا، تجمّـدت مفاصلـه وأخـذ يزحـف أرضًـا في طريقـه إليهـا، بـدأ الضبـاب في الاختفـاء وقلـت بـرودة الجـو، وجـد زوجتـه تجلـس فـوق كرسـيها المفضـل مقيـدة اليديـن ومكممـة الفـاه وهنـاك شـخص يرتـدي السـواد يقـف بالقـرب منهـا ويضـع فوهـة سـلاحه عـلى رأسـها، تدمـع عيناهـا في رجـاء وهـي تنظـر إليـه، يشـعر بالعجـز في كل أنحـاء جسـده، لمـح نظـرة تحـدي في عـين ذلـك الغريـب ثـم أطلـق النـيران عـلى رأس زوجتـه ليـصرخ ....





- لا .

يفيق الرائد (عمرو) على صوت منبّه وقد أصبح غارقًا بالعرق رغم برودة الجو، ينظر إلى المكان الفارغ بجانبه على الفراش والذي كان يخص زوجته، يبدو أن تلك القضية أصبحت حملا ثقيلا على مداركه وتختلط بروحه نائمًا و تسبب له أشد الكوابيس، هبط من فوق الفراش يجر قدمه إلى المرآة ونظر بها إلى وجهه المرهق للغاية.

أسفل المياه الدافئة يقف ويحاول أن يطرد كل الأفكار المحبطة من رأسه، يريد حل تلك القضية بكل جوارحه، الموت أرحم من يقف عاجزًا عن حلها، لا يريد ذلك الشعور بالعجز مجددًا كما كان عليه عندما مرضت زوجته وماتت أمام نظره، لم يقوى على فعل شيء سوى إنه انعزل وانطوى على نفسه وحياته الخاصة بعد رحيلها، في قرارة نفسه يعتقد أنه يفعل ذلك من أجلها لكنه يفعل ذلك من أجل نفسه، يخاف أنْ يكون له نقطة ضعف جديدة، آخر قطرات الماء الدافيء انزلقت فوق جسده في تروٍّ بعد ما أغلق تدفُّقها.

قبّل صورة زوجته وألقى نظرة أخيرة على تلك الغرفة المغلقة قبل أن يغادر المنزل الذي أصبح مقبرة فوق الأرض،

حاله في الطريق كان شاردا وكاد أن يتسبب في حوادث عديدة على الطريق أثناء قيادته للسيارة، توقف أمام أحد المباني الأمنية وتوجه إلى مكتبه وقبل أن يدخل أوقفه أحد رجال البحث الجنائي وقال له...

- عمرو باشا، تقرير المعمل الجنائي وصل .

أمسك منه الملف ودخل إلى مكتبه ولم ينتبه إلى تحية العسكرى الملازم لباب مكتبه ثم بدأ في تفحص الملف ليجد ما كان يتوقعه، البصمات على الحقيبه التي كانت بحوزة القاتل أثناء تنفيذه لعملية القتل والتي تركها تعود



إلى (فادي هارون) أغلق الملف وأجرى اتصالا ب(مروان) يخبره أن يأتي إليه في الحال فهناك ما هو جديد.

***

جثمان (ألبرتو سيجال) موضوع داخل صندوق معد خصيصًا له محمولًا داخل سيارة إسعاف في طريقها إلى المطار، اندلعت أزمة بين السفارة الإيطالية و المسؤلين في مصر بسبب مقتل ذلك الشاب الموشوم ولكنها سرعان ما هدأت بعد أن أثبتت التحريات إن (ألبرتو) ما هو إلا شاب ذو سمعة جنائية سيئة وإن جريمة القتل يمكن أن تكون مدبرة له من أعضاء المافيا في إيطاليا مستغلين وجودة خارج البلاد بعيدا عن حراسة الخاصة، انتهت الإجراءات بأن طلب أخيه من أحد رجاله أن يعيد جثمان أخيه إلى ايطاليا كي يدفن بطريقة تليق باسم عائلتة.

وضع الصندوق على متن طائرة خاصة مملوكة ل(فرانشيسكو سيجال) و من ثم حلقت في طريقها إلى إيطاليا ومعها الكثير من الغضب و جسد يحمل الكثير من الوشم وفجوة في منتصف رأسه أنهت حياة مدمن ومفسد.

***

في الساعات الأولى من الصباح تقترب فرقة من التدخل السريع الخاصة بقوات الشرطة من شاليه على البحر، أصوات الأمواج تتعالى لتغطي على خطواتهم الحذرة، صوت ضعيف قادم من الداخل يبدو أنه التلفاز يعمل، أشار أحد رجال الشرطة بعدٍّ تنازلي على أصابع يده قبل أن يقتحم وما إن وصل العد إلى صفر دفع أحدهم باب الشاليه بقدمه فكسره واندفع من خلفه الكثير من عناصر القوات الخاصة ليجدوا (أميرًا) في حالة من الذعر وهو ملقى أرضًا بجسد ضعيف وصحة هبطت إلى أدنى مستواياتها.

علم من رؤيتهم أنه أصبح في وضع صعب وبدأ يبكي كطفل ضاقت به



السبل بعد أن تاه، حاول أن يقاوم ويهرب من أحد الشبابيك لكن أحد الضباط قفز فوقه و بدأ في تقييده وسط انفعالات وصراخ من (أمير).

أخرجوه مقيد اليدين خلف ظهره بأصفاد ومن ثَمَّ إلى داخل إحدى سيارات الشرطة وتحركت جميع السيارات محدثة جلبة كبيرة وأصواتًا تتردد عبر أجهزة اللاسلكي تفيد أنه تم القبض على الشاب الهارب (أمير فادي) والذي تسبب في قتل ضابط شرطة عن عمد.

***

أصبح جسد (فادي) منهك بعد أن أنهى ما بدأه مع (إيناس) التي يختلي بها من كل وقت لآخر كي تشبع رغبته الجنسية، فهو منذ أن رآها ابنة السادسة عشر وعلم أن بها من الأنوثة ما يمكن استغلاله والاستفادة منه، وقد كان فهي بالنسبة له جسد يغري الجميع وخاصة أنه أدخلها إلى مجال التمثيل فأصبحت نجمة متألّقة يشتاق الجميع إلى طلتها، تقف على البساط الأحمر في كل مهرجان في ثوب جديد تجذب به كل المتابعين لها بشغف وحب، الجميع يحلم بقضاء دقائق معها يتحدثون، يقبّلون، ينهمون من جسدها، حتى هو في أوقات عديدة يشعر بالغيرة أنها بين أحضان رجل آخر.

تركها بجسد متعرق و روح ممزقة و نفس كارهة له، انتظرت دقائق حتى تأكدت أنه رحل إلى البعد الموازي المسمى بالنوم، تحركت بهدوء وهبطت من فوق الفراش وخطت خطوات بقدم حافية حتى أصبح خارج الغرفة، أغلقت الباب في هدوء ثم اتجهت إلى مكتبه الخاص داخل فيلته أسفل السلالم، فتحت باب المكتب واتجهت مباشرة إلى جهاز اللاب توب الخاص به، ووضعت فلاشة وبدأت نقل كل المعلومات من عليه كما علمها أحد معارفها بكيفية عمل ذلك.

أفاق (فادي) من نومه على غفلة كأنه ذئب لا ينام بكامل وعيه، نظر



بجانبه على الفراش فلم يجد (إيناس) اعتدل ووقف على قدمه وقد شك بأمر ما يحدث وقبل أن يفتح باب الغرفة سمع صوت تدفق المياه داخل دورة المياه الموجودة داخل الغرفة، فتح بابها ليجد (إيناس) ممددة داخل البانيو تنظر له بابتسامة مصطنعة لم يستسيغها، فهو يعلم أن الحياة كالغابة وبها الكثير من المفترسين ولا يجب عليه أن يكون أقلهم ذكاءا فمن تربى بين الذئاب أصبح ذئبًا.

***

صدور خبر جديد عن مقتل أحد الأجانب في مصر وكتب (أيسر) أن « القاتل المجهول لم يكتف بقتل المواطنين فقط بل امتد التحدي إلى خلق خلافات مع دول أخرى مما يضيف ضررا جديدا ويلقى مزيدا من اللوم على الأجهزة الأمنية والتي فشلت في تأمين أحد الأجانب على أرضها، يبدو أن الأمور تسير في طريق خاطيء تماما وفي كل خطوة يحدث ما هو أسوأ، الضربة تلك المرة كانت أشد من سابقتها فهي تهدد السياحة وتثبت أن الأمن أصبح مهمة صعبة «.

كان هذا جزءا مما كُتِبَ داخل جريدة (الحدث الأول) مما أثار ضجة و غضب في الرأي العام، واندلاع الكثير من الجدل على قنوات الإذاعة وفي الشارع المصري، الوضع أضحى كارثي الآن، بدأت القيادات الأمنية في الضغط على العقيد (ماجد كمال) كي ينحي الضابطين وأن يأتي بأحد بدلا منهما، لكنه أصر على موقفه وجدد بهم الثقة ووعد أن يتم حل القضية في وقت قصير، ثم وجه كلمات نارية في اجتماع جمع بينه وبين الضابطين وهدد بنقلهما إذا لم يفعلا كل ما بوسعهما ويقومان بحل تلك القضية الكارثية كما وصفها ووصفتها الصحافة.

***



داخل شركة (فادي هارون) وداخل مكتبه يجلس هو يضحك بصوت مرتفع وهو يتابع إحدى القنوات التي تتحدث مذيعتها عن تلك القضية وعن الأزمة التي في طريقها إلى التفاقم، هو سعيد أنّ خطته تسير في طريقها الصحيح، افتعال أزمة وتحويلها إلى قضية رأي عام ثم الضغط على الأمن وإثبات فشله ثم إتمام ما يريد في الوقت المناسب.

هاتفه رنّ عدة مرات ولم ينتبه بسبب نشوة انتصاره لكنه تنبه تلك المرة، نظر إلى الهاتف فوجدها مكالمة قادمة إليه من (رشاد) أجاب مسرعا لتتحول انتصاراته نكسة عندما سمع صوته يقول....

- فادي باشا، أمير اتقبض عليه، في حد من الرجالة خاننا وبلّغ عن مكانه.

ارتفع ضغط الدم في رأسه وتحول وجهه إلى اللون الأحمر ثم قال...

- تعالالي يا رشاد على الشركة ونشوف هنعمل إيه في المصيبة دي، بس قبل ما تيجي أعرف مين ابن الكلب الخاين اللي وسطينا و خلص عليه.

جاء صوت رشاد عبر سماعة الهاتف...

- أوامرك يا فادي باشا، اعتبره حصل .

***

فبراير 2014...

أثناء الليل ووسط الصحراء المنسية ب(سيناء) هناك مقطورتان كبيرتان تتجهان إلى مكان ما وسط الصحراء بالقرب من جبل يطل وحيدا بعيدا كل البعد عن الطرق الرئيسية ويبدو أنهما يعلمان جيدا إلى أين يتجهان.

توقفوا وأغلقوا كشافات الإضاءة عندما اقتربت سيارات دفع رباعي كثيرة وأصبحت مقابلة لهم، هبط من المقطورتين شابات يبدو عليهن الجدية والقوة البدنية ووقفوا بجانب بعضهن البعض وفي حذر وضعوا أيديهن على سلاح خلف ظهورهن.



هبط من أحد تلك السيارات رجل من عرب سيناء تبدو عليه الغلظة، اقترب منهن ومن خلفة الكثير من الرجال المدججون بالأسلحة، وقف مقابل لهن وقال...

- أهلين بيكم، وين الأسلحة يا شباب ؟

قال أحد الشباب ...

- في المقطورتين أهم، فين الفلوس يا شيخ سالم ؟

ابتسم الرجل وقال...

- موجودة مع الرجالة، سلّم واستلم ونبقى حبايب من غير غدر.

أشار أحد الشباب إليه بالموافقة وقال...

- ماشي يا شيخ سالم، خلي الرجالة تروح تشوف السلاح والمقطورتين هدية من فادي باشا ليكم، واحنا هناخد عربية من معاكم وفيها الفلوس.

أشار الشيخ سالم إلى رجاله أن يتجهوا ويفتحوا الحاويات ليجدوا بداخلها كما كبيرا من الأسلحة بمختلف أنواعها، بعد أن تأكدوا أن الكمية المطلوبة كاملة عاد أحدهم وقال...

- السلاح تمام يا شيخ سالم.

ابتسم الشيخ سالم وقال..

- الله ينوّر، إنتوا رجالة بحق، بس لو أعرف بتجيبوا السلاح منين ؟ ولا كيف بتعدوا من حرس الحدود ؟ ماليش صالح المهم فلوسكم أهي في السيارة.

اتجه الشابان إلى السيارة التي أشار إليها وأخذ أحدهم يتأكد من صحة المال والآخر يقف متأهبا لأي غدر ثم ركب بجانب الآخر واتجهوا سريعا لتبتلعهم الصحراء مناصفة مع ظلام الليل.

***



الفصل الثالث عشر

« حتى تلك اللحظة التي يستيقظ بها عقلك، تلك اللحظة التي لا تتذكر ما قبلها فقط هنا تبدأ حياتك، فقط هنا يبدأ القدر لعبته معك حتى ينهيها هو رغمًا عنك».



أثناء التحقيق الخاص بالنيابة و أخذ أقول المتهم في التهم المنسوبة إليه، يقود أحد العساكر (أمير) وبيده الأصفاد إلى المكتب الخاص بالتحقيقات، يبدو عليه التشتت وعدم الاتزان، يعلم أنه أخطأ لكنه لا يتقبل أن يعاقب على ما فعله، هو اعتاد على ذلك الأمر، أن يخطيء ويدفع أحدهم بدلا عنه ثمن خطؤه، ينظر إلى الأصفاد في يده غير مدرك أنه وقع إلى الهاوية، حتى أباه لن يمكنه إخراجه من تلك الورطة حتى وإن دفع كل ما يملكه من مال.

دفعه الجندي إلى داخل المكتب بعد طرق عدة، وأذن أحدهم له بالدخول، أمر وكيل النيابه ذلك الشاب حسن المظهر أن يفك قيوده وأن يتركه وحده، أشار ل(أمير) أن يقترب ويجلس حتى يتمكن من اسجوابه والتحقيق معه كما هو الإجراء المعتاد ثم أمر الكاتب الذي بجانبه أن يكتب كل ما يقال حرفيا.

بدأ ذلك الشاب ذو المستقبل الباهر أسئلته قائلا...

- اسمك وسنك ومهنتك؟

رفع (أمير) عينه عن الأرض وقال بتردد....

- اسمى أمير فادي هارون، وسني 28 سنة، أنا ابن رجل الأعمال المعروف فادي هارون زي ما حضرتك عارف فأكيد مش هكون شغال حاجه، يعني كنت كل فترة أنزل الشركة وأقطع بعد فترة قصيرة.

أصدر وكيل النيابة صوت (ممممم) تفيد بأنه تفهم ما يقوله (أمير) تجاوز ذلك السؤال وقال...



- إية أقوالك في التهمة المنسوبة إليك وهي قتل ضابط شرطة عن طريق العمد، إنت عارف إنك بعد ما دوست عليه وهربت دخل العناية المركزة وكانت حالته صعبة جدا ومات بعدها بأيام؟

دمعت عين (أمير) وقال...

- أنا مكنتش أقصد، أنا اتوترت و مكنتش عارف أعمل إيه فهربت، وبعد ما بعدت كنت استوعبت إني دوست على حد بس والله مكانش قصدي.

احتدّ صوت وكيل النيابة وقال...

- مكنش قصدك تدوس على شخص وتسببله الضرر ده كله ؟ إنت عارف إن الظابط التاني اللي كان في الواقعة قال إنك كنت في وضع مخل وكمان كنت بتشم هروين ؟ طب إنت عارف إنك يتمت ولد مكملش 5 سنين وحرمت زوجة من زوجها ؟ إنت إيه فاكر الدنيا سايبة؟

انهمرت دموع (أمير) كطفل لا يجيد المقاومة وقال...

- أنا اسف، أنا معترف بكل حاجة، بس فعلا أنا ندمان.

أحس ذلك الشاب بشعور الإشفاق على حال (أمير) ثم أكمل ...

- تحليل المخدرات اللي إتعملك يا أمير أثبت إنك مدمن هيروين وده أتثبت في محضر خبط الظابط بالعربية وبقت كده جناية قتل بدل ما كانت شروع في قتل لإنك كنت تحت تأثير المخدرات، إعترافك ده ممكن يلف حبل المشنقه حولين رقابتك.

أكمل (أمير) بكاءه وقال...

- أنا آسف .....مكنش قصدي ...

ارتفع صوت وكيل النيابة بالنداء على العسكري بالخارج وقال...

- تعالى يا أمير وقّع على أقوالك .



ثـم انتظـر أن يوقـع أمير الغـارق بدموعـه وعرقـه وحالتـة المزريـة ثـم نظـر إلى العسـكري وقـال...

- خده يا ابنى على الحجز.

وضـع العسـكري الأصفـاد عـلى يـد (أمير) و جذبـه إلى الخـارج ثـم أغلـق البـاب ليفاجـيء ب(فـادي هـارون) في وجهـه ومـن خلفـه أحـد المحامـين الـذي يطلـق عليهـم (تقـال في المهنـة) أوقفـوا العسـكري واحتضـن (فـادي) ابنـه الـذي ازداد بـكاءه كطفـل تأخـر عليـه والديـه بعـد انتهـاء اليـوم الـدراسي وقـال...

- إهدى يا أمير ، هخرجك، أوعدك إني هخرجك، أنا مش هسيبك.

حـاول العسـكري التحـرك فأوقفـه (فـادي) جاذبًـا إيـاه واحتـد الأمـر بعـد أن تجمـع الضبـاط وأمنـاء الشرطـه فتدخـل المحامـي ببراعـة وقـال...

- إهـدوا بـس يـا جماعـة، ده والـده وأنـا المحامـى بتاعـه ومـن حقنـا نقعـد معـاه حتـى لـو 5 دقائـق ومـش لازم عـلى انفـراد ممكـن يفضـل معانـا العسـكري البطـل ده.

وافـق الضابـط المسـؤل أن يتحدثـوا مـع المتهـم لمـده 10 دقائـق في وجـود العسـكرى الـذي أصبـح غضبـه فرحًـا بعـد أن حصـل عـلى 200 جنيهـا، قـال (المحامـي)...

- أمير عـاوزك تقولي بالظبـط إنـت قولـت إيـه عنـد وكيـل النيابـة ،إوعـى تكـون اعترفـت بحاجة.

ارتبك (أمير) ونظر إلى والده في خوف ثم قال...

- أنـا اع..اعترفـت يـا مـتر، خوفـت يضربنـى في الحجـز أو يحصـل معايـا اي حاجـة، أنـا آسـف يـا بابـا.

تجهّـم وجـه المحامـي ثـم انتهـت العـشرة دقائـق في تهدئـة وطمأنـة (أمـير) ثـم



أخـذه العسـكري إلى الحجـز واتجـه (فـادي) والمحامـي الخـاص بـه إلى الخـارج وقـال المحامـي...

- فـادي باشـا، أمـير مـادام اعـترف مـش هنقـدر نعمـل حاجـة، كل الـلي في إيدينـا إننـا نحـاول نسـتغل كام ثغـرة كـدة بـس مقـدرش أأكـد لحضرتـك حاجـة.

انفعل فادي وقال...

- أمـال أنـا جايبـك ليـه ومخليـك محامـي الشركـة والمحامـي الخـاص بيـا وبتاخـد كل شـهر مبلـغ قـد كـده، إنـت لازم تخـرج أمـير يـا طـارق؟

قال المتر طارق...

- أنـا عـاوز أكـون صريـح مـع حضرتـك يا فـادي باشـا، القضيـة صعبة ويستحسـن تحـط خطـة بديلـة مـن دلوقتي.

نظر (فادي) إلى ذلك الداهية وفهم ما يرمي إليه وقال...

- فهمتك يا متر، فهمتك، إنت إعمل اللي عليك وأنا هتصرف.

***

داخـل مكتـب العقيـد (ماجـد كـمال) اجتمـع الرائـد (عمـرو) والنقيـب (مـروان) في انتظـار (عـادل الشريـف) الـذي أصرّ عـلى عقـد اجتـماع طـاريء، تأخّـر عـدة دقائـق عـن الميعـاد المقـرر مـما زاد مـن حنـق العقيـد (ماجـد) الـذي أخـذ يفكـر في كل الاحتـمالات المسـببة لذلـك الاجتـماع ولم يجـد سـببا مـا منطقيـا كـما اعتـاد أن يفكـر، طـرق البـاب وارتفـع صـوت العقيـد ...

- أدخل.

ليفتـح البـاب ويدخـل مـن خلفـه عـادل الشريـف الـذي تحـرك مسرعًـا إلى الداخـل وبيـده عـدة ملفـات وضـع أمـام كلا منهـما ملـف وقـال....

- أنا بعتذر جدًا.



قال العقيد (ماجد) مجاملًا...

- ولا يهمك إنت متأخرتش كتير عن ميعادك.

قال عادل...

- أنا بعتذر عن حاجة تانية خالص يا سيادة العقيد، أنا بعتذر لإن خدعتكم.

تنبه الجميع لتلك الجملة وقبل أن يتحدث أحدهم قال عادل...

- أنا اسمي المقدم عادل الشريف من الشؤون الداخلية للظباط، جهاز أكيد حضراتكم تعرفوه وتعرفوا هو بينتمي لأهم جهاز في الداخلية، مهمتي فرضت عليا كده واني أشارك في القضية دي بشكل مساعد لكن الحقيقة هي إنكم انتوا اللي بتشاركوني وإن القضية دي قضيتي .

علامات التعجب جلية على وجه الجميع حتى العقيد (ماجد) فأكمل عادل..

- لما سيادتك طلبت خبير أسلحه القيادات شكّوا إن الموضوع خاص بتحقيق شغال في الجهاز عندنا بقاله أكتر من سنة عشان كده اترشحت للقضية وبالفعل كان شكّهم في محله، أنا هشرحلكم كل حاجة، في قضية أنا ماسكها عن تجارة السلاح وعن مشروع تموين كامل للإرهاب في مصر والشرق الأوسط وخاصة سينا، احنا بقالنا أكتر من 3 سنين بنمسك كمية سلاح رهيبة وكل التحقيقات كانت بتقود لأشخاص مجهولين وبتنتهي القضية بمحاكمة الأشخاص الغلط والكبار لسه في البلد وبيحاولوا تاني وتالت، المصدر المورد مش معلوم لكن التحريات بتثبت إنه عن طريق شركات السلاح العالمية التابعة لأكتر من حكومة واللي اقتصاد بلادها جزء كبير منه بيعتمد على تجارة السلاح وخلق نزاعات وحروب عشان تبيع أكتر لو فكرتوا أو لاحظتوا هتلاقوا ده حصل مع ليبيا، سوريا، اليمن، أفغانستان، هما بيحاولوا دلوقتي معانا بقالهم أكتر من



سنة بس احنا لسه مش عارفين هما مين بالظبط وحتى لو عرفنا مش هنقدر نثبت حاجة فمكنش في أي حاجة نقدر نعملها غير إننا نأمّن حدودنا كويس ونكثف التحريات وده اللي حصل لحد ما ظهرت القضية دي (القاتل المجهول)، فيها كل المواصفات اللي حطيناها وتوقعناها.

كان التركيز جليًا على وجه (عمرو) فقال...

- طب و القضية دي هتفيدكم في إيه؟

اعتدل (عادل) في جلسته وقال...

- احنا لما فكرنا في الطريقة اللي يقدروا يدخلوا بيها السلاح البلد لقينا إن في طريقة وحيدة تقليدية جدًا لكنها بتجيب نتيجة في كل مرة وهي خلق فوضى و افتعال قضية تشغل الرأي العام و تاخد جزء كبير من تركيز و مجهود القيادات الأمنية وتفقد المجتمع الثقة في الأمن واللي بعد كده هيتحول لهجوم هيضر بالأمن وفي الوقت المناسب هيدخلوا السلاح بطريقة مبتكرة، ولما القضية كملت بالشكل ده ووقع أكتر من ضحية بنفس الطريقة وبسلاح حديث وعيار بالقوة والضرر الكبير ده إتاكد لينا إن الرابط ظاهر جدا وإن حل القضية دي هيكون هو الضربة القاضية وهنقدر نوقّع الشبكة كاملة مش شوية عيال بيستغلوا فقرهم وجهلهم.

بعد أن تبينت الحقيقة جلية أمام الجميع ازداد الحمل وارتفعت التوقعات و أصبح الضغط فوق الاحتمال، فبدلًا من قاتل واحد مجهول أصبحوا آلافًا يتاجرون في دماء الأوطان والبلدان وتجارات سوداء قائمة وبلدان تخلف الإرهاب.

***

داخل فيلا (فادي هارون) تجلس (إيناس) في حالة من الاضطراب و الغضب، تشرب سائلا أحمر اللون موضوع داخل كأس جميل المظهر وتنتظر قدوم (فادي) الذي كان قد كلفها بأمر ما وهي لم تقوى على تنفيذه، أرادت



أن تقـول لهـا إنهـا اكتفـت وأنهـا لـن تـترك جسـدها جيفـة للضبـاع بعـد الآن، لقـد سـئمت المـال والشـهرة و حيـاة الـترف الزائفـة، لكنهـا اختـارت الوقـت غـير المناسـب.

اقـترب (فـادي) مـن بـاب فيلتـه وهـو يشـعر بالغضـب الشـديد جـراء مـا حـدث لابنـه وتتبعـه (رشـاد) الـذي أكـد لـه أن مـن بلّـغ عـن مـكان ابنـه ليـس مـن الرجـال المعينـين لحراسـته وأن هنـاك أحـد مـن خـارج تلـك الدائـرة تتبعهـم وعلـم بمكانـه وبلّـغ عنـه.

فتـح (فـادي) بـاب الفيـلا لتقـع عينـاه عـلى (إينـاس) التـي تجلـس وهـي تدخـن سـيجارا وتداعـب كأسـا فارغـا، استشـاط غضبًـا وتقـدم نحوهـا وقـال...

- إنتـى هنـا بتعمـلى إيـه ؟ ليـه مرحتيـش لصفـوت الحـاوي بيتـه، أنـا مـش طلبـت منـك تصوريـه النهـاردة ؟

وقفـت (إينـاس) مـن مكانهـا وبـدأت تشـعر بالغضـب تحـت تأثـير الخمـور وقالـت...

- أنـا مـش هعمـل كـده تـاني عشـانك ولا عشـان حـد، أنـا اكتفيـت لـو حابـب تـروح تنـام معـاه إنـت وتصـوره اتفضـل.

ارتفـع يـد (فـادي) إلى أعـلى ثـم هـوت بـكل قوتهـا عـلى خـد (إينـاس) التـي وقعـت أرضًـا مـن شـدتها ثـم توجـه إليهـا (فـادي) وأخـذ يصفعهـا ويجذبهـا مـن شـعرها وهـو يسـبها ويقـول...

- إنتـى بتعـصي أوامـري يـا بنـت الكلـب، إنتـى ناسـيه إنـك ملـكي، أنـا اشـتريتك بفلـوسي وخليتـك اللـي إنتـي فيـه دلوقتـي، مبقـاش إلا واحـدة زيـك تعصينـي، ده أنـا أفرمـك في ثـواني.

كان (رشـاد) ينظـر إلى مـا يحـدث في غضـب دفـين لكنـه تعلـم أن يكتـم كل مشـاعره وألا يتدخـل في أمـر لا يعنيـه وإن كان يعنيـه حقًـا، ظـل واقفًـا مكانـه كتمثـال شـمعي فاقـدًا للحيـاة تتحـرك عينـاه فقـط.



انتهى فادي من انفعاله على (إيناس) بعد أن بعثر ما تبقى لها من كرامة وأنوثة وأنهى على حالة السكر التي ألمّت بها وقال...

- إنتى تتصلي بيه دلوقتي وتعتذريله وتروحي تنامي معاه وتصوريه وتجيبيلي التصوير بكره الصبح في الشركة، يلا اتحركي يا وسخة.

وقفت (إيناس) دامعة العينين، تعمها الفوضى من الشعر حتى القدم، قالت...

- حا .. حا ضر.

تحركت في اتجاه الباب وقبل أن تخرج نظرت إلى (رشاد) في انكسار ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها، ظل (رشاد) واقفا صلبا لم يحرك ساكنا وتوقف عقله عند ذلك المنظر الذي رأى فيه دموعها، أفاق على صوت (فادي) يقول...

- كنا بنقول إيه قبل ما بنت الكلب دي تعكر دمي.

تحدث الصنم المحطم من الداخل ..

- كنا بنقول هنعمل إيه في موضوع أمير باشا وأنا قلت لسيادتك متشلش هم أنا هتصرف.

نظر (فادي) إلى وجه رشاد وقال...

- أنا مش عارف من غيرك كنت هعمل إيه في المصايب دي، أنا مبسوط من كل قرش صرفته عليك، تقولش فلوس حلال؟؟؟

أنهى كلماته ثم أصدر ضحكة مرتفعة واتجه إلى البار وأمسك بزجاجة ويسكي وقال...

- هتشرب معايا كاسين بقى.

***



يسرا تصعد إلى سلالم العقار التي تسكن فيه وهي تحمل عدة أكياس بها الكثير من الطعام وتبدو سعيدة وكأنها في طريقها إلى ملاقاة حبيبها، وضعت ما تحمله أرضًا وأخرجت المفتاح و فتحت الباب وهي ترفع صوتها قائلة...

- أيسر، أنا جيت، وجبتلك عشوة بقى إنما إيه هتعجبك جدا.

لم يجيبها أحد، ظلت تجول الشقة كلها بكامل غرفها وتطرق باب دورة المياه ولكن لا وجود له، يبدو أنه رحل، أخرجت هاتفها و حاولت الاتصال به ولكن هاتفه كان مغلقا، لم تعلم أهو رحل من تلقاء نفسه كي لا يسبب لها المتاعب أم هو رحل جرّاء شيء ما خاطيء اقترفته وأغضبه منها ؟ !، لم تعلم ما العمل في ذلك الوقت فقررت النوم تاركة الطعام عسى أن تفيق فتجده عند بابها.

***

خرج (رشاد) غاضبا من فيلا (فادي) شعر أنه يريد الفتك به والتمثيل بجثته ولكن الأوان لم يحن بعد، فهو كالذئب يجيد انتظار الوقت المناسب للهجوم على فريسته في أضعف حالاتها، أخرج هاتفه الجوال ونظر إلى الساعة فوجدها العاشرة مساءًا، دلف إلى سيارة وقادها مسرعًا إلى وجه ما .

أصدر هاتفه صوت رنة ووجد المتصل هو (فرانشيسكو)، تردد كثيرا قبل أن يجيب عليه لكن شيئاً ما دفعه فرد قائلا...

- فرانشيسكو .

جاء صوت فرانشيسكو قائلا...

- فكرت في العرض يا رشاد ؟ أتمنى تكون فكرت وقررت القرار الصح.

تذكر رشاد تلك النظرة المنكسرة على وجه (إيناس) فقال...



- فكرت، فكرت وقررت يا فرانشيسكو.

جاء صوت الإيطالى ...

- حلو، ويا ترى قررت إيه يا رشاد؟

***

شتاء 2017.....

قاربت الساعة على الثامنة مساءًا، هناك طفل صغير يقف بجسد هزيل مرتعشاً من شدة البرد وسط إشارة مرور يحاول بيع المناديل للسيارات التي تأبى أن تعطيه شيئًا، مرت عدة دقائق و اقتربت سيدة يبدو عليها الغلظة و أمسكت بكتف ذلك الطفل الصغير وتوجهت به إلى شارع جانبي وتتبعهم أحد ما يرتدي ملابس سوداء وهو ينظر إليهم من بعيد.

وقفت تلك السيدة وبدأت في إفراغ جيوب الطفل الصغير فلم تجد الكثير من المال فأخذت في نهره وضربه في قسوة وتلومه على أنه أهدر ساعات ولم يأت بالمال الكافي وقالت : (الست دلال هتطين عيشتنا) عندما يرجعون إلى منزلها الذي يخرجون منه كل يوم هم وعشرات غيرهم لفعل نفس تلك الأمور من الشحاتة والسرقة وغيرها .

كان الطفل يبكي بشدة حتى توقف فجأة عن البكاء وأصدر صرخة هرب بعدها إلى الشارع الرئيسي عندما رأى شخصاً يرتدي السوداء يقف خلف تلك السيدة التي تجمدت في مكانها عندما وجدت بيد ذلك الشخص خفي الملامح سلاحا أبيضاً.

أمسك بها وقال...

- فين بيت دلال ؟



لم تقـوى تلـك السـيدة عـلى النطـق أو ربمـا حاولـت التظاهـر بالخـوف حتـى لا تخـبره بمـكان ذلـك البيـت، اقـترب أكـثر بالسـلاح الأبيـض مـن رقبتهـا وأعـاد سـؤاله...

- فين بيت دلال بدل ما أخلص عليكي هنا؟

ارتعش جسد السيدة وقالت...

- حاضر حاضر، هوصلك للبيت بس متموتنيش .

***



الفصل الرابع عشر

«الشيطان دائمًا يعلم جيدًا ما الذي يفعله هنا على تلك الأرض، لا يهم في أي هيئة هو آدمي أو جنس آخر، كل ما يهم هو أنه شيطان أتى إلى هنا من أجل سبب ما ولن يرحل قبل أن يحققه أو يموت دونه، كذلك هم الشياطين».



ارتفع صوت حاجب المحكمة منبها عن قدوم القاضي ومستشاريه قائلا (محكمة)، وقف جميع الحضور داخل القاعة من بينهم (فادي هارون) الذي كان يجلس بجانب المحامي (طارق) الخاص به وبابنه والذي كان يعلم مسبقًا ما ستؤول إليه الأمور، وقف (أمير) داخل قفص الاتهام بجسد هزيل وقلب هواء يرتجف ويخشى أن يسجن أو يعدم، يركز نظره إلى أبيه الذي بادله النظرة وابتسم بشيء من القلق، جلس القاضي وأشار للجميع أن يجلس وبدأت إجراءات الجلسة.

تقدم طارق إلى مكان المرافعة وبدأ في دفع تهمة القتل العمد عن موكله (أمير) وقاطعت النيابة أكثر من مرة ماحوله إيضاح التلاعب اللفظي و استغلال الثغرات القانونية الذي يحاول المحامي القيام بها، أنهى (طارق) مرافعته وبدأ وكيل النائب العام في الحديث مشددًا على أنه يجب محاسبة (أمير) وإيصال العقوبة إلى أقصى درجاتها إذا أمكن وأشار في حديثه إلى زوجته الضابط المتوفى دهسا أسفل سيارة ذلك الشاب المتهور والمتحامي في سلطة أبيه مما أزعج (فادي هارون) فسمعته في بعض الأحيان أغلى من ابنه.

بعد أن انتهت المرافعة وسماع أقوال الشهود وهم الضابط الآخر والفتاة التي كانت مع (أمير) أثناء الحادثة والتي كانت مختبئة في مكان خاص بظابط التحقيق حتى لا يتم العثور عليها والضغط عليها كانت قد استقرت هيئة المحكمة إلى الحكم فدخلوا إلى قاعة المداولة وعادوا يقرون الحكم وقد أتى على لسان القاضي قائلا...



- بعد أن اطلعت هيئة المحكمة الموقرة على ملابسات الحادث وسماع أقوال الشهود وتيقنت من صحة التحقيقات وإذ تبين أن المدعى عليه كان في حالة من الإدراك الكلي وقت وقوع الحادث و أثبت إدمانه وحيازته للمخدرات وقت وقوع الجريمة فقد حكمت المحكمة حضوريا على المدعو (أمير فادي هارون) بالإعدام شنقًا ونقل أوراقه إلى مفتي الجمهورية، رفعت الجلسة.

أشرق وجه زوجة الضابط بينما انهار (أمير) ووقع أرضًا يصرخ ويستغيث بوالده الذي وقف وعدل من ملابسه واتجه إلى باب الخروج ولم يلتفت لصراخ ابنه الذي قام بتقييده أحد العساكر وسحبه إلى الداخل.

خرج (فادي هارون) من باب المحكمة واتجه إليه (رشاد) ومعه العديد من الحراس يمنعون عنه الصحفيين والإعلاميين حتى أدخلوه إلى سيارته وانطلقوا بها مسرعين بعيدا عن المحكمة.

نظر (فادي) إلى (رشاد) الذي كان يجلس بجانبه وقال...

- مقدمناش حل تاني دلوقتي يا رشاد.

أومأ (رشاد) برأسه وقال مطمئنًا...

- متشغلش بالك يا فادي باشا، أنا مرتب كل حاجة.

حاول (فادي) الابتسام ففشل ووضع يده على كتف (رشاد) وأخذ يرُجُّهُ بهوان كأنه يريد أن يوصل له رسالة شكر بشكل مختلف.

***

سيارة حمراء اللون، حديثة الطراز تقترب من باب قصر بأحد الأحياء الراقية وتتوقف عندما يشير لها أحد الحراس أن تقف وتفتح شباكها العازل للرؤية، يهبط الشباك الزجاجي لتظهر ملامح (إيناس) جلية أمام الحارس الذي يعرفها فورا ويتحدث عبر اللاسلكي معلنًا عن رغبتها في الدخول إلى القصر ومقابلة (صفوت) باشا، أحد المسؤلين في الدولة.



جاءه الرد أن يسمح لها بالدخول وإن (صفوت) باشا في انتظارها في الداخل، فتحت أبواب القصر واندفعت (إيناس) بسيارتها إلى الداخل حتى وصلت أمام القصر من الداخل ففتح لها أحد الخدم وأشار لها أن تتجه إلى أعلى حيث مكتب (صفوت) باشا.

صوت حذائها كان يرن على تلك الأرضية الفاخرة محدثًا نغمة تشير إلى أن هناك شيطان سيحتفل الليلة بعد أن يحصد ميدالية أخرى كوسام على إغوائه، تركها الخادم عند آخر سلمه وأمام المكتب الخاص بسيده وهبط هو مجددًا.

تقدمت (إيناس) وهي تتفقد تلك التحف الفنية التي لا تقدر بثمن وجدرأن ذلك القصر الملكي المنتسب إلى ذلك الشخص القميء الوصولي والذي هو الآن في منصب يتيح له الحصول على كل ما يريده وكل ما لا يريده، طرقت باب المكتب فجاء صوته من الداخل يسمح لها بالدخول.

فتحت الباب فوجدت ذلك الصوت أقرع الرأس خفيف الحاجبين بعمره الذي تخطى العقد الخامس وجلده الذي بدأ في الشيخوخة، طريقة نظراته الأقرب إلى غراب يقف فوق شاهد قبر، تشعر بوجوده أنك في مأزق ما وأنه قادر على فعل بك ما لا تتخيله، فهناك أشخاص يجيدون استخدام السلطة بسلاسة، أشار لها أن تقترب منه قائلا....

- كنت هزعل أوي لو كنت اتأخرتي عليا يوم كمان، وانتي عارفة إني زعلي وحش يا إيناس.

تحركت إيناس حتى وقفت أمامه وهو جالسا مسترخيا على أحد قطع الأثاث الفاخرة كبيرة الحجم، مدت إليه يدها كي يقبّلها فنظر إليها و جذبها من يده حتى أوقعها بين أحضانه، رائحته كانت منفّرة لها رغم أنه يضع أغلى أنواع العطور التي تصنع خصيصا لمن هم مثله، تركته يقبّلها حتى بدأت تشب النيران داخل جدران معدته ثم هربت من بين يديه بدلال أرهقه،



انهارت العزة والكبرياء أمام شهوة المعصية، خلع الروب الذي كان يلبسه و زحف خلفها أرضًا، أمسك بقدمها العاريتين وأخذ يقبلهما وهو متشبث بها، أوقفته وجعلته يشتعل أكثر حتى شمتت النيران داخل قلبه وتحركت به إلى غرفة النوم والتي لها باباً يؤدي إلى مكتبه، وضعته فوق فراشه كأم حنون وطلبت منه أن يمنحها لحظات فوافق على مضض، خلعت ملابسها ووضعت حقيبتها في مكان مكشوف يتيح لتلك الكاميرا أن تصور كل شيء يحدث بينها وبين شايب الكوتشينة هذا فرصدت الكاميرا كل ما دار بينهما وأصبح هو الآن مكبّلًا من رقبته بطوق حديدى مشتعلا لن ينزع عنه قط.

***

داخل مكتب (فادي هارون) بشركته الضخمة التي أوشكت أن تصبح كثقب إبرة عليه، يجلس بملامح حزينة للغاية ينظر إلى صورة موضوعة على مكتبه تجمعه هو وزوجته المتوفاة والتي ما إن رحلت رحل معها كل ما هو خير في قلبه، كأنه أراد أن يعاقب القدر على تلك الفعلة وهناك بينهم يقف ابنه (أمير) عندما كان صغيرا وسعيدا، كانوا سعداء حقا، ذلك الوقت لم يكن يملك فيه الكثير من المال، لم يكن رجل أعمال بل كان شابا طموحا، لم تكن لديه شركة بل كان لديه حلما بريئا وعندما اختفت زوجته وحبيبته من الحياة أخذت كل ما هو جيد في قلبه ولم تترك له سوى ابنهما الذي يوشك أن يرحل عنه هو الآخر لكنه لن يسمح بذلك.

سمع صوتا يصدره هاتفه الجوال فنظر إليه ليجده الشيخ (العلايلي)، تركه يعيد الاتصال من جديد بدأ في إشعال سيجار و صب لنفسه كأسا من مشروبه المفضل وأجاب على المحاولة التالية قائلا...

- عامل إيه يا شيخ العرب؟

جاءه الصوت صاخبا غاضبا من الهاتف...



- فـادي باشـا إنـت عارفنـي مقـدرش أسـيب حـق رجالتـي أبـدا، أنـا عـارف بصفقـة السـلاح الـلي هتدخلهـا مـصر وعـارف بمـكان دخولهـا ومـش حابـب أتكلـم.

اتغير وجه فادي وقال...

- المطلوب إيه يا شيخ علايلي؟

هدأ الصوت وقال...

- رأس رشاد قصاد رأس رجالتي و حصة من السلاح وده مفيهوش نقاش.

ابتسم فادي بسمة شيطانيه وقال...

- وطبعا لو رفضت هتبلغ الداخلية وهتبقى بينا عداوة كبيرة؟ صح؟.

أجاب العلايلي...

- لو حابب أنا جاهز.

تجرع (فادى) الكأس على دفعة واحدة وقال...

- وأنا ميرضنيش زعلك، هسمهولك متكتف، بس قولي إمتى وفين.

اسـمتع فـادي بحـرص إلى مـا يُقـال إليـه ثـم ابتسـم غـلًا وأنهـى المكاملـة وظـل ناظـرًا إلى الجـزء المشـتعل مـن سـيجاره.

***

السـاعة تشـير إلى العـاشرة مسـاءًا ومـازال الرائـد (عمـرو) والنقيـب (مـروان) داخـل مكتـب التحقيقـات يتابعـون سـير التحريـات و يجاهـدون لقطـع شـوط جديـد في تلـك القضيـة شـديدة الخطـورة بعـد أن تبـين علاقتهـا بمخطـط كبـير يحـدث، الكثـير مـن أعقـاب السـجائر والكثـير مـن السـعال والـبرد يمـلأن الجـو، الصداع النصفـي سـيد الأمـر والمعـدة الفارغـة سـوى مـن سـائل الكافيـين تسـتغيث حـد المـوت، العينـان تعانـد النـوم والعقـل بـدأ في ضـخ آخـر قدراتـه قبـل أن يجـن عندمـا جـاء صـوت اتصـال عـلى هاتـف (عمـرو) الجـوال وقـد كان مـن رقـم مجهـول.



أمسك (عمرو) الهاتف وأجاب مسرعا وقال...

- أنا معاك.

جاء صوت القاتل قائلًا...

- جريمة جديدة بكرة الساعة 10 زي كل مرة، المواصفات عرباوي من عرب سيناء، من قبيلة معروفة، تاجر سلاح بس مش ممسوك عليه حاجة، اعتبر إن دي خدمة مني للحكومة.

أنهى كلماته ثم أغلق الهاتف وترك (عمرو) يدوّن سريعا ما قاله فهو لم يكذب قط، لم يعطه فرصة للتحدث لكن ما قاله كان كافيا، هو يعلم أن القضية أشبه بلغز كبير لا يعلم الغاية منه، الكثير من القتلى المتفرقين، والكثير من الاحتياجات والقاتل واحد، فكر قليلا في الأمر ثم نظر إلى (مروان) الذي كان في انتظار ما سيقوله وقال....

- هو يا عمرو باشا؟

أومأ عمرو برأسه أنه القاتل فقال مروان...

- وقالك إيه؟

قال عمرو وهو يفكر في السيناريو القادم...

- بكرة الساعة 10 في جريمة قتل جديدة وهتتم في سينا، بلغ ماجد بيه وهنستنى زي كل مرة الدليل الجديد، مفيش في ايدينا غير الصبر

***

شتاء 2017.....

شاب غير واضح الملامح يطرق باب عقار قديم بأحد الأحياء القديمة الفقيرة، يسمع صوتا من الداخل لسيدة ما تقول بصوت مرتفع...



- مـين ابـن الكلـب الـلي بيخبـط عـلى دلال دلوقتـي، ده أنـا هطـين عيشـة الـلي خلفـوك.

مـرت دقائـق وفتـح البـاب وظهـرت مـن خلفـه (دلال) تلـك السـيدة التـى بـدا عليهـا الكـبر رغـم احتفاظهـا بوجـه نـضر، نظـرت إلى ذلـك الشـاب إذ كان يقـف عـلى أعتـاب البـاب وتفقـدت ملامحـه فشـعرت بالخـوف وحاولـت الهـرب ليمسـك بهـا مـن شـعرها ويدفعهـا إلى الداخـل ويغلـق خلفـه.

ظـل ذلـك الشـاب يصفـع (دلال) عـدة صفعـات فبـدأت في البـكاء و التوسـل، بـدا عليهـا الخـوف وجسـدها المرتعـش أقـر أنهـا تهـاب ذلـك الشـاب حـد المـوت، تركهـا تأخـذ نفسـا حتـى لا تمـوت قبـل أن يحصـل منهـا عـلى مـا يريـد فقالـت...

- إنـت جـاى تقتلنـى ؟ دفعولـك كام ؟ أنـا ممكـن أدفعلـك أكـتر بكتـير بـس سـيبني أعيـش.

أمسـكها ذلـك الشـاب مـن جديـد مـن شـعرها وألقاهـا فـوق كـرسي ثـم أخـرج سـلاحا ناريـا ووضـع بـه كاتمـا للصـوت وقـال...

- أنا فعلا ممكن أموتك لو مقولتليش أنا أمى مين، خطفتيني منين ؟

ازاد ارتبـاك (دلال) وعلمـت أن الأمـور ستسـوء بعـد أن رأت السـلاح خاصـة وأنهـا لا تعلـم مـن أمـه فقالـت...

- إهدى بس، إهدى، أنا والله ما خطفتك، أنا معرفش مين أمك، صدقني

سـحب ذلـك الشـاب أجـزاء السـلاح ووجـه إلى رأس (دلال) التـي أصـدرت صرخـة مكتمومـة وقالت...

- إسـتنى، أنـا بقـول الحقيقـة واللـه مـا أعـرف مـين أمـك، بـس أعـرف حـد ممكـن يعـرف.

خفض الشاب السلاح وقال...



- مين ؟ إنطقى قبل ما أموتك.

كان صدرها الممتلىء يعلو ويهبط بسرعة وهي مازالت معلقه العينين على فوهة السلاح وقالت...

- الدايا سعدات، هي اللي جابتك ليا في يوم شتا زي ده بالظبط، هي كانت كل فترة بتجيبلي عيل وإنت كنت واحد منهم أنا فاكرة كويس اليوم ده وفاكرة شكلك كويس، إنت كنت مختلف.

ارتفع صوت الشاب وقال...

- وفين ألاقي سعدات دي؟

هدأت أنفاس (دلال) وقالت...

- إنت بس عاوز تنبش في الماضي ليه ؟ انت بتدور على اللي رمتك بإيديها حتة لحمه حمرا ليه ؟ ما هي لو كانت عاوزاك مكانتش رمتك لسعدات.

صرخ الشاب بها وقال...

- انطقى ألاقى فين سعدات دي؟

انتفض جسدها وقالت...

- حا..حاضر هقولك العنوان بس متموتنيش.

***





الفصل الخامس عشر

«أثار انسحاب الإنسانية من الجسد والنفس أشد بكثير من ألم انسحاب المخدرات، أن تموت وأنت مازلت على قدر الحياة ألم لا يضاهيه شيء «.



أفاق (فادي) داخل مكتبه بالشركة وقد نام على حالته في الليلة السابقة دون أن يدري، لا يتذكر متى ذهب في ذلك النوم العميق ويبدو أنه كان يهرب من الحزن الذي غزا قلبه بعد أن حكم على ابنه بالإعدام، نظر إلى هاتفه ليجد أكثر من 20 محاولة اتصال، اعتدل فشعر بألم جسده الذي ظل على هيئة واحدة لمدة تجاوزت العشرة ساعات مستندا على المكتب بيديه التي تتوسط رأسه، وضع بعضا من الويسكي داخل كأس وتجرعه دفعة واحدة ثم وضع المزيد ونظر إلى من يحاول الاتصال به ليجد أسماءَ شركاءه في صفقة الأسلحة ومنهم (صفوت) الذي قضى ليلة ممتعة مع إيناس تم تصويرها بالكامل.

أجرى (فادي) اتصالا ب(صفوت) وانتظر إجابته التي تأخرت ثم أجاب ليبدأ فادي قائلا...

- صفوت باشا، سامحنى كنت نايم تعبان جدا.

أجابه صفوت قائلا ...

- تعبان ولا زعلان على ابنك اللي صدر حكم بإعدامه، أنا مفيش حاجة مبعرفهاش في البلد دي يا فادي، احنا مش فاضيين للعب العيال ده ولو حابب أتصرف أنا قولي، طمني أخبار مصالحنا إيه؟

كتم فادي غضبه بداخله وقال....

- البضاعة في البحر يا باشا، كلها كام أسبوع و هتكون دخلت واتوزعت وقبضنا كمان.



قال صفوت...

- وهتدخلها إزاي بقى يا فالح، إذا كان أنا مش لاقي طريقه لحد دلوقتي.

أصدر فادي ضحكة سخرية وقال...

- ولا أي حد من البشوات اللي معانا يعرف، أنا مرتب كل حاجة يا باشا، اطمن إنت بس.

جاء صوت صفوت عبر الهاتف مهددًا....

- فادي، الموضوع ده لو فشل أنا هقتلك بنفسي .

لم يعقب فادي واكتفى بوضع محتوى الكأس في فمه فأكمل صفوت...

- متخليش موضوع ابنك يشغلك مع إني متأكد إنك خلاص اتصرفت، احنا مطلوب مننا مهمة من ناس مبتهزرش ولازم نتمها ده لو خايفين على حياتنا، بلغني لو في جديد، سلام.

أغلق فادي المكالمة ولم يجب ثم ألقى بالهاتف على المكتب الخشبي أمامه وظل شاردا في تلك الصورة الموضوعة على مكتبه ويبدو أن فكرة فقدانه لابنه لا تفارق عقله وتسيطر على كل جوارحه.

***

كلمة جاري الاتصال ب (أيسر) تظهر على شاشة هاتف (يسرا) للمرة الخمسين وفي كل مرة تضع الهاتف على أذنها تسمع رسالة صوتية تقول (الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا)، تترك الهاتف على مكتبها بجريدة (الحدث الأول) لعدة ثواني تشتعل في رأسها نارا من القلق وكثرة التفكير ثم تعيد المحاولة من جديد من دون فائدة، تفكر ويدمى قلبها أهو أصيب بمكروه أم أن القاتل وصل له ونفذ تهديده بعد الخبر الأخير، أيسر أين أنت يا حبيبي ؟ تحدث نفسها بأنه سيكون بخير ويظهر عما قريب، هل تملكه



الخوف قرر الهروب وعاد إلى مسقط رأسه التي لا تعلمه سوى اسما، هل تخلى عنها بتلك السرعة أم أنه لا يشعر بتلك النبضات التي تنطق باسمه في كل مرة؟ تهتز قدمها بعصبية مفرطة وتضع رأسها داخل أوراق تريد أن تقرأها لكن كل كلمة مكتوب بها (أيسر) كل الأوراق مليئة بنفس الاسم، لم تفعل هذا بي يا قلبي ؟ لم وقعت في حب ذلك الوسيم القاسي ؟ لم لم تقع في حب شخص عادي غير مميز ؟ لم ؟ لم ؟ ولا إجابات .

ظلت جالسة على تلك الوضعية لعدة ساعات حتى اعتادت الألم والخوف وأنه لأمر مرهق أن تعتاد مثل ذلك الشعور، قررت الرحيل عسى أن يكون عاد إلى المنزل وهى تحاول الاتصال به من جديد للمرة التى تجاوزت المائة، هبطت السلالم في عجالة ولم تلتفت إلى المصعد الخاوي، ارتطمت بكل شخص قابلته غير عابئة حتى خرجت من باب الجريدة.

***

على أحد الطرق الصحراوية تسير سيارة ترحيلات وعلى متنها يجلس (أمير فادي هارون) في حالة من الصدمة وعدم تصديق أن أباه قد تخلى عنه بتلك الطريقة وتركه يواجه حبل المشنقة من دون حتى أن يواسيه، شعر أنه بلا قيمة وأنه قد آذى الكثير من دون قصد وأكثر من قام بأذيته هو نفسه، دمعت عيناه عندما أحس بنهايته، نظر إلى جدران السيارة في أسى ونظر إلى العسكري الجالس معه داخل السيارة والذي كان قد نام من شدة الإرهاق، نظر إلى القيود التي تكبّل يديه، وصل اليأس إلى قلبه ونكس رأسه إلى أسفل.

بينما كانت سيارة الترحيلات تنهم من الطريق الأسود اقتربت 3 سيارات دفع رباعي من الخلف وتفرقوا ليصبح اثنان منهم على جانبي السيارة والثالثة من أمامها، اضطرب الضابط المسؤل وأمر السائق أن يحاول الخروج من بينهم لكنه لم يستطيع وبدأ من بداخل الثلاث سيارات بإطلاق النيران على هيكل



السيارة وفي الهواء لإخافة الضابط الذي أمر السائق أن يقف وبدأ في إطلاق النيران على السيارات التي سدت الطريق من أمامه.

حاول الضابط أن يهرب وأمر السائق أن يلف بالسيارة ليفاجيء بثلاثة سيارات يسدون الطريق من الخلف بعد أن ظهروا من اللامكان، لم يكن بإمكانه سوى أن يبادلهم إطلاق النار حتى نفذت ذخيرته وأصيب هو ومن معه بإصابات كتف وساق لم تكن قاتلة.

هبط الكثير من الرجال الملثمين واتجهوا إلى سيارة الترحيلات وأخرجوا منها (أمير) الذي كان خائفا للغاية ولا يعلم من هؤلاء، انتهى كل شيء بسرعة كبيرة وتحركت ال6 سيارات تاركين الضابط المصاب يتحدث عبر اللاسلكي وطلب الدعم بعد أن أبلغ أنّ المسجون (أمير فادي) هرب أثناء ترحيله.

داخل إحدى السيارت نزع أحد الرجال المسلحين القناع عن وجهه ونظر إلى أمير ليجده رشاد فابتسم وأخذ يشكره وقد عادت إليه روحه بعد أن أحس أنه ميت لا محالة، أخرج رشاد هاتفه وقام بالاتصال ب(فادي) و قال...

- فادي باشا، أمير معانا، هطلع بيه على المكان اللي اتفقنا عليه بعد كده هجيلك .

***

داخل منزل اللواء (سراج عبد الظاهر) يجلس الضابطان (عمرو) و(مروان) بجوار العقيد (ماجد كمال) في انتظار اللواء داخل الساحة الرئيسية بمنزله، يجلسون في ترقب ينظرون إلى ساعة الحائط ذهبية اللون والتي تشير إلى قرابة العاشرة مساءًا، حضر اللواء (سراج) يرتدي روب ثقيل ويبدو عليه آثار النوم وقد أفاق مفزوعًا فور أن أخبره الخادم أن هناك من ينتظره بالخارج وخاصة أنه لم ينم منذ فترة كبيرة، نظر إليهم في قلق وقال...



- خير يا ماجد ؟ إيه الموضوع اللي صعب يستنى لحد الصبح ومينفعش في التليفون ؟

نظر (ماجد) إلى الضابطين وقال...

- في معلومات يا فندم بخصوص قضية القاتل المجهول لازم تكون على علم بيها .

قال اللواء (سراج) بعدم استيعاب...

- أنا سامع، كمّل.

قال (ماجد)...

- احنا قدام قضية غريبة جدا يا فندم وقدام قاتل مش بيشتغل منفرد ده وراه منظومة كاملة يا فندم بتحاول تنفذ مخطط كامل.

نظر اللواء إليهم نظرة مفادها أن يكملوا فقال عمرو...

- سراج باشا في جريمة قتل جديدة هتحصل كمان دقايق بنفس الطريقة.

تعجب سراج وقال...

- مش فاهم، طب وانتوا عرفتوا إزاي؟

قال (مروان) بتحفظ ....

- من القاتل يا فندم.

ارتفع صوت سراج بنفاذ صبر...

- إيه الألغاز دي ؟ أنا عاوز أفهم كل حاجة يا بشوات، من القاتل إزاي؟

قال عمرو منعا لتأزم الأمور...

- يا فندم القاتل على تواصل معايا من بعد أول جريمة، هو بيحاول يلعب معانا لعبه بقوانينه، أنا حاولت أوصل لمصدر الأرقام اللي بيكلمني منها وكل مرة أوصل لشخص جديد مفيش أي شبه عليه، البصمات اللي لقنيها في الأماكن



اللي اتنفذ منها القنص كانت لرجل أعمال اسمه (فادي هارون) وده مش دليل قاطع لأن الأوقات اللي اتنفذ فيها الجرايم هو كان في أمكن تانية خالص.

قال اللواء منفعلا....

- ده إيه الهنا اللي أنا فيه ده، القاتل بيكلمكم بنفسه يعرفكم هينفذ إمتى ؟ ده احنا بقينا حاجة حلوة بقى، هو في إيه يا ماجد ما تفوقوا احنا الجنود اللي بتحمى مصر مش كول سنتر.

قال العقيد ماجد...

- يا فندم احنا عرفنا معلومات أكتر من كده بكتير وأخطر من كل الجرايم دي، بس حضرتك لازم تهدى الأول عشان تقدر تسمعني.

شعر اللواء (سراج) أن الأمر أكبر من كل ما كان يتوقعه بالفعل وأن هؤلاء الضباط فعلوا كل ما وسعهم وأن الأمر أكبر من تحقيق في جرائم قتل وأن من ورائها هو قاتل متسلسل، هدأ وبدأ في سماع ما يقوله (ماجد) بحرص ومع الوقت بدأت تتسع عيناه من هول ما سمع وعندما انتهى الحديث شعر أن الأمر يفوق صلاحياته هو الآخر فقرر الاتصال بمن هو أعلى منه كي يعاونه في أخذ القرارات.

***

في تمام العاشرة مساءًا داخل الصحراء تقف سيارة دفع رباعي وحيدة مضاءة مصابيحها وهناك بالداخل شخص مغطى الوجه ومكبّل اليدين، تقترب سيارتان آخرتان من وسط الصحراء حتى يصلوا إلى تلك السيارة، يهبط منها عدة رجال مسلحين يرتدون الجلباب ثم يهرولون إلى السيارة وينظرون إلى ذلك المكبل داخل السيارة ويقفون بجانب السيارة في تأهب.

تصل سيارة أخرى بداخلها الشيخ (العلايلي) وعلى وجهه علامات الانتصار، تقف السيارة ويهبط منها ويخطو عدة خطوات في اتجاه العربية وقبل أن



يصل لها تنفجر السيارة لتصدر دويا كبيرا وتقتل معها رجال (العلايلي) ويقع هو أرضا مصابا بخدوش بسيطة.

يقف منفعلا ويصرخ مناديا على بقية الرجال الذين يهرعون إليه ويقعون أرضا واحدا تلو الآخر من أثر رصاص قناصة تصيب كل واحد منهم على حدة حتى قضت عليهم.

أخذ (العلايلي) يلتف حول نفسه في خوف وقد علم أن (فادي) أوقع به وأنه الآن في آخر لحظات عمره النجس سيء السمعة، ارتفع صوته وقال...

- ليه يا فادي ؟ أنا ورايا جيش مش هيسيبوك، ليه تفتح نهر دم على الكل، سيبني أعيش وأنا هحاول أنسى اللي حصل، أنت مبتقدرش ليه .

مع كثرة التفافه حول نفسه داخ ووقع أرضا يهزي بصوت مجروح، سمع صوت تعمير للقناصة فنظر في اتجاه مصدر الصوت لتقع عيناه على شاب يجلس فوق تلك ليس بقريب ثم تلقى رصاصة في منتصف رأسه تولت رحيله إلى العالم الآخر كي تطبق العدالة التي طال انتظارها فمثله قد قتل الكثير على يده وبقرار منه واليوم يموت وسط رجاله ويذوق ألم الموت الغادر.

***

في صباح اليوم التالي طرق باب شقة (يسرا) على استحياء، أفاقت على صوت الطرق وهي من نامت خلف الباب في انتظار حبيبها، خفق قلبها وأحست أنه (أيسر) هرولت في اتجاه الباب وفتحت لتجده واقفا منتصبا أمامها دامع العينان، لم تدري ما العمل لكنه اقتحم حيائها واحتضنها بشوق و حنان كبيرين، لم تشعر سوى بأنها تريد احتضانه حتى يمحو الوجود وحتى يصير الحاضر من التاريخ البائد، نظر إليها وقال (بحبك) لم تستطيع أن تمنع ما تكتمه وقبّلته بقوة، أخذ الشوق يدفعهما دفعا إلى إطفاء تلك النيران المستعرة، تساقطت الحدود مع تساقط ملابسهما و تدفق النهر من خلف السد ليسبب



فيضانا طاغيا أغرق كل الأراضي البور، التحما كما لم يلتحما اثنان من قبل، التحما دون انفصال وإن انفصلت أجسادهم فلن تنفصل قلوبهم وأرواحهم، تعطلت المكابح وأصبحت الحواجز لينة و انسابت النشوة من بين أعينهم.

«هدأت الأنفاس ولم تهدأ الشفتان عن التقبيل ولم يقوى القلبان عن الكفاف».

***

شتاء 2017....

شاب غير واضح الملامح يدخل إلى عقار قديم متهالك آيل للسقوط، اتجه مباشرة إلى غرفة أسفل السلم بباب خشبي يحتضر، دفعه برفق لتظهر من خلفه سيدة بدينة الجسد ملقاة أرضا تسعل بشدة ومن فوقها غطاء خفيف لا يؤدي الدور المطلوب منه في ذلك البرد القارس، القليل من المتاع والكثير من الحشرات التي تملأ تلك الغرفة العطنة، خطى للداخل فشعرت به واعتدلت بصعوبة من نومتها ونظرت إلى الشاب بنظر ضعيف وقالت...

- مين ؟ مين؟

قال الشاب وقد فهم أنها في أواخر أيامها وأن التهديد معها لن يفيد...

- واحد خطفتيه وهو عيل صغير وودتيه ل(دلال) وواضح إنك بتدفعي الثمن دلوقتي، ده ذنبه.

أسعلت السيدة البدينة وقالت....

- لا يا ابنى مش ذنبك إنت لوحدك ده ذنب عيال كتير في منهم راح في تجارة الأعضاء ومنهم مات من الجوع ومنهم مات في خناقات وتحت العربيات والبرد ومفاضلش منهم غيرك أهو قدامي ومش قادرة أشوفك كويس، لو كنت مندوب من ملك الموت تبقى عملت فيا جريمة، أنا مستنية الموت ومش عاوز يجي، بيعاندني، عندي أمراض الدنيا كلها ولسه مش عاوز يخلصني من العذاب.



أشفق الشاب على حالتها رغم أنها من ألقت به إلى تلك الهاوية وقال...

- مش يمكن لسه في حاجة ناقص تعمليها يمكن تخفف عنك الأخرة؟، ودي الفرصة يا سعدات.

انتبهت سعدات وقالت....

- أي حاجة أعملها بس أتوب وأموت عاملة حسنه واحدة في دنيتي السوده.

قال الشاب...

- أنا مين أمي يا سعدات؟، دلال قالتلي إنك أكيد عارفة وإنك دايما كنتي بتتكلمي عن واحدة بتجيلك تسألك عني وإنتي كنتي بتأكديلها إني ميت، مين أمي يا سعدات؟.

أسعلت من جديد وقد لاحظ الشاب خروج بعضا من الدماء من فمها ويبدو أن حالتها سيئة حقًا، هدأت وقالت...

- أمك أنا معرفهاش يا ابني بس أعرف اللي جابتهالي اسمها الحاجة (صفية) دي اللي كانت مع أمك وقت ولادتك وهي اللي كانت بتيجي معاها يسألوا عليك وعنوانها أنا كنت شايلاه في ورقة من 20 سنة معرفش ليه بس دلوقتي عرفت، هي الوحيدة اللي كانت بتزورني هنا تساعدني كل فترة.

أخذت (سعدات) تبحث داخل كيس أسود قديم موضوع داخل درج خشبي في أحد أركان الغرفة حتى أخرجت منه ورقة وقالت...

- إمسك هو ده عنوانها يا ابني، بس صدقنى اللي بيدور في الماضي بيتعب أوي بس أنت وشوقك وأنا فاهمه.

أمسك الشاب الورقة ووضعها داخل جيب سترة بدلته وقال...

- دلوقتي لو جه ملك الموت هتلاقى حسنة تقوليها .



أدار الشاب جسده وهَمّ بالخروج فأصدرت (سعدات) سعالاً حادا وتألمت بشدة وقالت...

- طب ما تخلصني يا ابني زي ما خلصتك، أنا أخدت منك حياتك زمان وده حقك تاخد حياتي دلوقتي وأنا راضية ومسامحة، أنا بتعفن وأنا صاحية يا ابني.

تردد الشاب قبل أن يخرج سلاحه الناري ويقترب منها ثم وضع كاتم الصوت وقال ...

- أنا ممكن أوديكي أحسن مستشفى تعالجك.

قالت سعدات وهي تأخذ أنفاسها بصعوبة....

- أنا اكتفيت من الدنيا، بكرة تاخد نفس القرار لما تكتفي منها.

دمعت عين الشاب عندما تلاقت أعينهما ثم تماسك ووضع وسادة على وجه تلك العجوز البدينة وأطلق عدة طلقات على رأسها ثم خرج وأغلق خلفه الباب وتركها جثة هامدة.

***





الفصل السادس عشر

« يجب أن تقتل أي خوف بداخلك حتى تتمكن من التحكم في كل شيء، المجازفة لها فوائدها والأمان يشعرك بالعجز ويعلمك الخوف، يجب أن تحيا دائما في خطر من دون أي خوف أو أمل وبعدها سترى قوتك الحقيقية بوضوح».



المساحات الزرقاء الشاسعة التي تمتد على مرمى البصر تخفف قليلا من آلامها و تساعد على وقف نزيف مستمر من شق داخل نفسها التي تحتضر، تملكتها فكرة الانقام منه، فقد سلب منها كل شيء، جسدها، كرامتها، أحلامها والآن سلب منها آخر أمل لها وهي أن تكف عن خدمة مصالحه الخاصة، تفكر جديا أن تضع له سم داخل كأس ما في أحد لياليهم الحمراء برعاية الشيطان، أو أن تكتم أنفاسه، تطلق عليه النيران، لكنه لا يستحق كل ذلك العناء وقد بدأت في حكاية طريقة الخلاص منه، (إيناس) تجلس داخل أحد القرى السياحية في انتظار صديق لها يعمل ضابطا في المباحث وقد طلبت منه الحضور من أجل خدمة ما.

لقد حصلت على كل ما يدينه ويثبت أنه وراء كل تلك الجرائم التي تحدث وما عليها الآن سوى أن تصل لأحد الضباط المتولين تلك القضية المعروفة ب(القاتل المجهول)، انتظرت لعدة ساعات حتى أصدر هاتفها الجوال رنة أجابتها وقالت...

- حسام حمدالله ع السلامة، أنا قاعدة ع البحر خد دش واستريح شوية وأشوفك بالليل ع العشا ناكل و نخرج و نتبسط وبعد كده إبقى أقولك على الخدمة اللي أنا عاوزاك فيها وعارفة غنك قدها.

أنهت المكالمة وتخيلت (فادي هارون) وهو مقاد بتلك البدلة الحمراء مقيدا اليدين باكي العينين يتوسل الجميع في وهن وذل ولا يلتفت إليه أحد



ثم يضع أحدهم حبل المشنقة حول رقبته ثم ينتهي ذلك الكابوس إلى الأبد وتصبح هي حرة و تتخطى ما حدث بقية عمرها.

هناك شاب حاد الملامح يجلس بالقرب منها متداريا عن أنظارها قد سمع كل ما حدث وبدأ في إخراج هاتفه الجوال وكتب رسالة كان بها (فادي باشا أنا وراها خطوة بخطوة وهي هتقابل حد هنا النهاردة بالليل هصورهم سوا وابعت لسيادتك كل المستجدات) ثم ضغط زر الإرسال وكان المرسل إليه (فادي هارون).

***

شاشة موضوعة أعلى مكتب خشبي ضخم تعرض دخول بعض من عناصر الشرطة مقر الشركة الخاصة ب(فادي هارون) الذي ينظر إليهم في ثبات وهو في انتظارهم للقدوم إلى مكتبه، حاول أحد أفراد الأمن منعهم لكن كان هناك أحد الضباط المسؤلين عن قضية (أمير) غاضبا للغاية فأمر باعتقال الحارس وتوجه مسرعا دون توقف إلى الدور الأعلى من الشركة والذي كان معدا خصيصا لفادي ويمنع أي أحد من الصعود إليه إلا بموافقة منه.

دقائق واقتحمت قوات الشرطة المكتب الموجود به (فادي) وانتشرت بقية العناصر يبحثون عن (أمير) في كل مكان بالشركة كبيرة المساحة، أظهر الضابط الغاضب ورقة تحمل إلن من النيابة بتفتيش منزل وشركة (فادي هارون) ثم وضعها بقوة على سط المكتب محدثا صوت مرتفع وقال....

- فين ابنك أمير يا فادي؟

لم يتحرك فادي من مكانه ولكنه أمسك بتلك الورقة وقرأها جيدا وقال...

- الشركة قدام حضرتك، ممكن تدور فيها براحتك خالص وعلى أقل من مهلك، ما أنا قلتلك الكلام ده قبل كده يا حضرة الظابط .

انفعل الضابط أكثر وقال...



- فين أمير ؟

ترك فادي الورقة وفتح علبة خشبية صغيرة وأخرج منها سيجارا ثم قص جزءا منه بأداة مصممة من أجل ذلك وأشعلها وقال...

- أنا قلت لسيادتك قبل كده معرفش، ده أنا كنت لسه هاخد طارق ونجيلكم القسم نعمل محضر عشان نعرف فين أمير.

لم يتمالك نفسه الضابط واتجه إلى فادي وجذبه من ثيابه فحاول آخر منعه و أعاده إلى مكانه وتهدئته، نظر فادي إلى الضابط وقال...

- خد بالك إنت كده بتتهجم عليا في مكتبي وكل اللي حصل ده اتصور من 4 كاميرات أهم.

وأخذ يشير إلى مكانهم ثم أكمل قوله وقال باستفزاز...

- لو حابب تذيع قول ذيع يا باشا، ولا بلاش عشان أنا مقدر إن اللي إنت فيه، وعارف يعنى إيه واحد من دفعتك وعشرة سنين يموت واللي قتله يهرب من بين إيدك.

رغم أن صدره كان مشتعلا لكنه فضّل أن يكون متزنا وقال...

- أوعدك إنك هتسمع خبر موت أمير قريب يا فادي وساعتها هتعرف إننا مش بنلعب.

أنهى كلماته ليسمع إشارة قادمة عبر اللاسلكي تفيد بأنه لا أثر ل(أمير) في ذلك المبنى ولا المنزل، أمر الضابط رجال الشرطة بالخروج ثم نظر إلى فادي وقال...

- قريب أوي وخليك فاكر كلامي.

لم يتحدث فادي ولكنه رسم ابتسامة سامة على وجهٍ حسن المظهر تحمل في طيها الخوف الدفين والغل الكبير لذلك الضابط وتمنى لو أن هناك فرصة



للخلاص منه ولكنه سيكون المشتبه فيه الأول بعد أن يتم اغتياله، تركهم يرحلون وهو يتابعهم على تلك الشاشة التي تعرض كل شيء ثم ضرب المكتب بيده من كثرة الغضب.

***

خطوات سريعة يقطعها (مروان) في اتجاه مكتب الرائد (عمرو) وبيده ملف يحمل فاكس بعث خصيصا من أجلهم، وصل أمام الباب وطرقه ثم دلف إلى الداخل ليجد (عمرو) نائما على أحد الكراسي الموجودة داخل المكتب، أيقظه بهدوء وقال...

- عمرو ! عمرو باشا إصحى بص كده على الفاكس ده، ده جايلنا من جهاز مكافحة الإرهاب.

أفاق (عمرو) واعتدل ثم أخذ يفرك عينه بقوة، اتجه إلى مكتبه وأمسك بالملف ثم أشعل سيجارا وجلس، أخذ نفسا وأخرج دخانا كثيفا وبدأ في قراءة الفاكس حتى أنهاه، نظر إلى النقيب (مروان) وقال...

- العلايلي !! القاتل كان يقصد الشيخ العلايلي، ده من أكبر الشيوخ في سينا وأكتر الناس المطلوبين أمنيا، قتله إزاي ده ؟

قال مروان متعجبا...

- الغريبة إنهم لقوه مقتول وسط رجالته ومعاهم سلاحهم وفي منهم ميت محروق وفي مات بسبب انفجار وفي منهم بقناصة في أماكن متفرقة من الجسم بس هو الوحيد اللي كانت الرصاصة في دماغه وبنفس الطريقة، أنا لسه مكلم حد من زمايلي هناك وقالي إن الدنيا مقلوبة وإن الأمن متأهب ورافع الحالة بسبب الموضوع ده وإن كل القبائل هناك بتغلي وعايزة تاخد بالتار.

وضع (عمرو) التقرير على المكتب وقال...



- انفلات أمني !! كل حاجة مرتبينلها ولاد الكلب، مرة في القاهرة ومرة في سينا ومرة مشكلة دوبلوماسية مع قتيل أجنبى ورأي عام يولع، طب فاضل إيه تاني ؟

***

- متخفش يا أمير، خلاص أنا رتبت لكل حاجة، خليك إنت بس مكانك ولو كنت عايز حاجة اطلبها من كريم، هتلاقيه كل يوم بيفوت عليك، أنا عينته حارس شخصي ليك بس من بعيد لبعيد، متحاولش تتصل بيا ولا برشاد عشان أكيد التلفونات هتكون متراقبة، هتلاقيني بكلمك من رقم غريب كل مرة زي كده، كلها أيام و أهربك بره مصر، خليك راجل، متخفش، سلام يا حبيبي.

كانت تلك مكالمة بين (فادي) وابنه (أمير) بعد أن تمكن رشاد من تهريبه ووضعه بشقة في أحد المناطق البعيدة عن الشكوك، قلبه كان يعتصر بسبب شعوره بانكسار ابنه الأوحد، غريزة الأب جعلته يخاطر بكل شيء من أجل سلامة ابنه وغريزة الكبرياء جعلته يتغاضى عن الظلم البين الذي ارتكبه ابنه مرات ومرات وتمكن من حمايته وإلحاق التهم بغيره بدم بارد، أما الآن فلا سبيل سوى الهروب.

جلس دقائق يعيد أفكاره من جديد ليصدر هاتفه صوت رنة جديدة، أمسك بهاتفه فوجدها مكالمة من (كمال) ذلك التابع المشاكس ناكر الجميل، أخذ نفسا ثم أجاب قائلا...

- إيه يا كمال جاهز للسفر ؟ خلاص كلها يومين.

جاء صوت (كمال) مرتفعا وقال...

- بس بقى يا فادي، أنا لا هسافر ولا هشترك معاك في الجريمة دي، إنت راجل سفاح وبتتاجر في دم الناس أنا مالي، أنا منكرش إنك دخلتني المجلس



بس أنت نسيت إني بقى عندي حصانة دلوقتي ومتعرفش تلمس شعره مني، أنا بحذرك أبعد عني وشيلني من دماغك بدل ما أشيلك أنا من على وش الأرض، فكر في كلامي.

بعض البشر خلقوا من طيب بارد لا يتأثرون بالضغوط وبعضهم خلقوا من طين عفن لا تصدر منهم سوى أعمالا كريهة الصدى والبعض خلق من مزيج الاثنين مثل (فادي) الذي قال ردا على كلام كمال له...

- ده آخر كلام عندك ؟

لوهلة شعر (فادي) برجفة أصابت (كمال) الذي تأخر في الرد وانفعل قائلا...

- آه أخر كلام عندي و أنا بح........

أغلق (فادي) المكالمة في وجه (كمال) فهو يعلم جيدا كيف يتخذ القرارات في مثل تلك الظروف وكيف يجبر من حوله على خدمة فهو موهوب بذلك، موهوب في استغلال كل بيدق على تلك اللوحة التي صنعها بيده ولا ينازعه أحد عليها.

***

داخل غرفة مظلمة إلا من ضوء خافت يأتي من خلف الستار نافذة تطل على الشارع ومع صوت سيارة نقل تمر أسفل العقار يفتح (أيسر) عينه فجأة، ينظر إلى (يسرا) التي تنام بجانبه وتحتضنه بشده فيبتسم، يزيح يدها بهدوء ويتجه إلى ملابسه بالقرب من الخزانة، ينتهي من ارتداء ملابسه في هدوء تام ثم يتحرك في اتجاه (يسرا) يقبّلها ويخرج إلى الصالة الرئيسية ينظر إلى الساعة فيجدها تجاوزت الثالثة فجرا، يفتح باب الشقة في حرص ويغلق خلفه.

تحرك (يسرا) يدها باحثة عن (أيسر) الذي كان بجاورها ،تفزع من عدم وجوده، تفيق وتضع فوق جسدها العاري ملس خفيف وتبحث عنه في كل



مكان بالبيت فلا تجده، تغضب بشدة وتحاول الاتصال به لتجد هاتفه مغلق ليتحول غضبها إلى خوف وقلق فتجلس على كنبة بالقرب منها وتقول...

- تاني يا أيسر ؟ إنت بتروح فين بس ؟

***

شتاء 2017.....

شاب ممسك بورقة يقف أمام منزل يحمل رقم 18 يقرأها ليتأكد أن هذا هو العنوان الصحيح، يدخل العقار حديث البناء ويصعد إلى الدور الرابع ثم يطرق الباب وينتظر، يفتح الباب وتظهر من خلفه فتاة في سن المراهقة، تنظر إليه في توجس ثم تقول....

- مين حضرتك؟

يتحدق إليها الشاب قائلا...

- الحاجة صفية موجودة ؟

تحاول تلك المراهقة الاستفسار عن هويته أكثر وتقول بصوت مرتفع تلك المرة...

- تيتة موجودة بس مين حضرتك؟

قبل أن يتحدث تظهر سيدة في منتصف الخمسينات من عمرها يتمسك بالفتاة وتشير لها أن تدخل إلى غرفتها قائلة...

- خشي جوه إنتي يا سحر.

ثم تنظر إلى الشاب وتقول...

- مين حضرتك؟

ينظر لها الشاب ويتخيل أن أمه فى نفس ذلك العمر ويقول...

- أنا جايلك من طرف سعدات.



تومىء الحاجة (صفية) برأسها وتقول...

- أه، معلش يا ابنى أصلي بقالي مدة مرحتلهاش، استنى أجيبلك الشهرية بتاعتها، تعالى اتفضل عقبال ما أجيبلك الفلوس، هي عاملة إيه دلوقتي؟

يدخل الشاب ويغلق خلفة الباب ثم يسير خلف (صفية) التي تشير له أن يجلس ثم تتحرك باتجاه غرفة نومها كي تحضر مبلغا ماليا كانت تساعد به (سعدات) ليقول الشاب...

- هي خلصت ذنب عليها قديم يا حاجة صفية ويا ريت تخلصي ذنبك إنتي كمان.

تعجب (صفية) من قول الشاب و شعرت بشيء غريب أصابها، التفتت إلى الشاب وجلست أمامه وأخذت تنظر إليه من خلف نظارتها وقالت...

- قصدك إيه ؟ إنت مين؟

قال الشاب بتأثر....

- من سنين كتير فاتوا اخدتي صاحبتك وروحتي ل(سعدات) عشان تخلصيها من طفل ملوش ذنب في غلطة اتنين طايشين، وبعد ما ولدته حي وقالتلكوا سعدات إنه ميت وانتوا صدقتوا راحت باعته بشوية ملاليم تحت رجل ناس قاسية اوي وبعد ما دخل مطحنة الحياة هو واللي زيه كتير وقدر يعافر ويعيش أهو قاعد قدامك دلوقتى بيسألك فين الست اللي رمتنى في المطحنة دي وأنا مليش ذنب؟ فين أمي ؟ ليه مرجعتوش تاني تسألوا عني حتى لو كانت قالتلكم إنه مات، هي محستش إني لسه عايش ؟

بكت (صفية) بعد سماعها تلك الكلمات من ذلك الشاب وقد كانت في قرارة نفسها تعلم ان ذلك الطفل المسكين والذي حكم القدر عليه بالإعدام قد عاش وذات يوم سيعود ويطالب أن يجيبه أحدا ورغم أنها نسيت أو تناست الأمر إلا أنها علمت أن ذلك اليوم آت.



تحركت وجلست بجانبه وهي تبكي ثم بدأت في مسح دموعه التي انسابت فوق وجنتيه، تفقدت ملامحه ورأت كم أنه شاب وسيم يشبه أمه كثيرا، لم يكن له ذنب في ما مر به، فكرت كيف سيكون حالة الآن في ذلك العمر لو كان ولد من فعلته ليست محرمة كان ليصبح طبيبا أو محاميا أو ضابطا مثل أخيه، تذكرت أمه وقالت....

- أنا عارفة إنك اتظلمت كتير وإنك مريت بأيام سودة أكتر من شعر راسي، بس لو عاوز الحق يا ابني، أمك مبطلتش يوم واحد تفكير فيك، و فضلت تروح ل(سعدات) كل شهر تسأل عليك، كان قلبها حاسس إنك عايش بس سعدات كانت مصرة إنك ميت، فضلت على الحال ده سنتين لحد ما...

صمتت الحاجة (صفية) ليسألها الشاب ....

- لحد إيه ؟ كملي.

ترددت كثيرا قبل أن تجيبه لكنها فضّلت الإفصاح عن كل شيء فهو يستحق أن تخبره الحقيقة كاملة فقالت....

- لحد ما قررت تشوف حياتها، اتجوزت وخلفت وكملت حياتها، بس عمرها ما نسيتك يا ابني، حتى لما بنتقابل كل فين وفين لازم نجيب سيرتك لو مكنش بالقول بيبقى بالنظرات.

انفعل الشاب وقال...

- كملت حياتها !!! طب وأنا ؟ ليه حياتي وقفت بسبب غلطه أنا مرتكبتهاش وبسببها بقت حياتى كلها غلطات، قتلت، سرقت، تاجرت سلاح وخدرات شربت، حياتي كلها بقت غلط بسببها، هي فين ؟ لازم تعرف أنا بقيت إيه بسببها.

ارتعدت (صفية) بعد سمعت قوله بالقتل والسرقة وعلمت إن من أمامها الآن ليس ذلك الطفل الذي تركوه من قبل، فقد أصبح مسخا يحمل غلّا وكرها كبيران، حاولت ردعه عن فكره البحث عنها فقالت...



- بص يا ابني، آه إنت اترميت في بلاعة وعملت كل حاجة غلط بس أمك ملهاش ذنب، هي غلطت غلطتها وإنت غلطت كتير وكل واحد بيشيل نتيجة غلطه، نصيحتي ليك إنك تنسى وتكمل حياتك وتحاول تعيش بجد بعيد عن القرف والوساخة، نضف نفسك وربنا غفور رحيم.

احتدّ وجه الشاب وتحوّل من الوسامة إلى الشراسة وقال...

- عنوانها فين ؟ أنا لازم أقابلها .

ارتعشت (صفية) عندما رأت الوجه الآخر لذلك الشاب ونظرت إلى حفيدتها التي خرجت من غرفتها خائفة من صوت الشاب الذي ارتفع، فنظرت إليه وقالت...

- إهدى بس، أنا هديك عنوانها بس فكر قبل ما تروح، عشان أمك اتجوزت ظابط زمان بعد ما أبوك هرب وباعها ودلوقتي عندها ابن ظابط هو كمان وفي جهاز مهم في الداخلية.

لم يكترث إلى قولها وظل يرمقها بغيظ حتى تحركت وأحضرت ورقة وقلم وبدأت في كتابه عنوان آخر له، عنوان أمه التي تركته عجزا وهو الآن عائد إليها يحمل الكثير من الأسئلة على ورقة الزمان كتبت بدماء قلبه.

***





الفصل السابع عشر

«البعض يعيش حياة لا يستحقها فالمعايير مزيفة مصطنعة على مر الزمان و لكي نكون على صواب فالعدالة المتأخرة أكثر مرارة من الظلم إنْ أتت، لذلك قرر أن يأخذ ما سلب منه وأن يطبق عدالته الخاصة».



داخـل منـزل (إينـاس) التـي تتحـرك بتوتـر وهـي ممسـكة بفلاشـة تحمـل بداخلها كل الملفات والصفقات التي تدين (فـادي هـارون) وتجعـل منـه الفاعـل الأسـاسي لتلـك الجرائـم التـي تحـدث في الآونـة الأخـيرة وتثبـت تورطـه في تجـارة السلاح في مـصر والـشرق الأوسـط هـو والكثير مـن الأسـماء الكثيرة البـارزة ومنهـم مسـؤولين في مناصـب هامـة.

جلسـت عـلى فراشـها وهـي مازالـت تنظـر إلى الفلاشـة ثـم أمسـكت بهاتفهـا الجـوال و كتبـت رقـم حفظتـه عـن ظهـر قلـب مـن صديقهـا الضابـط الـذي قضـت معـه السـاعات الماضيـة وأخبرهـا أن ذلـك الرقـم هـو للنقيـب (مـروان) وهـو أحـد الضبـاط المسـؤولين عـن قضيـة (القاتـل المجهـول) و أخبرهـا أن تكـون حـذرة لأن مـن يقـترب مـن خـط النـار فهـو معـرض للإصابـة بالحـروق البالغـة، هـو عـلى حـق ولكـن لا نـار أشـد ضررا مـن تلـك المشـتعلة بصدرهـا والتـي تسـبب بهـا ذلـك المسـخ (فـادي).

فكـرت للحظـات قبـل أن تتصـل بذلـك الرقـم وتنتظـر الإجابـة التـي لم تطـل وجـاء صـوت مـروان يقـول ....

- ألو !! ألو!!.

علت خوفها وقالت...

- النقيب مروان معايا ؟

جاء صوت مروان...



- تمام، مين معايا؟

قالت إيناس بعد أن تملك شعور الشجاعة قلبها ....

- أنا الممثلة إيناس صابر، أنا عندى ملفات مهمة في القضية اللي حضرتك ماسكها و معلومات تحللكم كل المشاكل والمتاهات، أنا عارفة مين اللي ورا كل حاجة بالأدلة.

بدا الاهتمام واضحا على صوت مروان الذي قال...

- مين ؟

قالت إيناس ...

- فادي هارون هو اللي ورا كل اللي بيحصل.

قال مروان....

- إنتي متأكده يا إيناس؟ انتي مش أول حد يقول الكلام ده؟

قالت إيناس بعد أن رجف قلبها ....

- متأكده واللي يخلي حضرتك متأكد أكتر مني إن كل اللي اتصل بيك وقالك نفس الكلام ماتوا بعدها بساعات.

صمت مروان للحظات قبل أن يقول...

- ممكن عنوان حضرتك، أنا هكون عندك وهأمنك لحد ما نقبض على فادي واللي معاه.

أحست بخطر وشيك فقالت...

- أنا هبعت لحضرتك العنوان في رسالة وفي انتظارك، مع السلامة.

أغلقت الهاتف ووضعته بجانبها على الفراش ونظرت إلى أعلى في اتجاه السقف كأنها تستجدي السماء أن تساعدها الآن أكثر من أي وقت مضى لكن عينها لم تستطع رصد تلك الكاميرا التي وضعها لها (فادي هارون) في أحد



أركان الغرفة بحرفية كبيرة والتي كانت تسجل كل شيء يحدث صوتا وصورة وقد كان يشاهد ذلك الحوار الذي دار بينها وبين النقيب (مروان) وأصدر أوامره بالفعل.

***

داخل إحدى المباني الأمنية يتحرك (مروان) بخطوات سريعة يكاد تكون عدْوًا في طريقه إلى مكتب (عمرو)، فتح الباب ودلف إلى المكتب وقبل أن يتحدث أشار له أن لا يصدر صوتا وهو ممسك بهاتفه ويقول للمتصل....

- أنا معاك .

فتح مكبر الصوت كي يستمع مروان معه إلى صوت القاتل المعدل والذي قال....

- الضحية الجديدة من الوسط الفني، مشهورة ومعروفة جدا وكمان جميلة، بعد الحادثة كل الرأي العام هيهاجمكم زي ما كنا مرتبين تماما، أنا هسيبلكم دليل صغير عبارة عن فلاشة فيها أسماء المتورطين في الجرائم دي بس من غير أدلة قاطعة، التنفيذ كمان نص ساعة يعني الساعة 10 بالظبط زي كل مرة.

أنهى القاتل المكالمة فارتفع صوت (مروان) قائلا....

- أنا عارف مين اللي يقصدها المرة دي يا عمرو، لازم نلحقها.

وقف عمرو في الحال وانطلقوا مسرعين إلى إحدى سيارات الشرطة وقال...

- هو كان يقصد مين ؟ إنت عرفت إزاي؟

انطلقوا بالسيارة مسرعين ومن خلفهم سيارتين آخرتين تحمل عدة جنود وضباط أقل رتبة فقال مروان....

- الهدف الجديد للقاتل هي الممثلة إيناس صابر، كلمتني من ساعة تقريبا وقالتلي إنها معاها ملفات بتثبت تورط فادي هارون وأسماء تانية كتير في قضايا فساد وبالأخص فادي وأنه هو اللي ورا كل الجرائم دي، دي فرصتنا يا عمرو لازم نلحقها.



زاد (عمرو) من سرعة السيارة مخترقا جموع السيارات بعد أن أصدر صوت تلك (السرينة) المميزة كي تتيح له السيارات الأخرى المرور وتبعته السيارتان الأخرتان في سباق مع القدر الذي كتب قبل هبوط الإنسان إلى تلك الأرض الخادعة وأكل من بذورها السامة فأصبحت دماءه ملوثة وعقله مضطرب ووقعت أول حادثة قتل اجترت المزيد كنهر جاري لا يتوقف حتى تلك اللحظات التي تقرأ فيها هذه الجملة.

***

ال 9:45 ...

داخل منزل (شادي العمروسي) يجلس على أحد كراسيه المفضلة في الصالة الرئيسية وهو ينظر إلى صور الضحايا في تلك القضية غريبة الشكل، يحاول إيجاد نقطة تربط بينهما بعد أن تمكن من الحصول على تاريخهم بالكامل، نظر إلى صورة الطبيب النفسي (مجدي فرحات) ووضعها بجانب صورة المهندس (إبراهيم حلمي) ثم وضع صورة الضحية الثالثة (مريم مصطفى) بجانبهم ومن أسفلهم وضع صورة (ألبرتو سيجال) بجانب صورة (العلايلي)، أحس أن هناك أمرا ما يربطهما جميعا ببعض ولم يجد إلا واحدا فقط كان علاقة بكل هؤلاء وهو (فادي هارون) الذي كان يتعافى نفسيا عند الطبيب (مجدي) بعد أن ماتت زوجته ومر بأزمة نفسية شديدة لم يتعاف منها إلا على يد (مجدي)، أما عن الضحية الثانية وهو المهندس (إبراهيم) فقد كان صديقا مقربا من زوجة (فادي) وهي الضحية الثالثة (مريم) وعند النظر إلى ذلك الشاب الإيطالي (ألبرتو) فقد تم رؤيتهم سويا قبل قتله بساعات في الإسكندرية، ويبقى العلايلي الذي هو بطريقة ما على علاقة ب(فادي هارون) الذي يمثل علامة استفهام كبيرة في كل تلك القضايا، لكن دون دليل واحد يدينه.

خلع (شادي) نظارته وأخذ يفرك عينيه من شدة الإرهاق وأمسك بصورة



ل(فادي هارون) ثم أمسك هاتفه الجوال وأخرج رقم العقيد (ماجد كمال) وأجرى اتصالا به ثم قال...

- أنا آسف إني بكلم حضرتك في وقت زي ده، بس أنا حبيت أقول لحضرتك على معلومة توصلت ليها ممكن تفيدكم في القضية، وعشان حضرتك تكون متأكد إن الصحافة هي كمان بتحاول تخدم البلد وتساعد العدالة، اللي عاوز أقوله لحضرتك إن في شخص واحد بس مشترك بين كل المجني عليهم، يعرفهم كلهم ماعدا واحد أكيد برده مع شوية بحث هيبقى ليه علاقة بيه، أنا بتكلم عن فادي هارون، رجل الأعمال المعروف.

***

ال10:00 مساء....

هاتف (إيناس) يصدر رنينا وهي تمسك به وفي عينيها نظرة خوف، تفكر لكن عقلها لا يعمل، نفسها ضيق إلى حد كبير وقلبها مقبوض، يد تمسك الهاتف والأخرى تمسك بفلاشة بها خلاصها، أجابت على الهاتف قبل أن تنتهي محاولة الاتصال...

ابتلعت ريقها وقالت...

- ألو، أيوه يا فادي باشا.

طرق الباب متزامنا مع صوت فادي عبر الهاتف قائلا....

- افتحي الباب يا إيناس، انتي مبترديش ليه؟

اتسعت عينها من شدة الخوف ووضعت الفلاشة في جيب البنطال التي كانت ترتديه وهرعت إلى الباب وهي تقول...

- حاضر، حاضر أنا جايه.



وضعت يدها على المقبض وقد نسيت تماما أمر (مروان) الذي كان قادما إليها في الطريق فور أن سمعت صوت الشيطان (فادي)، عدلت من ملابسها وفتحت الباب لتتسع عيناها من هول المفاجأة وتقول....

- إنت ؟ طب ليه؟

صوت مكتوم لطلقة خرجت من فوهة مسدس إلى رأسها مباشرة أردتها قتيلة في الحال، يد موضوعة داخل قفاز أسود تمتد إلى جسدها وتسحبه إلى الداخل ثم تخرج الفلاشة من جيبها وتضع فلاشة أخرى بجانبها.

يظهر جسد لشاب يرتدي بدلة سوداء و قفاز أسود وهو يلقي نظرة إلى جسد (إيناس) ثم يخرج ويغلق باب الشقة خلفه ويهبط مسرعا على السلالم مع اقتراب سيارات الشرطة محدثة دوي كبير.

الكثير من محاولات الاتصال بهاتف (إيناس) من دون إجابة يصدر بعدها الرائد (عمرو) اقتحام المنزل للقوات عبر جهاز اللاسلكي، يقتحم العديد من الجنود والضباط الشقة ليجدوها مقتولة برصاصة في منتصف الرأس.

يصعد إلى أعلى (عمرو) و (مروان) ليجدوها ملقاة ارضًا وبجانبها تلك الفلاشة، يمد (عمرو) يده إلى الفلاشة ويمسك بها ثم ينظر إلى شريكه بإحباط ويضع يده على وجهه و قد ارتفع ضغط الدماء داخل عروقه فيركل منضدة تتوسط الصالة بقدمه ليتحطم زجاجها أرضا كما تحطمت كل محاولاته في تلك القضية.

انحنى (مروان) بجسده ونظر إلى وجه (إيناس) ليجد وجه جميل بعين باكية، نظر إلى يدها ليجد هاتفها الجوال، يمسكه ويضعه داخل جيبه ثم يجذب يد (عمرو) ويهبطوا سويا إلى سيارة الشرطة وينطلقوا تاركين رجال المباحث الجنائية تقوم بعملها.

***



أصوات صاخبة للغاية وأضواء تتحرك من حوله تؤذي عينه من حين إلى آخر، كأس خلف كأس يتجرعه دفعة واحدة، الكثير من الفتيات والشباب في حالة من السكر والخدر يتراقصون، أصبح فاقدا للاتزان وللحذر، التحم جسده بالجمع الراقص وبدا أكثر شراسة، رشاد يتمايل و يحاول أن يخرق من ذلك المزاج السيء الذي أصابه، كل الفتيات من حوله يحملن وجه (إيناس)، يكاد عقله أن يشت، يستدير فيجدها في كل مكان، أخذ يقبل كل فتاة تقابله وهي تحمل وجه (إيناس) افتعل الكثير من المشاكل و تعارك مع كل شاب يراه يمسك بيد واحدة تحمل وجه (إيناس) التي يعلم يقينا أنها رحلت لكنه يرفض ذلك، تجمع حوله الكثير من الشبان وأوقعوه أرضا مستغلين لحظة السكر التي يمر بها ثم انهالوا عليه بالضرب، جعلوه يدمى بشدة فبدأ في البكاء الشديد، لم يكن يشعر بضربهم له ولكنه كان يعاني ما هو أشد وطئًا، فقد حبيبته وظل يبكي وينطق باسمها، إيناس لقد رحلت وتركته وحيدا عاريا يشعر بالسقيع داخل قلبه، لقد رحلت شمسه فأظلمت نفسه و انطفأت تلك النقطة البيضاء إلى الأبد.

***

في صباح اليوم التالي تجلس (يسرا) بجانب الباب أرضا تحبس الكثير من الدموع داخل عينها والكثير من القلق داخل صدرها، تنتظر حبيبها القاسي، سمعت خطوات تقترب صعودا على السلالم فتأهبت وظلت ساكنة حتى طرق الباب، وقفت مسرعة وفتحت الباب لتجد (أيسر) يقف أمامها دامع العينين، احتضنها وانهار بالبكاء فضمته أكثر، أدخلته وأغلقت الباب، انتظرت أن يهدأ لكنه لم يهدأ وكأن الدموع لا تكف، وكأن العينين تأبى الرؤية، مسحت دموعه و أحضرت له كوبا من الماء ثم سألته....

- في إيه يا حبيبي؟ مالك؟

نظر لها في انكسار وقال...



- في حد عزيز عليا مات يا يسرا.

احتضنتـه و لم تكـن تريـد أكـثر مـن أن يكـون هنـا، بالقـرب مـن قلبهـا، أن تستنشـق أنفاسـه وأن تستشـعر دقـات قلبـه، أن تتـذوق الأمـان عنـد رؤيتـه، أن يحـترق الكـون وهـي تتشـبث بـه.

***

خـرج (كـمال) مـن بـاب البرلمـان بعـد انتهـاء جلسـته المنعقـدة والتـي أتـت بالكثـير مـن الموافقـات المجمعـة، ركـب سـيارته الفاخـرة وأشـار إلى السـائق أن ينطلـق بـه إلى منزلـه، أصدر هاتفـه رنينـا، نظـر إلى الشاشـة ليجـده فـادي، فـادي هـارون، ذلـك القاتـل، هـو يعلـم جيـدا أنـه مـن قتـل إينـاس، أحـس أنـه يريـد مواجهتـه فـرد عليـه وقـال...

- قتلتها ليه يا فادي ؟ إنت شيطان مش إنسان.

جاء الرد من فادي عبر الهاتف قائلا...

- ده أنا بتصل بيك عشان أسألك إنت قتلتها ليه؟

انفعل كمال وقال...

- إنت هتستهبل ؟ مين اللي قتلها !!

قال فادي بهدوء...

- مـا هـو أمـر منطقـي جـدا أنـك تقتلهـا يـا كـمال بعـد مـا هددتـك بالفيديـو اللـي وصلنـي وبعتهولـك الصبـح، مكنتـش أعـرف إنـك مجـرم يـا كـمال، ليـه بـس كـده يـا أخـي؟

فتـح كـمال مسرعـا هاتفـه فوجـد فيديـو مرسـلا إليـه مـن فـادي في الصبـاح لم يلحـظ وجـوده، فتحـه ليجـد مقطعـا يجمعـه مـع إينـاس عـلى الفـراش في وضـع حميمـي جنـسي، كاللـون الأحمـر واجهـه وقـال....

- يا ابن الكلب، إنت عاوز تلبسني أنا التهمة، أنا هروح القسم وأبلغ عنك.



أصدر فادي ضحكة مرتفعة وقال...

- هيكـون الفيديـو هنـاك قبـل مـا توصـل وهتلاقيهـم في انتظـارك بالكلبشـات، بقـى تقتـل البـت عشـان صورتـك في السريـر؟

شعر كمال بالانكسار، فكر جيدا ثم قال...

- عاوز إيه يا فادي مقابل إن الفيديو ده يكون ممسوح من الوجود.

ارتفع صوت فادي قائلا....

- جهـز نفسـك بكـرة للسـفر، وهبقـى أكلمـك بالليـل أشرحلـك كل حاجـة، وآه لـو رنيـت عليـك وانـت مردتـش عليـا إعـرف إنـك لبسـت البدلـة الحمـرا، اعتقـد هتبقـى لايقـة عليـك، سـلام يـا ابـن الكلـب.

أغلـق فـادي الهاتـف فشـعر كـمال بالغضـب الشـديد لكنـه لم يكـن بيـده أن يفعـل شـيئا سـوى الاسـتجابة إلى مطالـب الشـيطان، الشـيطان الـذي يخطـط جيـدا قبـل التنفيـذ، الشـيطان الـذي يفـوز دائمـا لأننـا ببسـاطة أغبيـاء غافلـين.

***

شتاء 2017.....

شـاب يقـف بالقـرب مـن أحـد التجمعـات السـكنية الخاصـة بضبـاط الشرطـة، موضـوع عليهـا حراسـة كبـيرة لحمايـة أهـالي الضبـاط مـن المجرمـين والمخربـين، الدخـول إلى هنـاك صعـب للغايـة لكنـه لـن يتوقـف الآن بعـد أن أصبـح الفـرق بينـه وبـين أمـه عـدة مبـاني و بعـض ضبـاط شرطـة، فكـر جيـدا كيـف يدخـل إلى هنـاك ولابـد لـه أن يفكـر في طريقـة مـا كي يكـون مقنعـا، نظـر إلى دراجـة ناريـة تقـترب مـن أحـد المداخـل، فتشـه أحـد العسـاكر وأطلـع عـلى هيئتـه ثـم تركـه يعـبر إلى الداخـل، وجـد طريقـة للدخـول فقـرر أن يرحـل ويعـد خطتـه لمقابلـة طـال انتظارهـا، مقابلـة تعنـى لـه الحيـاة.

***



الفصل الثامن عشر

« الدماء، الكثير من الدماء التي صاغت الصفحات الماضية، بعضها طاهرا وبعضها نجسا، أريقت بكثرة، الأسباب تفصح عن نفسها، القاتل تظهر ملامحه الآن، لا يهم كل ما مضى مازال هناك سببا لم ينكشف، لا تنظر إلى الظاهر وتترك الباطن فهناك تكمن الحقيقة».



على أحد الشواطيء وبالقرب من حدود (ليبيا) يقف (كمال) متأهبا قلقا وهو محاط بالكثير من الرجال المدججين بالسلاح، ينظر بنظارة معظمة إلى زوارق تتحرك إلى عمق البحر وأخرى قادمة من هناك، ينظر خلفه إلى عدة صناديق موضوعة فوق بعضها البعض، يتجه إلى واحد منهم ويفتحه ليجد بداخله عدة بنادق قنص مختلفة ومنها (سافاج 10)، يتجه إلى صندوق آخر ويفتحه ليجد بداخله كمية كبيرة من الأعيرة النارية (308ونشستر) يمسك بطلقة منها وينظر إلى كبر حجمها في خوف، يتخيل ما الضرر الذي قد تسببه واحدة من تلك في جسد إنسان، يعلم يقينا أن معظم تلك الطلقات ستسلب أرواحا، يضعها داخل جيب له ويعود إلى الشاطيء كي يكمل تلك المهمة التي يكره الاشتراك بها لكنه مجبر، جلس على كرسي في انتظار أن تنتهي الكمية الكبيرة التي تحملها السفن في عرض البحر، وفي انتظار نقل السلاح والذخيرة إلى أحد رجال البدو المتعاونين مع (فادي) ذلك الماكر السفاح حليف الشيطان.

***

داخل مكتب التحقيقات يجلس (فادي هارون) ومن أمامه النقيب (مروان) ينظر له في حده وعلى الطرف الأخر من المكتب يجلس الرائد (عمرو) في مشهد تكرر قبل ذلك في مقتل زوجته (مريم) ولكنه اليوم مختلف فهو يخضع للتحيق في مقتل (إيناس) بعد أن وجدوا رقمه هو آخر رقم اتصل بها وقبل مقتلها بدقائق.



المظهر الأنيق المعتاد من (فادي) وطريقة كلامه الهادئة هي ما تميزه وتشعل رأس وصدر (مروان) الذي بدأ حديثه قائلا....

- إنت إيه علاقتك بإيناس يا فادي؟ وتفسر بإيه اتصالك بيها في آخر دقايق قبل موتها؟

ابتسم فادي وهو ينظر إلى مروان بوجه وسيم شيطاني....

- معجب، وأكيد حضراتكم عارفين إن رجال الأعمال والوسط الفني هو شريحة اجتماعية واحدة، بنكون صداقات كتير منهم وبحضر حفلات معاهم وساعات بننتج لهم، وهو ده سبب اتصالي بيها في اليوم اللي اتقتلت فيه، أنا بفتح شركة إنتاج وكنت حابب إنها تشتغل معايا في أول فيلم هننتجه، أعتقد إن ده حق مشروع ليا واستثمار فني.

قال عمرو ....

- مفهوم، بس مش غريبة أوي إنك تقعد هنا للمرة التانية وفي جريمتين قتل ؟

اعتدل فادي وقال بجدية...

- عمرو باشا، أنا عارف كويس أوي اللي بتحاولوا توصلوله وعارف إن التحقيق ده روتيني ولو كان في دليل واحد يديني كنت هبقى هنا بس متكلبش ومكنتش أنا اللي هاجي بنفسي.

انفعل عمرو وقال....

- يمكن مفيش دليل دلوقتي بس أوعدك إن هيكون فيه، لو فاكر إنك هتفلت من الجرايم دي تبقى غلطان، مراتك كانت معاها ملفات أدانتك و إيناس كان معاها دليل تورطك وكلها مسألة وقت.

اختفت بسمة فادي ونظر إلى مروان بحدة ثم حول نظرة إلى عمرو وقال...



- أقـدر أسـاعد حضرتـك في حاجـة تانيـة ولا أروح أشـوف شـغلي الـلي انتـوا معطلينــه.

حاول (مروان) أن يعتدي على (فادي) لكن أبعده (عمرو) وقال....

- اتفضـل، تقـدر تمـشي وأوعـدك إن القضيـة لسـه منتهتـش وأخرتهـا هتكـون في صالحنـا، مـع السـلامة.

وقف (فادي) وعدل من ملابسه ثم نظر إلى (مروان) وقال...

- أتمنـى ليكـم النجـاح، انتـوا بتتعبـوا جـدا، بيبقـى عندكـم عائـلات ممكـن لاقـدر اللـه تموتـوا وتسـيبوهم زي والـدك كـده يـا سـيادة النقيـب.

تمالك (مروان) نفسه وانتظر خروج (فادي) من المكتب وقال ل(عمرو)....

- ابن الكلب ده بيتحداني، والله لتكون نهايته قريبه.

قال عمرو بثقة...

- وأقـرب مـا تتخيـل بـس اهـدى، الموضـوع بقـى فى آخـره يـا مـروان بـس أنـت خـلي بالـك مـن نفسـك، الراجـل ده شـيطان.

***

داخـل منـزل (رشـاد) المصـاب بعـدة جـروح عـلى وجهـه و سـائر جسـده، ينظـر إلى انعـكاس وجهـه في المـرآة ثـم يتجـه إلى صنـدوق صغـير يفتحـه ليظهـر بداخلـه عـدة هواتـف محمولـة، يمسـك بواحـد ويقـرأ ورقـة مكتوبـة عـلى ظهـره ثـم يكتـب رقـم النجـدة ويتصـل يجيـب أحدهـم ليقـول....

- أنـا عنـدي معلومـات خطـيرة جـدا، عـن شـحنة سـلاح كبـيرة داخلـة مـصر وبيتـم تسـليمها دلوقتـي عـلى حـدود ليبيـا.

يستمع جيدا إلى ما يقال ثم يجيب...

- آه، أنا أسمي أحمد علي عبد الحليم.



يستمع بحرص إلى ما يقال ثم يجيب...

- مظبوط، التسليم بيتم في الوقت ده، ممكن تتأكد بنفسك يا فندم، على حدود ليبيا مع البحر.

استمع جيدا إلى ما يقال ثم أجاب...

- حضرتك معاك كل بياناتي لو كان في بلاغ كاذب انتوا عارفين فين مكاني، كمان في حاجة مهمة تانية، أنا عارف مكان لقاتل هربان من حكم بالإعدام اسمه (أمير فادي هارون).

انتظر لحظات حتى قال...

- أنا كنت شغال مع الناس دي يا فندم و قررت إني أكشفهم، العنوان .....

انتهى (رشاد) من المكالمة وأغلق الهاتف الذي استخدمه ووضعه داخل الصندوق الصغير ثم وقف وعاد ينظر إلى نفسه في المرآة وهو يبكي.

***

داخل مكتبه بالشركة يجلس (فادي) وعلى وجهه الغضب مما قاله النقيب (مروان) ويبدو أنه أصبح تحت المجهر لجهاز المباحث بالكامل، إنه الآن في أصعب الظروف، شحنة سلاح يتم استلامها الآن موضوعا بها كامل ثروته و ابنه الهارب من حبل المشنقة يفكر به في كل لحظة وما زاد الأمور سوءا عندما رأى (جيهان) أرملة الطبيب النفسي (مجدي) تقترب من باب الشركة ويحاول الجميع منعها من الدخول لكنها تصمم على الدخول.

يفتح باب مكتبه ويهبط إلى الباب الرئيسي للشركة ليجدها تقف تنظر له في حدة، يسمح لها بالدخول ثم يقودها إلى المصعد حيث الدور الذي لا يدخله أحد، يصل المصعد إلى الدور المنشود ثم يفتح بابه ليقودها إلى غرفة تعلمها هي جيدا عندما كانت تأتي اليه هنا كي ينفرد بها دون أن يعلم زوجها العقيم بذلك السر.



دلفت إلى الدخل وتبعها هو ثم أغلق خلفه وقال...

- إنتى إيه اللي جابك هنا، إنتي اتجننتي يا جيهان؟

انفعلت جيهان وقالت...

- ما أنا بتصل بيك مبتردش عليا، أعمل إيه ؟ أنا مردتش أعترف عليك لما الشرطة جت تحقق معايا، عملت حساب إنك هتبقى أبو ابنى اللي في بطني.

نظر لها فادي في تعجب وغضب ثم قال...

- ابني إيه اللي في بطنك ؟ انتي جايه تلبسيني تهمة؟

انفجرت في وجهه وقالت...

- البسك تهمة إيه ؟ المكتب ده يشهد، إنت عايز تبيعني بقى وترميني بعد ما كان جوزي شك، إنت قتلته لما واجهك في آخر جلسة ليك وهددك، إوعى تكون فاكرني عبيطة انا معايا التسجيل صوت وصورة من كاميرة العياده، أنا هخرج من هنا على النيابة وأقولهم على كل حاجة.

ابتسم فادي وقال...

- إهدى بس يا حبيبتي، أنا بس مضغوط شويه، استني عليا يومين وأنا هتجوزك بس في السر لحد ما الدنيا تهدى ،اتفقنا؟

انفعلت جيهان وقالت...

- دلوقتي، تتجوزني دلوقتي، يا إما النيابة.

اتسعت بسمة (فادي) واتجه إلى خزانة ما أخرج منها سلاحا ناريا بكاتم صوت دون أن تلحظ وهي مازالت تتحدث وتهدده، التفت إليها في هدوء ثم أطلق رصاصة على بطنها وأخرى في منتصف رأسها لتسقط ارضا وتسيل دمائها، أخذ نفسا عميقا ليهديء من روعه ثم بصق عليها، أخرج هاتفه وبحث عن رقم (رشاد) واتصل به ثم قال...



- رشـاد تعـالى الشركـة حـالا، في جثـه عـاوزك تدفنهـا في أي داهيـة مـن غـير مـا حـد يعـرف.

***

داخـل شـقة مظلمـة شـاب يمسـك بهاتفـه الجـوال ويتصـل برقـم يحمـل اسـم (فـادي هـارون) ينتظـر إجابتـه ثـم يقـول....

- فادي باشا، أنا كنت عاوز أقولك على حاجة.

جاء صوت فادي صاخبا...

- أنا مش فاضي دلوقتي، كلمني بعدين.

أصر الشاب وقال...

- الموضوع مهم يا فادي باشا.

قال فادي ...

- اخلص عاوز كام؟

قال الشاب غير واضح الملامح....

- أنا عايز أبطل، أنا تعبت.

نهره فادي بقوة....

- تبطـل إيـه يـلا، هـو احنـا بنلعـب ؟ انـت ملـكى زيـك زي الاتنـين اللي اشـتريتهم بفلـوسي مـن نفـس المكان.

ارتفع صوت الشاب لأول مرة...

- أنـا مـش هكمـل، أنـا مـش ملـكك بعـد النهـاردة، وأظـن إنـت عـارف إني أقـدر أحمـي نفـسي كويـس.

جاء صوت فادي .....



- واضح إنك نسيت نفسك، أنا ممكن أفرمك.

أنهى الشاب المكالمة وارتفع صوت صرخاته التي تدل على الغضب المتشعب داخل أوتار قلبه وعروق سائر جسده.

***

شتاء 2017.....

شاب يقترب فوق دراجة نارية من كمين أمني يحيط بأحد الأحياء الخاصة بضباط الشرطة، يوقفه أحد العساكر ويفتشه ذاتيا ثم ينظر إلى الصندوق الموجود خلفه ليجد بداخله طعام ويبدو أن أحدا ما بالداخل طلب طعاما جاهزا من أحد المطاعم الشهيرة، سمح له بالمرور فتوجه مباشرة إلى ذلك العنوان الذي أخبر به العسكري بالخارج وهو بيت أمه المقصود.

وقف أسفل العقار جميل المظهر وصعد إلى الشقة رقم 29 كعدد سنين عمره، وقف أمام الباب وشعر أن قلبه أوشك على التوقف، رن الجرس وانتظر، جعل رأسه منحنية إلى آسف حتى لا يرى من يفتح تفاصيل وجهه، سمع صوت خطوات قادمة من الداخل يقترب من الباب متناغما مع دقات قلبه وخفقاته، فتح له الباب ورفع رأسه لتتلاقى العينان، توقف الزمن عندما نظر إلى وجه أمه التي عرفها من الوهلة الأولى و التي تعرفت هي عليه من ملامح وجهه، سقطت دمعة من عيناها و كادت أن تسقط أرضا فلحق بها وأمسكها من يدها ثم أغلق الباب وأجلسها على مقعد بالقرب من باب الشقة ثم وقف على بعد خطوات يتأملها بخوف، مدت إليه يدها فلان قلبه وأمسك بها، شعر كما لو أنه ولد من جديد طاهرا من كل الأخطاء وشعرت أنها وجدت تلك القطعة التي انتزعت منها منذ سنين طوال، قالت له غير مصدقة....

- إنت هو ؟ صح ؟ قول إنه صح يا ابني؟



بـكى وهـو يومـيء برأسـه فأحتضنتـه وهـي تصـدر أنينـا عظيـما ودموعـا غزيـرة وقالت...

- سامحني يا ابني، سامحني يا حبيبي، سامحني يا رب.

هـدأت دموعهـما ودقـات قلبهـما، أخـذت تنظـر إليـه وإلى وسـامته وملامـح وجهـه التـي تشـبه ملامحهـا تمامـا، إنـه هـو ولا شـك، قلبهـا يعلـم قبـل عينهـا وعقلهـا، تفقـدت جسـده، صـدره، كتفـه، وجهـه بيدهـا، أمسـكت بيـده وتحسسـت كفـه، لم ينطـق بـشيء ولم يـرد النطـق، أراد فقـط أن تنتهـي الحيـاة الآن في تلـك اللحظـة.

شعر أن بداخله شعله لم تنطفيء بعد فقال...

- ليه ؟

رفعت عينها وكانت تعلم أنه سيسأل وقالت....

- غصب عني يا ابني، في حاجات كتير بتبقى غصب في الدنيا دي يا ابني.

قال....

- وأنا ذنبي إيه ؟

فقالت....

- نصيبك يا ابني وكان لازم يصيبك.

قال...

- بس أنا مش راضي بيه، أنا مكنش ليا اختيار أتحاسب عليه.

قالت...

- النصيب مش بالاختيار، ده مكتوب.

قال....

- وأنا رافض اللي اتكتبلي، هتحاسب إزاي على ذنوب عملتها غصب عني.

قالت...



- هتتحاسب على أخطائك.

انفعل وقال....

- وأنا مكنش عندي اختيار، كل حياتي كانت غلط في غلط، ابتدت بغلطة منك ومش عارف هنتهتي بإيه.

بكت بشدة و قالت....

- يا ابني متعذبنيش، كفاية اللي شوفته في حياتي، المهم إنك هنا معايا وهتفضل هنا.

بكى وقال...

- مبقاش ينفع يا أمي، أنا بقيت مسخ، أنا بقيت أسوأ كتير من تخيلك، أنا قاتل.

أحست إنها تحتضر وقالت...

- باب التوبة مفتوح .

ارتفع صوته وقال....

- وهو كان فين لما حكم عليا إني أتولد وأعيش في كهف الشيطان وبيطلب مني التوبة دلوقتي ؟ هو كان فين لما كل الناس داست عليا ؟ أنا مش محتاج توبته، أنا محتاج أجوبة.

في وسط بكاء أمه وانفعاله وقعت عينه على صورة للنقيب (مروان) فقال وهو يشير إلى الصورة...

- مين ده ؟ مين ده ؟

ارتعد جسدها من صوته ونظرت إلى ما يشير ثم اقتربت منه وقالت...

- ده أخوك يا ابني، ده مروان، ظابط .



نظـر إلى أعـلى وأحـس إن القـدر يضعـه في نفـس الطريـق الـذي وضـع بـه قبـل سـنوات وقـال...

- أخويا !!

لمحت في عينه نظرة غضب وأحست بخوف شديد فقالت...

- إنت تعرفه ؟ صح؟

قال بيأس...

- آه، بس مش فاهم ليه؟

قالت بخوف...

- ليه إيه يا إبني ؟ فهمني .

قال...

- ليه هو يبقى أخويا من بين آلاف الظباط ويكون هو اللي ...اللي.

ابتلعت ريقها في خوف وقالت....

- بـص يـا ابنـي أنـا مـش عايـزة أعـرف إيـه الـلي إنـت مخبيـه بـس كل الـلي طالبـاه منـك إنـك متأذيـش أخـوك الوحيـد، ده أخـوك يـا ابنـي، عشـان خاطـري احميـه.

نظر لها بجفاء فوجد خوفها داخل عينيها ، رق قلبه وقال...

- أوعدك إني هحميه.

احتضنته للحظـات قبـل أن ينتـزع جسـده مـن أحضانهـا واتجـه إلى البـاب نظـر إليهـا ثـم غـادر وتركهـا جالسـة أرضـا تنظـر إلى البـاب وهـي تبـكي .

***





الفصل التاسع عشر

«الآن، والآن فقط سقطت الأقنعه وظهرت الأوجه على حقيقتها، لك مطلق الحرية أن تحب وتمقت، بيدك القيود و الضمادات، كبل من شئت وداوي من تريد، أن نتعاطف مع ذاك وأن تتهم هذا هو أمر طبيعي وقد سرد لك بين سطور قليلة، تلك هي الحياة وما يحدث بها أكثر ألما وأكثر ظلمة وأكثر صخبا، تلك هي الحقيقة».



بعد مرور أسبوع....

داخل منزل (يسرا) التي تجلس بجانب (أيسر) وهم في غاية السعادة ويجلس بالقرب منهم مأذون يعقد قرانهما وتظهر الابتسامة جلية على وجه رئيسهما (شادي العمروسي) وزملائهما، انتهى عقد القران وبدأ الجميع بالتراقص على نغمات مبهجة وقد ظل ينظر الاثنان إلى بعضهما البعض في حب وود حتى بعد انتهاء اليوم ورحيل الجميع ظل (أيسر) ينظر إلى (يسرا) وكان الكون كله تجمع داخل عينيها، شعرت أنها تمتلك كل ما تريده أن السعادة خلقت من أجلها، تمنت أن تظل معه تسانده طوال عمرهما حتى يشيخا سويًا، تمنت الكثير والقدر يمنح القليل.

***

داخل الصحراء يجلس (كمال) داخل خيمة أحد البدو الذين يعملون تحت إمرة (فادي هارون) يجلس وهو يشعر بأن هناك شيء ما خاطيء، ينظر إلى الرجال المحيطين به ويقول...

- احنا قدامنا كتير عقبال التجار ما يجيوا؟

يرد عليه أحد الرجال...

- فادي بيه قال إنهم هيكونوا هنا على الفجر ودلوقتي الساعة لسه 2، اصبر والصبح كله هيبقى تمام، متقلقش إنت مهمتك انتهت بعد ما عديتنا من الكمين ومفتش التريلات، فادي بيه عارف يعمل إيه صحيح.



قال كمال...

- إنت هتقولي ؟ ده شيطان .

دوّى صوت إطلاق نار كثيفة في الخارج وهرع الجميع إلى الخارج لتدور حرب طاحنة بين قوات الشرطة التي كانت تراقب تحركاتهم منذ استلام البضائع حتى قدوم السماسرة وتجار السلاح والآن حان الوقت للقبض عليهم جميعا، يسقط من سقط في تبادل إطلاق النيران واستطاعت القوات القبض عليهم جميعا والسيطرة على الوضع وكان من بينهم (كمال) الذي عند القبض عليه قال....

- أنا مليش دعوة أنا هعترف بكل حاجة، البضاعة دي بتاعة فادي هارون والدليل معايا.

أدخله أحد الضباط إلى سيارة الشرطة وهو يقول له.....

- إبقى قول الكلام ده في النيابة.

***

شتاء 2017.....

أيسر لا يشعر بالراحة سوى هنا، ينسى أو يتناسى صوت الطلقات وأشكال أشباه البشر بعدائهم الذي لا ينتهي من دون سبب معلوم، يجلس على كرسي وثير ويترك أنفاسه تتلاحم مع صوت موسيقاه الداخلية لتنتج سيمفونية لا يسمعها أحد سواه، يعشق تلك اللحظة عندما يسود الصمت فور دخول المايسترو والانتهاء من التصفيق، تلمع عيناه الحادة وتزداد بريقا عندما يقف المايسترو ويبدأ تلويحه إلى صانعي الحياة (الفرقة الموسيقية من خلفه)، ينحني بكبرياء ويلتفت ناظرا إلى النوتة الموسيقية ثم يبدأ كل شيء في التغيير و تتحد روحه مع السكون المريح و تتعلق عينه بعصاه وكل حركاته التي تنقله إلى عالم آخر بعيد كل البعد عن عالمه القاسي.



وبعد أن ينتهي كل شيء يسترد واقعه بجرعة لا بأس بها من الأمل قد تطيل عمره ليوم إضافي، ليواجه بها قدره وحياته المريرة ذات الروتين الدموي والطابع القاسي متحجر القلب ومتصلب الفكر، إنها حفرة سحيقة مظلمة يعود إليها في كل يوم بعد أن يرتشف جرعة أمل كمسكن لكل الآلام التي يسببها هو لنفسه قبل أي أحد آخر رغما عنه، فلكل منا دوره وعليه تنفيذه راضيا أو مجبرا.

هو يعلم أن هنا في ذلك المكان ستكون النهاية، هنا في ذلك المكان أو بالقرب منه سيرحل إلى مكان أفضل، إلى مكان حيث العدل ولا وجود للمسوخ، لا وجود للمجتمع الذي يصنع كل يوما مسخا جديدا ثم يلفظه و يتهمه بالفساد والقسوة، الجاني الأكبر هو المجتمع.

الكثير من الصخب، الكثير من الغضب، الكثير من الكراهية، الكثير من الأسئلة والكثير من الظلام ثم يسود السكون تحت عدة قطرات ماء ساخنة تنساب فوق رأسه وتتسلل إلى بقية جسده بين بخار كثيف يطمس معالم كل شيء وأفكار متجمدة تبدأ بالذوبان...ثم يسود السكون من جديد داخل جفون ترتجف وعيونا تدور من أثر كابوس مميت حتى يفيق في منتصف الليل على رسالة تصله وسط عرقه المتصبب، يكره تلك اللحظة التي يجلس فيها فوق فراشه ويسترد وعيه، يمسك هاتفه ثم يفتح الرسالة ليتلقى صورة لهدف آخر وبجانبها علامة تعني أن يقتل نفسه من جديد وفي أسرع وقت، ففي تنفيذه المهام يموت معه جزءا جديدا من روحه، يتألم ويكمل بروح دامية فقدت كل شيء.

***



الفصل العشرون

«ليس هناك ما هو أهم من تلك النقطتين، النقطة التي بدأت بها والنقطة التى ستنتهى عندها، الأولى لم تكن مخير بها والثانية تصنعها بنفسك أو بمعنى أصح هى نتاج أفعالك واختياراتك، الاثنان يفرق بينهما خط مذبذب يدمج به الماضي والحاضر وينتهي مستقبلا، اعلم أن النهايات دائما ما تكون حزينة وإن كانت بيضاء».



أفاقت (يسرا) على صوت (أيسر) وهو يغلق دلفتي خزانة الملابس، يقف بكامل هندامه، استدار ونظر إليها وحاول رسم ابتسامته الساحرة لكنه فشل، أحست وخزة خفيفة في قلبها جعلتها تهرول إليه وتلقى روحها بين أحضانه، لكن دفء حضنه كان سقيعا، هناك أمر ما يقلقها، دمعت عينيها ثم نظرت له وقالت...

- مالك يا أيسر ؟ هو أنت لابس ورايح فين ؟ إنت بتروح فين وتسيبني؟

حاول رسم الابتسامة من جديد لكنه فشل للمرة الثانية وكان فشله ذريعا فبكت عيناه وأخذ يقبّلها بشغف ويحضتنها بقوة مما زادها خوفا وقلقا عليه، انتظرت حتى هدأت خفقات قلبه ودقاته التي كادت أن تحطم ضلوعه ثم قالت...

- في إية يا أيسر ؟

اتجه إلى المرآة الكبيرة والتي تتوسط الغرفة ونظر إلى انعكاسها فيها وقال...

- أنا رايح أهم مشوار في حياتي، رايح أثبت للقدر إني مستحقش كل ده، بس أنا مطمن لأنك هتكوني بخير.

اقتربت منه وظلت تنظر إلى عينيه في انعكاس المرأة وقالت بشفتين مرتعشتين ...

- أيوة يعني رايح فين ؟ أيسر ممكن تقولي بصراحة، إنت عارف إني عمرى ماسألتك عن حاجة من ساعة ما شوفتك بس أنا حاسة بخوف.



التفت إليها تلك المرة واحتضنها وهمس في أذنها وقال...

- أنا عاوزك تثقي فيا ومتخافيش، وأوعدك كل حاجة هتعرفيها خلال أيام وبعدها هتعذريني، يسرا أنا بحبك .

نظر إلى عينيها الدامعتين في المرآة وإلى وجوده بين أحضانها الآن وشعرت أن تلك الصورة لن تراها من جديد وأنها المرة الأخيرة، تشبثت به وقالت....

- وأنا كمان بحبك أوي يا أيسر.

انفصل الجسدان ولم تنفصل القلوب وظلت الروحان في جذع، عدل من ملابسه واتجه مباشرة إلى باب الشقة وفتح بابها وقبل أن يخرج نظر نظرة أخيرة إلى من أنطقت قلبه الأبكم، ابتسم لها فرأته مضيئا كما لم تراه من قبل، وقع قلبها أرضا مع صوت انغلاق الباب وشعرت بأنها ستتقيأ فهرعت إلى دورة المياه وهي تمسك ببطنها.

***

\داخل شركة (فادي) الذي يبدو عليه القلق والتوتر فقد انقطع الاتصال بينه وبين (كمال) ولم يستطيع الوصول إليه لكنه اعتاد على الصبر بالإضافة إلى هناك فرد آخر يمكنه كشف كل شيء ويبدو أنه اقترب بشدة من الحقيقة لذلك يجب أن يقتل وبنفس الطريقة حتى تكتمل الفوضى بقتل أحد ضباط التحقيق وبالأخص (مروان) الذي يمثل صخرة ضخمة توشك أن تقلا فوق رأس (فادي) وشركائه فى تجارة السلاح.

أمسك بهاتفه الجوال من فوق المكتب وأخذ يبحث عن رقم القاتل المجهول حتى وجد اسمه ظاهرا على الشاشة (أيسر)، أجرى اتصالا وانتظر الإجابة ثم قال...

- أيسر، المايسترو الأسود اللي بيعزف قدام العالم كله باستمتاع، إنت طلبت مني إنك عاوز تبطل وأنا رفضت، بس لما قعدت أفكر لقيتك خدمتني



كتير وكسبتني أضعاف اللي دفعته ليك قبل كده، أنا موافق بس ليا طلب أخير، احنا نجحنا إننا نخلق حالة من الفوضى و نبين إن الداخلية مش قادرة تهزم الإرهاب لا وده واحد بس وبسبب الحالة دي قدرنا ندخل السلاح مصر واستغلينا إن الداخلية في حالة من التشتت لأول مرة من فترة كبيرة، طلبي إنك تقتل مروان ودي هتكون الضربة القاتلة وبعد كده تقدر تبطل و أوعدك إني مش هحاول أوصلك ولا أتصل بيك، اتفقنا يا ملاك الموت؟

استمتع بحرص إلى ما يقال له والذي يبدو أن (أيسر) قد وافق على عرضه، لمعت عيناه ورسم ابتسامة شيطانية على وجهه اختفت رويدا بعد أن أنهى المكالمة ثم قال...

- أوعدك إني هبقى أزورك في قبرك لما أكون فاضي.

ظل يفكر لعدة دقائق ثم أخرج رقم (رشاد) واتصل به وانتظر الإجابة ثم قال...

- رشاد، مفيش أخبار عن كمال؟

جاء صوت رشاد قائلا...

- أنا بحاول أوصل لأي معلومة بس هو اختفى تماما بشحنة الأسلحة كلها، آخر حاجة أعرفها إنه حمل العربيات من الساحل وبعدها اختفي هو وكل الرجالة، إنت واثق فيه يا باشا؟

احمر وجه فادي وقال...

- سيبلي أنا الموضوع ده أنا عاوزك في حاجة أهم يا رشاد بس قولي الأول إنت الفلوس اللي بتاخدها مني مكفياك ولا حابب أكتر.

جاء صوت رشاد متعجبا وقال...

- ليه يا فادي باشا ؟ إنت شاكك في ولائي ليك؟



أصدر فادي ضحكة مرتفعة وقال....

- أنا لو شاكك فيك يا حمار كنت صفيتك من بدري، إنت أكتر حد بثق فيه في الفتره دي، اسمعنى كويس أنا هديك 2 مليون دولار مكافأة لو نفذت اللي هطلبه منك دلوقتي.

رد رشاد سريعا وقال...

- 2 مليون دولار ليه ؟ إنت عاوز تقتل حد من الوزرا ولا إيه يا باشا؟

قال فادي بحزم...

- لا أنا عاوزك تقتل ملاك الموت، أيسر، صاحب عمرك بس هو كمان اللي قتل حب حياتك ولا ناسي؟ إيناس ولا فاكرني مكنتش واخد بالي ؟

انفعل رشاد وقال بلهجة قاسية....

- خلينا في البيزنس، 2 مليون دولار واقتل أيسر، موافق إمتى؟

لمعت عين فادي مجددا وقال...

- النهاردة بعد ما يقتل النقيب مروان، نفذ وبلغني، سلام.

أغلق فادي الهاتف وعاد بظهره إلى الخلف وهو يزفر بقوة في اتجاه السقف ويقول...

- يا خسارة يا أيسر، يا خسارة.

***

أغلق (رشاد) المكالمة وألقى الهاتف بجانبه على الفراش وظل محدقا بصورة (إيناس) التي كان ممسكا بها حتى أثناء مكالمته مع (فادي)، ملامحه كلها توحي بعذاب فاق التصورات، عروقه بارزة مرورا من رقبته حتى زراعيه، عيناه حمراوتان حبيستان للدموع، أسنانه تصدر صوت كاتما للغيظ حد الانفجار، خانته دموعه وفرت مشتعلة إلى خده، مد يده إليها وتحسسها ونظر



إلى أصابعـه المبللـة، قبّل الصـورة بيـد مرتعشـة وقـال كأنـه يخاطـب (إينـاس)....

- يمكـن مقدرتـش أحميـكى وانتـى عايشـة ومكنتـش أقـدر أخـدك و نهـرب بعيـد عـن القـرف الـلي كنـا عايشـين فيـه، بـس أوعـدك إني هنتقـم مـن كل واحـد جرحـك وأذاك، وأولهـم أيـسر و فـادي الكلـب، أوعـدك يـا إينـاس إن دمـك مـش هـيروح هـدر.

تـرك الصـورة أعـلى الفـراش واتجـه إلى الخزانـة وفتحهـا ليجـد بداخلهـا بندقيـة قنـص (سـافاج 10) وضعهـا داخـل حقيبتهـا وأخـرج ذخـيرة (308 ونشسـتر) ووضعهـا مـع البندقيـة، سـحب مـن الخزانـة ملابـس سـوداء وضعهـا بجانـب الحقيبـة الأخـرى عـلى الفـراش وخلـع ملابسـه وظـل يرمـق جسـده في المـرآة.

***

ببدلـة العسـكرية يجلـس (مـروان) عـلى مائـدة الطعـام وينهـى فطـوره وعـلى الطـرف الآخـر منهـا تجلـس أمـه تنظـر لـه في خـوف دفـين مـن أن تفقـده، ينظـر لهـا في ود ثـم يقـف ويتجـه إليهـا وجلـس عـلى ركبتيـه و أخـذ يقبـل رأسـها ويديهـا وهـو يقـول...

- مالك يا ماما، انتي تعبانة ؟ لو تعبانة أوديكي للدكتور يلا .

أمسكت بيده و ربتت على كتفه ثم مسحت على شعره وقالت...

- لا يـا حبيبـي أنـا كويسـه، إنـت خلصـت القضيـة بتاعتـك ولا لسـه ؟ مسـكتوا القاتـل يـا ابنـي ؟

ابتسـم مـروان فتنبهـت إلى الشـبه الكبـير بينـه وبـين أخيـه (أيـسر)، ابتسـمت لـه وسـمعته يقـول...

- دعواتك يا ماما، احنا قربنا خلاص نعرف مين اللي ورا ده كله.

وقـف واتجـه إلى غطـاء رأسـه وارتـداه ثـم توجـه وانتصـف الصالـة حيـث صـورة



والـده (اللـواء) الراحـل وأدى لـه التحيـة العسـكرية كـما يفعـل في كل يـوم، ألقـى نظـرة أخـيرة إلى أمـه ثـم اتجـه إلى البـاب وقبـل أن يفتحـه وجـد أحـدا مـا يطرقـه.

فتح الباب ليجد (أيسر) يقف أمامه ينظر إليه فقال...

- إنت مين ؟ عاوز مين؟

خفق قلب أيسر وقال...

- أنا اسمى أيسر، أخوك.

تعجب مروان وقال...

- أخويا ؟ إنت بتقول إيه؟

ظهرت الأم من خلف كتف (مروان) وقالت...

- أيوه أخوك يا مروان، ادخل يا أيسر، تعالى يا مروان أنا هفهمك كل حاجة.

نظر مروان إلى أيسر فقال...

- مروان أنا هشرحلك كل حاجة مفيش وقت.

***

بعـد عـدة سـاعات اجتمـع العقيـد (ماجـد كـمال) بالرائـد (عمـرو) والنقيـب (مـروان) بنـاء عـلى طلـب مـن مـروان حيـث أنـه أراد الاجتـماع بهـم لأمـر طـارىء وبـدأ حديثـه فـور دخولهـما وقـال...

- ماجـد باشـا أنـا وردني معلومـات عـن مـكان القاتـل النهـاردة، في عمليـة جديـدة هينفذهـا النهـاردة السـاعة 10 بالليـل و لازم نلحقـه ونقبـض عليـه متلبـس، دي فرصتنـا الوحيـدة.

نظر العقيد (كمال) إلى وجه عمرو المتعجب وقال....

- إنـت عنـدك معلومـات عـن الموضـوع ده يـا عمـرو؟ لأن الـكلام ده خطـير جـدا لـو صـح.



نظر عمرو إلى مروان وقال ....

- آه يا فندم طبعا، دي فرصة متتعوضش.

أرسل (ماجد) عينه بين الضابطين وأحس أن هناك أمرا ما مريب وقال...

- العملية هتتم فين يا عمرو ؟ المكان فين؟

أجاب مروان سريعا...

- دار الأوبرا يا ماجد باشا، الضحية الجديدة هتحضر حفل في دار الأوبرا والقاتل هيكون قريب من المكان عشان يقدر ينفذ جريمة القنص، أنا عملت تحريات وعرفت إن الحفلة هتخلص الساعة 10 مساءا وده معناه إن القاتل هينفذ بعد الحفلة مش قبلها.

قال العقيد(ماجد) بكل جدية...

- طيب يلا ابدأوا الإجراءات من دلوقتي، النهاردة لازم نخلص من القضية دي، دي آخر فرصة ليكم انتوا الاتنين، لو فشلتوا هنقلكم جهاز تاني، انتوا فاهمين؟

قال الضابطان في صوت واحد...

- فاهمين يا فندم.

نظر إليهما (ماجد) وقال...

- أنا هتابع معاكم من العمليات خطوة بخطوة، ربنا معاكم يا رجالة، يلا انصراف.

وقف الضابطان وأدوا التحية العسكرية واتجهوا إلى الخارج في طريقهم إلى غلق قضية قلبت المجتمع رأسا على عقب وشككت في قوة رجال البلد الأوفياء، كذلك هو الإرهاب، إرهاب نفسي قبل أن يكون ماديا وإذا ما اغتلت قوة النفس تمكنت من كل شيء.

***



الثامنة مساء....

خزانة ملابس تفتح، يد أحدهم تمتد لتزيح قطعة خشبية تخفي ما خلفها، يضاء نور خافت داخل الخزانة ليبرز ما بها، ملابس سوداء قاتمة أشبه بوشاح ممتد حتى منتصف الجسد، حقائب سوداء مغلقة كبيرة الحجم معلقة بشكل منتظم على طول الحائط الموجود خلف الخزانة، فتح أحدهم الحقائب واحدة تلو الأخرى لتظهر الكثير من الأسلحة المتطورة الخاصة بعمليات القنص عن بعد، بطاقات شخصية كثيرة لأسماء مختلفة كلها تحمل صورة (أيسر)، كروت سوداء مدمجة بطبقة ذهبية خفيفة موضوع فوقها شعار غريب الشكل يشبه رجل ما مغطى بالسواد ممسك بسلاح ما بيده، يبدو أنها علامة ما يستخدمها صاحبها للدلالة عليه، امتدت اليد من جديد لتمسك بسلاح ناري ومعه عدة طلقات غريبة الشكل والعيار كافية في اعتقادي لتنفيذ ما يريده، أمسك بذلك الغطاء الأسود ومعه أحد تلك الكروت غريبة الشكل ثم أغلقت الإضاءة ووضع اللوح الخشبي وأغلقت الخزانة.

أيسر يتحرك ليقف أمام المرأة التي تعكس صورة واضحة له وهو يرتدي ذلك الوشاح الأسود غريب الشكل ومعه تلك الحقيبة بداخلها سلاحا معدا جيدا من أجل هدف ما وكارت لتركه بعد ما ينجز مهمته، يرمق نفسه في المرأة كعادة يفعلها في كل مرة ويبدو أن تلك هي المرة الأخيرة، سقطت دمعة من عينه ثم تحرك خطوتين للخلف ليبتلعه الظلام ويعم السكون المقلق في ساعات الليل المتربصة.

***

العاشرة مساءا ينقصها دقائق قليلة......

أعلى برج يطل على النيل شاهق الارتفاع، يقترب أيسر من السور ويضع حقيبته أرضا، يخرج بندقية القنص (سافاج 10) و يخرج طلقة من عيار



(308 ونشيستر) يذخر بها البندقية، يضع عدسة مكبرة أعلى السلاح ثم يقف متأهبا، يأخذ نفسا عميقا وينظر عبر العدسة المكبرة في اتجاه باب دار الأوبر والذي يبعد مسافة قد تتجاوز ال1000.

انتظر دقيقة أخرى لتدق ساعة يده بصوت خافت العاشرة مساءا، يتذكر كل شيء مر به وكل ما تسبب في أن يقف في ذلك المكان وفي ذلك الوقت تحديدا، تذكر كل تلك الأوجه ولم يبالي سوى بوجهين أمه تلك التي ألقته وسلبت منه كل شيء دون ذنب و حبيبته (يسرا) تلك التي التقطته و منحته كل شيء بكل تلك الذنوب، شعر بغصة أصابت قلبه، تقلصت أمعاءه وتصبب العرق فوق جبينه.

الآن الجمهور يخرج من الباب الرئيسي للأوبرا بعد انتهاء الحفلة، ينظر إليهم واحدا تلو الآخر كأنه يفتش عن أحد ما بينهم ثم يوجه نظره إلى تلك السيارة السوداء التي تقف بالقرب من هؤلاء الناس، ينتظر وهو يأخذ نفسا عميقا ويزفره في هدوء.

صوت العقيد (ماجد كمال) المتواجد بغرفة العمليات يدوي بقوة على الجهاز اللاسلكي الذي يمسكه (مروان) وبجانبه (عمرو) يبدو عليه القلق، جاء صوته يقول...

- إيه الأخبار يا بهوات ؟ الساعة عدت 10؟

يرد (مروان)....

- لسة يا فندم، كل القوات في أماكنها وفي قناصات في كل مكان، أول ما يظهر هنمسكه.

ينظر (عمرو) إلى (مروان) ويقول...

- إنت واثق فيه يا مروان ؟ أنا مش مطمن .

يبتلع مروان ريقه ويقول...



- مفيش حل تاني قدامي، ولو حصل و كان بيكدب أهو هتعرفوا مكانه وتمسكوه، ربنا يستر.

مرت دقائق وازداد إلحاح العقيد (ماجد) وطالبهم ببذل مجهود زائد قبل حدوث كارثة أخرى، نظر الضابطان إلى بعضهما البعض وخرجا مسرعين من تلك السيارة بجانب باب الأوبرا وهم يوجهون القوات عبر اللاسلكي، خطوا بعض الخطوات في اتجاه الجمهور محدود العدد وفي لحظة اخترقت طلقة صدر النقيب (مروان) وأردته قتيلا، صوت صرخات والكثير من عناصر الشرطة انتشرت وبدأ القناصون في مسح الأماكن وهرع (عمرو) إلى (مروان) الذي كان قد فارق الحياة أمام عين الجميع، صوت العقيد (ماجد) يسأل عما حدث ويجيبه أحد أفراد الشرطة أن النقيب (مروان) أصيب إصابة بالغة.

نزع (أيسر) عينه من عدسة القناصة ووضعها في حقيبتها، أحس باهتزاز هاتفه الجوال داخل بنطاله فأخرجه ليجده رقم (رشاد) أجاب بعد أن شعر باقتراب رحيله وقال....

- رشاد، أنا كنت متأكد إنك هنا وإن إيدك على الزناد من بدري، أنا جاهز، القرار ليك.

جاء صوت رشاد عبر الهاتف...

- واحنا من امتى كان القرار لينا يا أيسر، سامحني يا صاحبي.

أغمض أيسر عينه، أنهى رشاد كلمته الأخيرة وقد سقطت دموعه سهوا ثم أطلق رصاصة عيار (308 ونشستر) اخترق رأس (أيسر) وأنهى الصخب الذي كان بداخله إلى الأبد.

نقل جثمان (مروان) إلى إحدى سيارات الإسعاف وفور أن أدخلوه اعتدل وخلع سترة كانت تحوي رصاصة كبيرة الحجم، دخل (عمرو) إلى سيارة



الإسعاف كي يطمئن على صديقه فوجده سليما يتحسس موضع ألم على أحد ضلوعه وقال...

- طلع صادق في كل كلمة قالها يا عمرو، المستندات كلها اللي بتدين (فادي هارون) هنلاقيها دلوقتى في المكان اللي ضرب منه هما لقوه ولا لسه.

صمت (عمرو) قليلا وقال...

- لقوا جثته يا مروان، ولقوا معاه الملف اللي بيدين فادي هارون وشركاه .

أحس (مروان) بحزن لا يعلم مصدره، أهو حزن على أخ لم يعرفه سوى من عدة ساعات أو على أمه التي ستحزن على فقيدها، سمع صوت صفير كبير في أذنه وهو يفكر في أيسر و كيف أنه اختار أن يضحي بنفسه، ما الذنب الذي اقترفه بهذا القدر الذى يهلكه؟ ما الجرم الذي أتى به أيتها الدنيا ؟ ما الفعل الشنيع الذي تسبب به أيها المجتمع؟

***

الكثير من عناصر الشرطة يقفون فوق برج شاهق الارتفاع مجتمعين حول جثمان فاقد للحياة مغطى بغطاء أبيض صبغ بالدماء وبجانبه بندقية قنص وعدة أعيرة نارية وكارت أسود غريب الشكل، الكثير من الأصوات المتداخلة عبر أجهزة اللاسلكي تتناقل أخبارا حول مقتل (القاتل المجهول) وغلق القضية إلى الأبد.

***



الفصل الأخير.....

قدر كل شيء منذ البداية....

العدل ليس ها هنا على تلك الأرض....

النهاية ليست سوى بداية جديدة....

العمل السيء كالظل لا يفارق من اقترفه أبدا سوى في الظلام أي في عمل أشد منه سوءا....

اختبار لا يعنى النجاح والفشل بل يعنى الاجتياز دون الرجوع لآداة «كيف»....

الجزاء من جنس العمل....

بعضنا لم يخلق ليحصل على نصيبه من الدنيا بل ليكمل نصيب آخرون....

«كل تلك الجمل الماضية لم تكن سوى اختصار لنهاية أحداث تلك الرواية ولكل منا روايته الخاصة ونهايته التي تشبهه للغاية».



سيارت الشرطة تصدر صوتا مزعجا ومربكا للجميع وهناك الكثير من عناصر الشرطة تحاصر منزلا بأحد الأحياء القديمة وبدأ أحد الضباط بالتحدث عبر مكبر الصوت قائلا....

- سلم نفسك يا أمير، احنا عارفين إنك جوه، المكان كله محاصر ومفيش مجال للهرب، قدامك مهلة 10 دقائق تسلم نفسك فيهم قبل الاقتحام.

يتحرك «أمير» بذعر داخل أحد الشقق الموجودة بذلك العقار المحاصر من كل اتجاه، تظهر عليه علامات الإرهاق والخوف، تلك الهالات السوداء المحيطة بعينيه تشير إلى إخفاق عقله الآن في وزن الأمور ووضعها في نصابها الصحيح، نفذت من لديه البودرة البيضاء، يهرول في اتجاه غرفة النوم ويعود بسلاح ناري، يعده للتصويب ثم يقترب من أحد الشبابيك وينظر من خلف ستارة ما ليجد أن القوة كبيرة بالفعل وأن عليه أن يهرب الآن ولكن كيف، كيف وأنهم علموا بمكانه للمرة الثانية وأصبح الآن بدون حماية من أبيه أو من رشاد، عليه أن يتصرف بنفسه وللمرة الأولى في حياته عليه أن يتحمل نتيجة أفعاله.

فتح أحد الشبابيك وبدأ في إطلاق النيران عشوائيا ويبدأ الجيران بالصراخ وجاء الرد سريعا بعد قول قائد تلك الحملة (اقتحام، اقتحام) ليتحول إليه كمية كبيرة من الطلقات كادت أن تصيبه ويتجه فريق من التدخل إلى العقار مسرعين في طريقهم إلى اقتحام تلك الشقة الموجود بها.

بعد عدة أشرطة نارية نفذت ذخيرة وأصبح لدية طلقة أو اثنتين، سمع صوت أقدام تقترب من الباب فتحرك ووقف بالقرب منه في خوف واضطراب،



هـو لا يشـعر بخطـورة الأمـر حتـى تلـك اللحظـات، لا يشـعر سـوى بـأن هنـاك شيء مـا خاطـيء، يظـن حتـى تلـك اللحظـات أن أبيـه سـيخرجه مـن ذلـك المـأزق مثلـما يفعـل دائمـا، وإن لم يكـن أبيـه، سـيأتي إليـه رشـاد في الحـال وينتزعـه مـن هنـا ويصلـح الأمـور، البـاب يطـرق بشـدة وبـدأ يقتلـع مـن جوانبـه، عقلـه يرفـض كل مـا يحـدث، يتذكـر نشـوة الهيرويـن ولـذة الالتحـام بجسـد أنثـوى فاتـن، يسـيل لعابـه ويحـك أنفـه، يصـدر ضحكـة لا معنـى لهـا، يخلـع البـاب ويقـع بالقـرب منـه مصـدر دوي وأثـر للـتراب يصعـب معـه الرؤيـة، يطلـق النـيران لتصيـب أحـد أفـراد الاقتحـام ويقـع أرضـا متأثـرا بإصابتـه، يفتـح فريـق الاقتحـام النـيران عـلى جسـد (أمـير) المنتصـف في خنـوع، يتلقـى العـشرات مـن الطلقـات التـي اخترقـت جسـده وجعلـت منـه خرقـة باليـة، الدمـاء تسـيل مـن فمـه ومـن سـائر أنحـاء جسـده، يتذكـر وجـه أمـه التـي تركتـه بريئـا تشـيح بوجههـا بعيـدا عنـه، تنسـاب دموعـه ولا يقـوى عـلى النطـق، يقـع أرضـا محدثـا حشرجـة المـوت غـير مصـدق لمـا آلـت إليـه الأمـور، الضـوء يبتعـد عـن عينـه ببطـء وقلبـه يخفـت تدريجيـا حتـى يتوقـف ويعلـن عـن رحيلـه.

***

عـلى إحـدى الطـرق السريعـة التـي تـؤدي إلى إحـدى المـدن الإيطاليـة يقـود (رشـاد) بسرعـة كبـيرة سـيارة حديثـة الطـراز وهـو يسـتمع إلى ألحـان غربيـة ويـردد معهـا في نشـوة، يتذكـر وجـه (إينـاس) وبسـمتها لـه منـذ الصغـر حتـى عندمـا كانـت تقابلـه في مكتـب (فـادي)، يتذكـر كـم كان يريـد أن يبـوح لهـا بشـعور لم يعلـم لـه معنـى، كأنـه محـرم عـلى مـن هـم مثلـه ومثلهـا ومثـل أيـسر، يتذكـر ليلـة مقتلهـا، يتذكـر وجـه رفيقـه الوحيـد (أيـسر) يتذكـر كـم كانـوا يحمـون بعضهـم البعـض بـين الذئـاب الضاريـة، كـم كانـوا يجيـدون تطبيـق قانـون الغابـة، علمـوا أن البقـاء للأقـوى ونفـذوا نظريـة النجـاة كـما يجـب أن تكـون، واحـد فقـط اسـتغل ثلاثتهـم وجعلهـم يقتلـون بعضهـم البعـض، (إينـاس) باعـت جسـدها ولم تقـوى عـلى



العصيان، (أيسر) قتل (إيناس) ولم يكن له مفر سوى تنفيذ ما يطلب منه على أمل النجاة والخلاص، هو قتل (أيسر) لنفس السبب النجاة والقصاص من أجل حب حياته ثم ترك (فادي) وحيدا ليلاقي مصيرا أسودا قصاصا لهما، كل تلك الأفكار كانت تدور داخل رأسه وهو يدنو من قصر جميل الشكل، أبيض اللون الزاهي.

وقف أمام بوابتة الحديدية وخضع للتفتيش من رجال الحراسة ثم دلف الداخل بعد أن سمحوا له بأوامر من (فرانشيسكو) الأخ الأكبر ل(ألبرتو)، توقف بالسيارة أمام باب القصر من الداخل، ترجّل عنها وقادهم أحد الحرس إلى الداخل حيث يجلس (فرانشيسكو) على كرسي ضخم الشكل ممسكا بصورة أخيه بغضب وحزن ثم ابتسم عندما رأى (رشاد) وأشار له أن يقترب وقال بلهجة عربية ضعيفة....

- قرب مني يا رشاد، اشرب معايا، اللي جاب حق ألبرتو يبقى دراعي اليمين.

ابتسم (رشاد) وهو يمسك بكأس و يتجرعه مرة واحدة وينظر إلى عين (فرانشيسكو) الذي بدا له نظرة المقدر لفعلته ثم قال....

- رشاد، عندنا شغل كتير أوي وخصوصا في مصر، جاهز؟

لمعت عين رشاد بعد أن احتدت ملامحه وقال....

- جاهز، فرانشيسكو، جاهز.

لقد نجح (رشاد) في أكثر شيء يبرع به « أن يستطيع النجاة تحت أي ظرف كان».

***



داخـل شركتـه الضخمـة يجلـس (فـادي هـارون) وبيـده سـيجار كـوبي فاخـر، يسـحب منـه أنفاسـا عديـدة ومتتاليـة في عصبيـة بدايـة عـلى ملامـح وجهـه والـذي لأول مـرة يبـدو أكـبر سـنا، يشـاهد قنـاة فضائيـة تعـرض خـبر القبـض عـلى أحـد أعضـاء مجلـس الشـعب بشـحنة كبـيرة مـن الأسـلحة المتطـورة والتـي لم يشـهد وجودهـا في مـصر أو إفريقيـا قبـل ذلـك بالإضافـة إلى كميـة كبـيرة مـن الذخـيرة، تتحـدث المذيعـة أن هنـاك أخبـارا تؤكـد تـورط أحـد رجـال الأعـمال المعروفـين والـذي يتسـن القبـض عليـه خـلال السـاعات القليلـة القادمـة.

ارتعشـت يـده مـن هـول الخـبر وعلـم أنـه المقصـود وأن كـمال هـو الـذي تـم الإمسـاك بـه . أخـرج هاتفـه الجـوال سريعـا وحـاول الاتصـال عـدة مـرات برشـاد فلـم يجبـه ، تضاعـف قلقـه مـن فقـدان زراعـه الأيمـن والأقـوى في كل شيء، ينفعـل ويقـول....

- إنت فين يا رشاد؟

يتذكـر ابنـه (أمـير) لكـن عليـه الهـرب الآن قبـل القبـض عليـه، وعـلى أمـير هـو الآخـر الهـرب كي لا يتـم القبـض عليـه، يختـل ميـزان أفـكاره ويفشـل عقلـه عـن إيجـاد الحلـول، قلبـه منقبـض بشـدة، يخـرج الهاتـف في ذلـك المنـزل الـذي يختبـيء بـه (أمـير) يتصـل لعـدة مـرات مـن دون إجابـة وفي المـرة الأخـيرة أحـس بمكـروه أصابـه، اتصـل بأحـد رجالـه المتواجديـن بالقـرب مـن ذلـك المنـزل لخدمـة (أمـير) وحراسـته فأجابـه، سـأله عـن ابنـه وأنـه لا يجيـب فقـال لـه ....

- فـادي باشـا، البوليـس هجـم عـلى البيـت، أمـير حـاول يهـرب ومعرفـش، ضرب نـار عليهـم وصفـوه، أمـير اتقتـل يـا باشـا، رشـاد خاننـا وبلـغ عـن مكانـه وعـن صفقـة السـلاح.

بعـد سـماعه لتلـك الجملـة الأخـيرة وقـع الهاتـف مـن يـده وتحطـم إلى قطـع صغـيرة، لم تقـوى قدمـه عـلى حملـه، تصبـب عرقـا وأحـس باختنـاق فقـام بفـك



ربطة عنقه، تجمد وجهه على منظر وحيد يوحي بعدم الاستيعاب، وقعت عينه على شاشة الحاسوب الموضوع على مكتبه الفخم والتي تعرض ما ترصده كاميرات المراقبه على طول المبنى وفي كل أروقته ليجد أن قوات الشرطة قد اقتحمت الشركة وفي طريقها إليه، بيد مرتعشه أخرج سلاحا ناري من درج مكتبه ثم سحب أجزاءه، أمسك بالسيجار الكوبي وهو يتحسس شفتاه بلسانه شغفا وندما، سحب نفسا عميقا من السيجار وظل ممسكا به، أخرج الدخان إلى أعلى ونظر له في تعجب كأنه أول مرة ينظر إلى شيء مماثل، وضع فوهة السلاح الناري على جبينه، نظر إلى الشاشة فوجد أن قوات الشرطة يتقدمهم الرائد (عمرو) والنقيب (مروان) أصبحوا على باب مكتبه، شعر بالحسرة وألقى نظرة أخيرة على صورة موضوعة على مكتبه بالقرب منه تجمعه هو وزوجته وابنه، سقطت دموعه وقبل أن تلمس الأرض ضغط على الزناد وانطلقت رصاصة اخترقت رأسه لترديه قتيلا.

اقتحم الضابطان المكتب على صوت الطلقة ليجدوا أن الشيطان فضل أن ينهي حياته بنفسه، لقد وضع الملك في خانة الموت وفضل الانتحار، ليتهم جميعا يفعلوا ذلك.

***

عيناها تبكى فرحا وحزنا وهي تمسك باختبار الحمل الذي يشير إيجابا بشرطتيه الحمراوتين إلى أن هناك حملا، (يسرا) أصبحت حاملا لطفل داخل أحشائها من (أيسر)، وضعت يدها على بطنها تتحس موضع الجنين الذي بدأ في التكون، تذكرت وجه حبيبها التي لا تحتمل الانتظار حتى تخبره أنه سيصبح أبا، تمنت أن يأخذ الطفل وسامته.

طرق الباب فأخرجها من تخبط مشاعرها، إنه (أيسر) تمنت نفسها أن يكون هو، هرولت إلى الباب وفتحته لتجده عاملا ما من إحدى شركات الشحن



وبيده طرد قادما خصيصا لها، تعجبت عندما علمت أن المرسل (أيسر)، وقعت واستلمت الصندوق الصغير أغلقت الباب في عجاله وجلست أرضا تحاول فض ما به كي تتفحصه.

وجدت عدة ملفات وجواب داخل مظروف، تركت الملفات أرضا وفتحت المظروف وبدأت تقرأ الجواب الذي كان مرسلا من أيسر لتجد مكتوبا به بخطه التي تعرفه جيدا....

- بحبك، الكلمة دى محستهاش إلا وأنا بشوفك لآخر مرة، أنا يمكن مكونش الشخص اللي إنتي تعرفيه بس إنتي الوحيدة اللي كان لازم أصارحك بحقيقتي، في الوقت اللي بتقرأي فيه الجواب هكون أنا بره الدنيا، هكون ميت، أنا القاتل يا يسرا، أنا اللي نفذت كل الجرايم، أنا القاتل المجهول، أنا عارف إن الكلام اللي بقوله ده مستحيل يتصدق بس دي الحقيقة صدقيني، أنا مخترتش حاجة خالص في حياتي غيرك، تصدقي إن الدنيا كانت رفضاني من قبل ما أتولد، متستغربيش من كلامي، أنا واحد القدر حكم عليه بالإعدام وهو بيتكون في بطن أمه، الطرد اللي هيوصلك جواه ملفات كتير، كل ملف بيشرح تفاصيل الضحايا وعلاقتهم بفادي هارون وليه اتقتلوا، كمان هتلاقي ملف خاص بيا وفيه كل تفاصيل حياتي من يوم ما اتولدت، وفي ملفات تانية بتدين رجال أعمال كتير ليهم علاقة بالتجارة في السلاح وبالأدلة، اقرأي الملفات كويس وحققي حلمك إنك تكوني أهم صحفية في تاريخ مصر، يمكن القدر حاول يعوضني قبل موتي عشان كده قابلتك وحبيتك، لما تقرأي الملف الخاص بيا هيكون في إيدك القرار إما تنشريه أو تحتفظي بيه، أنا بشكرك إنك عيشتيني أفضل إحساس حسيته، في الدولاب هتلاقي شنطة سودة فيها 10 مليون دولار، دي كل ثروتي وبما إنك مراتي ووريثتي الوحيدة فده حقك، ابدأي بيهم من جديد، القرار ليكي، سامحيني، بحبك يا يسرا، أنا آسف إني مش هقدر أشوفك من تاني».



أنهت (يسرا) قراءة ذلك الجوال و انهمرت دموعها بغزارة غير مصدقة لما قرأته، أصدرت أنينا و جلست أرضا تبكي بشدة تحاول استيعاب الأمر، بعد عدة دقائق بدأت تستعيد إدراكها، أمسكت الملفات وبدأت في قراءتهم واحدا تلو الآخر حتى انتهت، صدمت من هول ما علمته وعن تلك الأسماء المذكورة داخل تلك الملفات، تذكرت أمر الحقيبة السوداء، هرعت إلى غرفة النوم وفتحت خزانة الملابس وبحثت بداخلها لتجد تلك الحقيبة السوداء، فتحتها لتجد مبلغا كبيرا من عملة الدولار، جلست فوق فراشها واضعة يدا على فمها وهي دامعة العينين والآخرى على بطنها، أخرجت صورة ل(أيسر) ثم قبلتها وقالت....

- مسمحاك يا حبيبي وأوعدك إني هعوضك في ابنك.

***

نشرت صحيفة (الحدث الأول) خبرا أخيرا عن غلق القضية المعروفة ب(القاتل المجهول) والذي أكدت الشرطة أنها تمكنت من حل القضية وأن القاتل قد لقى مصرعه في قبل القبض عليه وقد تفحمت جثته داخل السيارة أثناء المطاردة مما جعل التعرف على هويته شبه مستحيله وقد تمكنت أيضا الشرطة بعد أن جاءها عدة ملفات من أحد مصادرها أن تلقى القبض على عدة رجال أعمال وأعضاء مجلس شعب وبعض الأحزاب لتورطهم في تجارة السلاح وأكدت أن قضية (القاتل المجهول) ذات صلة وطيدة بتجارة السلاح وأنه تم كشف كل شيء بعد وقوع القاتل و وصول تلك الملفات.

على منصة تكريمية أعدت لتكريم الضابطين (عمرو) و (مروان) يقف العقيد (ماجد كمال) وتلك البسمة المحببة على محياه يستقبل الضابطين وقد تم ترقيتهم ليصبح (عمرو) برتبة مقدم و (مروان) برتبة (رائد).

سلما على قائدهما بشكل رسمي للغاية مغلفا بود ونجاح، لقد تمكن



هذان الضابطان من حل أكثر القضايا تعقيدا و من أندر الجرائم المتسلسة حدوثا، لقد حققوا المعادلة الصعبة وأوفوا بقسمهم، أصبحوا حديث المجتمع والداخلية وضرب بهم أمثلة العزيمة والإصرار ولم يكن نجاحهم آخر الإنجازات فمثل تلك النجاحات تحدث كل يوم وبالتأكيد هناك إخفاقات.

***

مروان يصل إلى المنزل في حزن وأسى بالرغم من أنه تم تكريمه، دخل إلى غرفة أمه ليجدها تجلس داخل الشرفة تنظر إلى السماء في رجاء، يقترب منها ببطء لتشعر بوجوده، تنظر له لتجده متجهم الوجه، يخفق قلبها وتبدأ الدموع في التساقط من عينيها، يجلس (مروان) ويقبل يدها وهو يبكي، توقن أن (أيسر) قد مات، تأخذ أنفاسها في ضعف وتبكي وهي تقول...

- أخوك مات يا مروان، أيسر مات، آه يا حبيبي، الدنيا ظلمتك وموتتك يا ابني ،مشفتش يوم حلو، يا ريتني مت قبل ما أرميك وأسيبك، أنا ظلمتك وقتلتك بإيدى يا ابني.

يقف مروان وهو يبكي ويضم أمه إلى صدره ويقول وهو يمسح على رأسها...

- أيسر ضحى بنفسه عشاني يا أمي، فضل إنه يموت عشان أنا أعيش، سمع كلامك و حماني، هو في مكان أحسن دلوقتي يا أمي، ادعيله.

ترك (مروان) أمه تبكي و تتحدث بألم وخرج إلى الصالة الرئيسية حيث صورة والدتة وصورته الشخصية معلقتين داخل إطارات على الحائط، أخرج إطارا آخرا يحمل صورة ل(أيسر) وهو يبتسم ثم علقها بجانب صورته وهو دامع العينان، أدى له التحية العسكرية ثم اتجه إلى باب الشقة وغادر كي يكمل مهامه التي ألقيت فوق عاتقه .

***



فبراير 2018......

تقترب سيارة حديثة الطراز من أحد البيوت في أحد المناطق الشعبية، تقف و يهبط منها رجل أنيق بيده حقيبة سوداء، يدخل إلى ذلك البيت في خطوات ثابتة، يصعد عدة سلالم تقود إلى شقة تفوح منها رائحة الألم، يصل أمام باب شراعي ويطرقه عدة طرقات ثم ينتظر في هدوء، يفتح الباب ليجد أمامه مراهقا في مقتبل العمر، متناسق الجسد، ذو نظرة حادة ووجه وسيم، ينظر له في إعجاب ثم يقول....

- مش ده برده بيت دلال؟

***

«يبدو أن ذلك المجتمع مازال يجيد صناعة المسخ»

تمت بحمد الله

2018/12/1



كلمة أخيرة

الحياة تبني على قرارات، والقرارات تتخذ في أوقات مصيرية وفي غاية الصعوبة، خطؤك تتحمل آثاره على مر السنين وقد يمتد حتى مماتك، إن كنا خلقنا داخل ذلك السجن الكوني من أجل الاختبار فلابد وأن نعلم كم نحن مميزين كي يخلق ذلك الكون من أجل اختبارنا بداخله، لا يهم إلى أى مدى وصل نجاحك أو إخفاقك فمازلت أنت وحدك قادر على تغيير كل شيء ومازلت أنت وحدك قادر على كتابة فصل آخر داخل قصتك، دائما ما توجد هناك تلك النقطة الفارقة في كل شيء، دائما ما يأتي ذلك اليوم الذي تتغير فيه من دون سبب، فقط أردت التغير من أجل اللاشيء، يمكنك أن تسميه تطور أو تذمر أو حتى كسر روتين ممل لكن المسمى لا يهم أبدا، ما يهم حقا هو أن لا تفشل، أن لا ترحل من تلك الحياة من دون أن تغير شيئا ولو بسيطا، أن تمر كل تلك السنون بل الآلاف منها منذ بداية الخلق وحتى انتهائها ولم تترك حتى حرفا من اسمك حُفر على جبين الزمان، أنا أؤمن أننا مميزون حقا، نحن لم نخلق عبثا، لم توضع العقبات في طريقنا مصادفة، لم يكن هناك للعشوائية دور في أي شيء، هو فقط اختبار مطولا عليك أن تمر به، عليك أن تجتاز ذلك النفق الضيق والذي يقودك إلى أسفل حيث انعدام الرؤية وتفشى الأمراض و كثرة السقيع والرائحة العطنة وصعوبة التنفس، عليك أن تهبط إلى أسفل حتى تندفع إلى أعلى، يجب أن تحطم حتى تستطيع بناء نفسك من جديد، لابد أن تجرح بقوة حتى



تتمكن من النجاة، أنت لم تخلق لتكمل عدد الخلق، أنت لم تخلق كي تكمل أحد أركان المعادلة فحسب بل خلقت لتحقق أنت المعادلة ،لأنه أنت المعادلة الصعبة، ارتاح بشدة إلى فكرة أننا أحرار في اتخاذ كل اختياراتنا، في أن نهزم أو ننتصر، في أن نقع ونقف في كبرياء من جديد، في أن نخذل و نجرح و نتألم فكل ذلك يقودنا إلى التطور، تمسّك بأنك مميز وصدّق ذلك، تمسّك بأنك تملك هذا الكون الذي يحيا بداخله أعداد لا حصر لها لكنك المتحكم بزمام الأمور، لكنك أنت تلك النقطة المضيئة وسط حائط ثلجي أسود قارس البرودة، تمسك بأنك ستنجح في ذلك الاختبار، تألم بشدة واغضب بقوة و اخطأ بكثرة، اشعر بالفشل بكل حواسك وتشربه حد الثمالة وفي النهاية تطور ،عليك أن تتطور وأن تصبح غير قابل للجرح أو الخذلان أو حتى الفشل، سيأتي ذلك اليوم حتما لا محالة، ذلك اليوم الذي تجد أنك محاط من كل اتجاه بالظلام وأن حواسك أُبطل مفعولها وأن الجميع تخلى عنك، سيحتل قلبك الظلام وسيقسو عليك القدر، ستهشم عظامك وتسحق نفسك، ستشعر بالعجز و سيختفى الأمل كغروب شمس حزينة لا ضامن لعودتها، سيظن الجميع انتهاء وجودك وتتساقط ألوانك لتصبح نكرة، في تلك اللحظات أنت وحدك والجميع ضدك، في تلك اللحظات يجب أن تصنع شمسك الخاصة، يجب أن توقد نارك داخل كهفك وتستعد للخروج أقوى، يجب أن تأخذ ترياق السموم واسع المجال دائم المفعول، يجب أن تحيط قلبك بجدار فولاذي قد صنع من أقوى ذكرياتك المؤلمة، يجب أن تحفر خندقا بينك وبين الجميع غير قابل للردم، يجب أن ترحل عن سماء كل من خذلك وأن لا تثق بأحد مهما تقرّب لك، يجب أن تحفر الصخور بأظافرك ولا تهاب الدماء والألم فقد عجزوا عن أذيتك، يجب أن تصرخ وتعلن عن وجودك حقا، وحينها ستعلم وتتعلم أن لا شيء أثمن من أن تحقق ذاتك، من أن تقف صلب الجسد بعد أن ظن الجميع انكسارك، بعد أن اجتزت اختبار القدر الأقوى، سيبتسم لك الجميع وسيعاونك كل شيء فقد لأنك أردت النجاح،



فقط لأنك لم تفقد عزيمتك رغم وضعك عنوة بين شقي الرحى، فقط لأنك أردت التطور وترك الماضي، فقط لأنك أنت يا عزيزي/تي، لأنك مميزا حقا، أعتقد إنني تطورت اليوم وأنا أكتب تلك الكلمات من أعماق قلبي، أعتقد إنني نجحت في اجتياز اختبار القدر لي وصدقوني لم يكن الأمر سهلا لكنه مؤلما و مفيدا، تطور واجتز الاختبار ولا تفشل وستصنع الفارق، ستصنع شمسك التي لن تغيب حتى بعد غيابك أنت تحت الثرى لمئات السنين، سيتذكرونك.

***





info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007



٣٠٨
ونشستر

لم يكن أسود من الداخل هكذا

ولكنه امتلأ بسواد نفوسهم المظلمة

فأصبحت رسالته المقدسة هي نشر السواد والدماء

قربانا لإله اتخذه قهرا و لم يؤمن به قط


ISBN: 9789777780841

9 789777 780841

